جمهورية السودان
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربيـة

كلية الدراسات العليا

جهود إبراهيم أنيس اللُّغوية في كتابيه: أسـرار اللغة ودلالة الألفاظ

(دراســـــة وصفيـــــة تحليلـــيـة)

Linguistic Efforts of Ibrahim Anis in his two books: The secrets of language and the meaning of words
(A Descriptive Analysis Study)

بحث مقدَّم لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة

إعداد الدارس: محمد يونس فضل السيد عبد الله

المشرف الرئيس: البرفسور/ حمد النيل محمد الحسن

المشرف المعاون: الدكتور/ عثمان إبراهيم يحيى إدريس

الخرطوم

1440هـ - 2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استـــــهلال

قَالَ تَعَالَى:

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي*وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي*وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي*يَفْقَهُوا قَوْلِي)

صـــــدق الله العظيم

ســـورة طه، الآيات: *25 ـ 28*

قائمة الموضوعــات

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
استهـــــلال	أ
قائمة الموضوعات	ب – ج
إهـــــــداء	د
شكر وعرفان	ه
مستخلص البحث باللغة العربية	و
مستخلص البحث باللغة الإنجليزية	ز
مقدمـــــــــــــة	1 – 4
الدراســـــات السابقــة	5 – 6
الفصل الأول: إبراهيم أنيس وآراؤه اللُّغوية	
المبحث الأول: التعريف بإبراهيم أنيس	7
المبحث الثاني: التفكير اللُّغوي عند إبراهيم أنيس	18
المبحث الثالث: الدلالة مفهومها وأنواعها ورأي ابراهيم أنيس فيها	27
المبحث الرابع: التطور الدلالي ومفهومه ومظاهره وعوامله عند إبراهيم أنيس	42
الفصل الثاني: أدوات الدرس اللُّغوي في كتابيَّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ	
المبحث الأول: السماع	55
المبحث الثاني: القياس	61
المبحث الثالث: العامل	68
المبحث الرابع: الإجماع	75
الفصل الثالث: القضايا اللّغوية في كتابيَّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ	
المبحث الأول: القضايا الصّوتية	81
المبحث الثاني: القضايا النحوية	91

المبحث الثالث: القضايا الصرفية	102
المبحث الرابع: القضايا الدلالية	112
الفصل الرابع: المباحث اللغّوية في كتابيَّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ	
المبحث الأول: الاشتقاق	124
المبحث الثاني: الأصوات في كتابيَّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ	128
المبحث الثالث: المصطلحات الصوتية في كتابيّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ	146
المبحث الرابع: القراءات واللّهجات في كتابيَّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ ورؤية إبراهيم أنيس فيها	155
الخاتمة	
أولًا: النتـــــــــائج	172
ثانيًا: التوصيـــــــات	172
فهرس الآيات القرآنية	173
فهرس الأشعار	176
المصار والمراجع	177

إهـــــــداء

إلى الذين وقفوا ولا يزالون بجانبي في كل خطوة ومنهم أستمد قوتي وعزيمتي:

*** إلى رمز الوفاء صاحب العزيمة المتوقدة... أبي.**

*** إلى نبع الحنان ومصدره... أمي.**

*** إلى إخوتي... وأخواتي.**

*** إلى... جميع أصدقائي.**

*** رائد الدراسات اللُّغوية في العالم العربي الحديث:**

***إلى فضيلة الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله.**

***إلى كل من علمني حرفًا أو صحح لي خطـــــأ.**

إليكم جميعًا أهدي هذا البحث.

شكر وعرفان

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وكماله، والحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، ثمَّ الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

يشرفني أن أقدّم جزيل شكري وعظيم تقديري إلى عمادة الدراسات العليا وموظفيها على متابعتهم وتشجيعهم جزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

والشكر موصول لأسرة مكتبة اللغات– جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، وأسرة مكتبة معهد الخرطوم الدولي للغات، وأسرة مكتبة كلية التربية– جامعة دنقلا، وأسرة مكتبة قصر الثقافة بودمدني.

والشكر إلى الدكتور البروفسور/ حمد النيل محمد الحسن المشرف الرئيس على هذا البحث، الذي لم يبخل بوقته وجهده، فالشكر على رحابة صدره وتوجيهاته القيمَّة وآرائه السديدة، وبذل الغالي والنفيس ليخرج البحث على هذه الهيئة، جزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول للدكتور/ عثمان إبراهيم يحيى إدريس المشرف المعاون على هذا البحث لتوجيهاته ومتابعته القيِّمة ورحابة صدره، جزاه الله عني خير الجزاء.

لا أنسى ما بذله جميع أعضاء هيئة التدريس بكلية اللغات من الجهد العظيم المتمثِّل في الإفادة والتوجيه والإرشاد، جزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

وأخيراً أتوجّه بالشكر والتقدير إلى كلّ من علمني حرفاً، ولئن عجزت عن شكر الجميع فعند الله خير الجزاء إنّه قادر على ذلك وعليه يسير، أسأل الله أن يعلّمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علّمنا إنَّه قريب مجيب الدّعوات.

الباحث

مستخلص البحث

تناولت الدراسة جهود إبراهيم أنيس اللغّوية في كتابيه أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ، والتي تتمثل في (القياس والسماع والعامل والإجماع والقضايا النحوية والصرفية والصوتية والدلالية) ودَوْرُهَا في اللغة العربية وما تحدثه من قضايا لغوية وقراءات ولهجات وتغيرات في الأصوات اللغوية لتحقيق الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة.

أتبع البحث المنهج الوصفي ومن أدواته التحليل في معالجته لهذا الموضوع ، مراعياً الاختصار والإيجاز في العديد من موضوعات كتابي أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ " متناولاً إياها على ترتيب المؤلف لها ومتطلعاً إلى كتب السابقين واللاحقين لاستنتاج ملامح الشبه أو الاختلاف في الموضوعات المتماثلة.

هدفت الدراسة إلى محاولة الكشف عن القضايا الدلالية التي أوردها إبراهيم أنيس في كتابي أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ، لمعرفة الذين تأثر بهم وتأثروا به من العلماء المحدثين، ومن ثم توضيح الصلة بين القياس والاشتقاق عند إبراهيم أنيس ، فالاشتقاق في رأيه الطريقة التنفيذية للقياس ، وبيّنت أوجه الشبه بين القضايا اللغوية والصوتية في قضايا المستوى الدلالي.

توصل البحث إلى نتائج أهمها : أشار إبراهيم أنيس إلى ظاهرة الصوت على درجات متفاوتة قد يكون عميقاً، حاداً ، موسيقياً وغيره ، ويقدّم إبراهيم أنيس تصوره عن نشأة اللغة ويرى من خلال ما كتبه المحدثون إن الكلمات في نشأتها كثيرة المبنى وقليلة المعنى ، كان إبراهيم أنيس يعتمد في كتبه مناهج متعددة كالمنهج الوصفي ومن أدواته التحليل ، ويصل إلى الهدف المنشود بأقصر الطرق ، ويتحاشى التكرار ، كما توصل البحث إلى أن إبراهيم أنيس يستوعب المسائل الفكرية واللغوية والعلمية ، وسردها بالمعنى والإشارة إلى صاحب الفكرة في بعض الأحيان، لإبراهيم أنيس آراء صوتية خاصة، وأنه وظف العديد من معطيات التجارب الحديثة للدراسات الصوتية العربية في نحو: مخارج بعض الأصوات وصفاتها، ومقاييس أصوات اللين، وطول الصوت اللغوي، والنبر والتنغيم وغيرها.

Abstract

This study deals with efforts of Ibrahim Anis linguistic in the books entitled “Secrets of language and meaning of words” these linguistic efforts are (measurement, hearing, method and consensus and grammatical obstacle’s morphological and vocal and semantic) and its role in the Arabic language and the problems of language and readings and dialects and changes in the linguistic sound to achieve the harmony of sound between the language sound .

Descriptive method has been used in this study and it’s tool is analysis in the treatment of this subject, taking into account the abbreviation and concise in many topics in the book “the secrets of language, and the meaning of the words, " he discussed them in the order of the author and looking forward to the previous and subsequent books to draw similarities or differences in similar topics.

The study aimed at trying to uncover the semantic issues mentioned by Ibrahim Anis in his book The Secrets of Language and the Meaning of Words to identify those who were influenced by them and influenced by the scholars and modernists, and then to clarify the connection between measurement and derivation in Ibrahim Anis, derivation in his view is executive way for measurement , And showed similarities between linguistic and vocal issues in semantic level issues.

The most important results of this paper at follow: Ibrahim Anis referred to the phenomenon of sound at varying degrees may be deep, sharp, musical and other, Ibrahim Anis presents his conception of the emergence of language and finds through what the modernists wrote. The words in its inception are many in the structure and the corollary concerned, Ibrahim Anis was based in his books of the Antichrist method as the descriptive method with analysis as the tools, gets the desired goal in the shortest way, and avoid repetition, also found that Ibrahim Anis absorbed the intellectual, linguistic and scientific issues, and narrated them in meaning and attention and sometimes refer to the author of the idea. Ibrahim Anis had special voice views. He used many of the data of the recent experiments of the Arabic audio studies in some of the sounds and their characteristics, Soft, length of sound, tone, toning and others.

مـــــــقدمـــــــة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وخصَّه بالبيان، والصلاة والسلام على النبي الذي جاء بالهدى والفرقان وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

اللغة وجه الفكر الظاهر للأمة، وهي خصيصة من أبرز خصائص الأمة ومرآة حضارتها وعامل مهم من عوامل وحدتها، واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الوحي الإلهي كرم الله عز وجل به العربية.

ولقد كانت لفترة من الزمن لغة العلوم في كثير من أنحاء العالم ولقد كتب الأقدمون في علوم اللغة وأبدعوا، وستبقي نافذة يطل منها أبناء هذا العصر على ماضي أمتهم الزاهر.

جاء هذا البحث بعنوان: (جهود إبراهيم أنيس اللَّغوية في كتابيه: أسرار اللغة ،ودلالة الألفاظ، هذه الجهود اللَّغوية تتمثل في: (القياس والسماع والعامل والاجماع والقضايا النحوية والصرفية والصوتية والدلالية وَدَوْرُهَا في اللغة العربية)،وماتحدثه من قضايا لغوية وقراءات ولهجات وتغيرات في الأصوات اللغوية ،لتحقيق الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة ، والصفات الصوتية هي التي اشتملت عليها القراءات ، والتي يمكن أن تعزى إلى اختلاف اللهجات العربية كالفتح والإمالة ، والإدغام ، والهمز ، ثم قسّم إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية تقسيماً علمياً فقد جعلها في قسمين : الأصوات الساكنة وأصوات اللين ، وسمى الأصوات الشديدة بالانفجارية والرخوة بالاحتكاكية ، مستنداً إلى تسمية علماء الأصوات الغربيين .

ما ذكره إبراهيم أنيس يُعَدُّ قليلاً من كثير ما تركه من علم غزير وفكر واضح في تاريخ الدراسات اللغوية في مصر والعالم العربي.

فهو يُعَّد من أهم رواد هذه الدراسات ، وكان أثره واضحاً في تأسيس علم اللغة الحديث ، وكانت له بحوثه القيّمة في العربية ،فقد اهتم بالقضايا الصوتية والدلالية ، كما اهتم بلهجاتها ومراحلها التاريخية ، فكانت له مكانته الرفيعه في علوم اللغة في الجامعات العربية ودَوْرُهُ الكبير في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع السبب في اختيار الموضوع إلى الأتي :

1-مكانة إبراهيم أنيس بين علماء اللغة العربية من خلال كتابيه أسرار اللغة ، ودلالة الألفاظ ،وجهوده اللغوية المتميزة.

2-رغبة الباحث في تسليط الضوء على التفكير اللغوي عند إبراهيم أنيس لما يحققه من قوانين في اللغة العربية .

3-رغبة الباحث في توثيق الصلة بين إبراهيم أنيس وعلماء اللغة العربية من خلال كتابيه أسرار اللغة ، ودلالة الألفاظ التي أثرت الفكر العربي.

مشكلة البحث:

إبراهيم أنيس من العلماء العرب الذين سافروا إلى إنجلترا، واستفادوا من الدراسات اللَّغوية الحديثة، فكان لهم تأثير في الدراسة الصوتية العربية، وعلى هذا تتمثل إشكالية البحث في سؤال واحد؟ ما منهج إبراهيم أنيس وجهوده اللَّغوية في كتابيه "أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ"؟

أسئلة البحث:

1-ما القضايا الصوتيه والدلالية التي اهتم بها إبراهيم أنيس من حيث لهجاتها ومراحلها التاريخية؟

2-ما أهم القراءات واللهجات عند إبراهيم أنيس؟

3-ماهي الجهود اللغوية التى أبان عنها في كتبه أسرار اللغة ، ودلالة الألفاظ؟

أهمية البحث:

لما كانت دراسة الأصوات أوّل خطوة في أيةٍ دراسة لغوية، صار البحث فيها بالغ الأهمية، حيث أنها تتناول أصغر وحدات اللغة وهي الصّوت، والصوت هو المادة الخام للكلام البشري، والحديث عن الجهود اللَّغوية وما تحدثه من قضايا لغوية

وقراءات ولهجات وتغيرات في الأصوات اللَّغوية لتحقيق الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة حيث أن بيان دراسة اللغة تبدأ بدراسة أصواتها والدور الذي تلعبه الأصوات في نظام التواصل لأن الرموز المستعملة في كتابة لغة من اللغات هي أولاً وقبل كل شيء أصوات تسمع، وبيان علم الأصوات هو أحد فروع علم اللغة المهمة، لتعلقه بالجانب النطقي للكلمات لأن الصوت هو الصورة اللفظية للحرف، وعن طريقها يمكن التعرف على مخارج وصفات الحروف.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأتي :

1- الكشف عن القضايا الدلالية التى أوردها إبراهيم أنيس في كتابيه أسرار اللغة ،ودلالة الألفاظ ، لمعرفة الذين تأثر بهم وتأثروا به من العلماء المحدثين .

2- توضيح الصلة بين القياس والاشتقاق عند إبراهيم أنيس فالاشتقاق في رأيه الطريقة التنفيذية للقياس.

3- بيان أوجه الشبه بين القضايا اللغوية والصوتية في قضايا المستوى الدلالي.

منهج البحث:

المنهج الوصفي ومن أدواته التحليل.

هيكل البحث:

يشتمل البحث على تمهيد ومقدمة وأربعة فصول وخاتمة ونتائج وتوصيات.

وسوف يكون التقسيم على النحو التالي:

الفصل الأول: إبراهيم أنيس وآراؤه اللَّغوية

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم أنيس.

المبحث الثاني: التفكير اللَّغوي عند إبراهيم أنيس.

المبحث الثالث: مفهوم الدلالة أنواعها وصلتها ورأي إبراهيم أنيس فيها.

المبحث الرابع: مفهوم التطور الدلالي وظاهره وعوامله عند إبراهيم أنيس.

الفصل الثاني: أدوات الدرس اللَّغوي في كتابيَّ (أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ)

المبحث الأول: السماع

المبحث الثاني: القياس

المبحث الثالث: العامل

المبحث الرابع: الإجماع

الفصل الثالث: القضايا اللَّغوية في كتابيَّ (أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ)

المبحث الأول: القضايا الصّوتية

المبحث الثاني: القضايا النحوية

المبحث الثالث: القضايا الصرفية

المبحث الرابع: القضايا الدلالية

الفصل الرابع: المباحث اللَّغوية في كتابيَّ (أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ)

المبحث الأول: الاشتقاق

المبحث الثاني: الأصوات في كتابيَّ (أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ)

المبحث الثالث: المصطلحات الصوتية في كتابيَّ (أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ)

المبحث الرابع: القراءات واللّهجات في كتابيَّ (أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ) ورؤية إبراهيم أنيس فيها

الخاتمـــــــــــة:

- أهم النتائج والتوصيات
- المصادر والمراجع

الدراسات السابقـــــة:

جرت العادة أن تكون البحوث الأكاديمية مبنية على دراسات سابقة، ويستلزم أن تكون تلك الدراسات لها صلة بالموضوع المراد الكتابة فيه شكلاً ومضموناً، وذلك لتتجلّى نقطة الإضافة والإفادة حتى لا يصبح هذا البحث مجرّد تكرار وإِجهاد للطاقة فيما قد سبق التطرق إليه، وبناءً على ذلك أطّلع الباحث على الدراسات التالية:

1- الإعراب في نظر الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه من أسرار اللغة (دراسة وصفية نقدية) بحث جامعي قدّمه الطالب محمد صفوان هادي إلى كلية الآداب بجامعة سونت كاليجاكا الإسلامية الحكومية جاكرتا إندونيسيا، لإتمام بعض الشروط للحصول على اللقب العالمي في علم اللغة العربية وأدبها سنة 2008م.

وهدف الباحث من الدراسة بيان فكرة إبراهيم أنيس ورأيه في الإعراب، ومحاولة تحليل ما استند عليه إبراهيم أنيس في فكرته تلك، ثم ذكر آراء العلماء وانتقاداتهم تجاه هذه الفكرة.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث أن إبراهيم أنيس لم يكن أوّل من تحدث عن حقيقة الإعراب، وإنما سبقه إلى ذلك علماء آخرون أمثال محمد بن المستنير الملقّب بـــ (قطرب)، وقد لاقت فكرة إبراهيم أنيس عن الإعراب اعتراضاً عظيماً من الباحثين أمثال شوقي ضيف، ورمضان عبدالتوّاب.

وقد بدأ الباحث بالحديث عن الإعراب، تعريفه، علاماته وآراء العلماء القدماء فيه، ثم ترجم لإبراهيم أنيس، وبعد ذلك تناول فكرة إبراهيم أنيس عن الإعراب بالدراسة التى قدّم لها وصفاً شاملاً بين مقدمتها، وفي النهاية أسرد الانتقادات التي وجهها العلماء تجاه فكرة إبراهيم أنيس. والدراسة وإن كانت حول إبراهيم أنيس فأنها تختلف عن هذا البحث من جهة كونها عن قضية الإعراب في كتاب "من أسرار اللغة" لإبراهيم أنيس.

2- "إبراهيم أنيس والدّرس اللَّغوي" من إصدارات مجمع اللغّة العربية بالقاهرة، وهو عبارة عن ندوة عُقدت بقاعة الاجتماعات الكبرى بالمجمع في الرابع من شهر ديسمبر سنة 1999م.

شارك في الندوة أربعة من كبار العلماء برئاسة وتقديم كمال محمّد بشر، والنّدوة مع تعدّد الجوانب التي تناولتها في حياة وإنتاجات إبراهيم أنيس، فالذي يتعلّق بهذا البحث هو "التفكير اللَّغوي عند إبراهيم أنيس" ومحمود فهمي حجازي حيث تحدّث هذا العالم بشكل مفصّل عن شخصية إبراهيم أنيس موضّحاً أثره البالغ في تأسيس علم اللغة للبحث في اللغة العربية صوتاً ودلالة، ومن حيث لهجاتها ومراحلها التاريخية، وذكر أيضاً الأعمال المعجمية التي قام بها إبراهيم أنيس، ثم في النهّاية تحدّث عن مؤلفاته مبيِّناً شهرتها وقيمتها من بين المؤلفات اللَّغوية في العالم العربي الحديث، وقام بتلخيص مضمون تلك المؤلفات واحداً إثر آخر تلخيصاً يتصف بالدقّة والإيجاز.

ويبدو الفرق واضحاً بين هذا البحث وتلك الدراسة، حيث إن الدراسة قدّمت صورة عامة عن الشخصية وموضوع الدراسة، في حين أن الباحث هنا يسعى إلى الوقوف على ناحية واحدة من النواحي العلميّة التي أسهم بها إبراهيم أنيس وهو المجال الصوتي من خلال كتابه "الأصوات اللَّغوية" وذلك للتعّرف على منهجه ومصادره وتوظيفه والمباحث الصوتية المعاصرة، بناءً على خلفيته التراثية، وبيان جهوده في الصوتيات العربية.

الفصل الأول

إبراهيم أنيس وآراؤه اللّغوية

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم أنيس.

المبحث الثاني: التفكير اللغوي عند إبراهيم أنيس.

المبحث الثالث: الدلالة مفهومها وأنواعها ورأي إبراهيم أنيس فيها.

المبحث الرابع: التطور الدلالي مفهومه ومظاهره وعوامله عند إبراهيم أنيس.

المبحث الأول

التعريف بإبراهيم أنيس

"وُلد إبراهيم أنيس بالقاهرة سنة 1324هـ – 1906م"[1].

ونشأ إبراهيم أنيس في أسرة كريمة يقوم عائلها على تربية أولاده تربية كريمة وتعليمهم تعليماً راقياً، ولما أشتد عوده بدأ رحلته للتلقي والدرس، فالتحق بإحدى المدارس الابتدائية، وبعد ذلك انتقل إلى المدرسة التجهيزية التابعة لدار العلوم، ثم أتم دراسته بها، وحصل فيها على الشهادة الثانوية [2]. وعمل بعد ذلك بتدريس اللغة العربية في بعض المدارس الثانوية في مصر لمدة ثلاث سنوات ثم "التحق بدار العلوم العليا وحصل على دبلومها العالي سنة 1930م"[3].

كان له إبأن هذه الفترة نشاطٌ أدبيٌّ، حيث كان ينظم القصائد الشعرية، ويكتب المسرحيات التاريخية والاجتماعية، وكان يهوى التمثيل أيضاً، ويذكر محمد مهدي علام أن " إبراهيم أنيس كان رئيساً لجمعية التمثيل بدار العلوم، وأنه كتب تمثيلية بقلمه بعنوان " الشيخ المتصابي"، قام بدور البطولة فيها"[4].

بعثته إلى أوربا:

وفي سنة 1933م عقدت وزارة المعارف مسابقة لاختيار أعضاء لبعثة دراسية إلى أوربا، فكان إبراهيم أنيس من ضمن الفائزين، وسافر إلى إنجلترا ودرس بجامعة لندن، وحصل فيها على بكالوريوس الشرف في اللغة العبّرية والآرامية والسّريانية سنة 1939م، ثّم الدكتوراه في المقارنات السّامية سنة 1941م وكان موضوع هذه الرسالة "لهجة القاهرة"وفي أثناء دراسته بأنجلترا ظهرت عنده بعض النشاطات

([1]) خير الدين الزركلي، إتمام الأعلام، ط1، دار صادر، بيروت، سنة 1999م، ج1، ص 14.

([2]) محمد مهدي علام، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، المجمعيون، ط1، الهيئة العامة لشـؤون المطـابع الأميرية، القاهرة، سنة 1386هـ.

([3]) المصدر نفسه: ص 1.

([4]) المصدر نفسه: ص 2.

الاجتماعية، فانتخب رئيساً للنادي المصري بلندن عام 1938م، يدير أعماله وشؤونه[1].

شخصيته ومنصبه:

بعد عودة إبراهيم أنيس من إنجلترا عُين مدرساً بدار العلوم في فبراير سنة 1942م، وكان رحمه الله ذا جدّ في أعماله، وذكياً في تصرفاته أخذ يترقّى في الدّرجات العلميّة، فتّم تعيينه أستاذاً مساعداً في شهر يوليو سنة 1947م، وفي سنة 1952م عُيّن أستاذاً لكرسي الدراسات السامية والشرقية، واختير عميداً لدار العلوم في نوفمبر سنة 1955م لأول مرة، ثم شغل منصب العمادة للمرة الثانية سنة 1958م وظل فيها بضع سنوات، إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة 1966م وأُنتدب بعدها للتدريس في الجامعة الأردنية في الأردن[2].

"عمل إبراهيم أنيس في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وبقى بها عامان أنشأ خلالهما معمل الصوتيات لتحديث الدراسات اللّغوية ودراسة الأصوات ومقاييس تصنيفها، ودرّس كذلك لعدة سنوات في كلية الآداب بجامعة القاهرة، أما بعض الجامعات في العالم العربي فلم يرتبط بها إلاّ زمناً محدوداً، كالجامعة الأردنية، وزيارة واحدة قصيرة إلى جامعة الكويت" [3].

عُيّن إبراهيم أنيس أستاذاً غير متفرغ لكلية دار العلوم بعد عودته من الأردن وقد "حصل على جائزة الدولة التشجيعية في سنة 1958م بمناسبة نشر كتابه "دلالة الألفاظ" ونال عضوية مجمع اللغة العربية عام 1961م، وأشرف على مجلة المجمع

([1]) في اللّهجات العربية: إبراهيم أنيس ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1992م، ص 1.

([2]) إبراهيم أنيس ودراسة اللّهجات، الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقي، مجمع اللغة العربية، ط9، القـــاهرة، ض 2.

([3]) المصدر نفسه: ص 13.

من العدد الثاني والعشرين عام 1967م، وأخر عدد أشرف عليه هو العدد التاسع والثلاثون"[1].

أساتذته وتلاميــذه:

تتلمذ الدكتور إبراهيم أنيس في بداياته المبكرة، على أيدي من الشخصيات البارزة نذكر منهم: "الشيخ إبراهيم النواوي من رجال الأزهر، والدكتور محمد مهدي علام الذي وصفه بقوله: (الدكتور إبراهيم أنيس تلميذ يفاخر به) والدكتور محمد كامل حسين وأحمد أمين، وأحمد لطفي وخاله الأستاذ زكي المهندس، أمّا الذين تتلمذوا على يديه، فمنهم الدكتور عبدالله درويش يذكر "أنه كان يبذل كل طاقته ووقته لكليته من الصباح المبكر إلى ما بعد الظهر، وكان يقضي في الكلية أحد عشر شهراً كل عام، لا يبرحها إلاّ في شهر أغسطس حيث يقضي إجازته"، ومن أشهر تلاميذه أيضاً الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين، والأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر"[2].

لفت إبراهيم أنيس الأنظار إليه بدراساته وبحوثه الجديدة في علم اللغة، " فعمل خبيرا في لجنتي اللّهجات والأصول التابعتين لمجمع اللغة العربية في القاهرة، وذلك سنة 1948 م، ثم عُيِّن عضواً في هذا المجمع سنة 1961، واستقبل عضوًا فيه أول مرة في الثالث من نيسان سنة 1961 "[3] وقد أسهم إبراهيم أنيس مساهمة فعَّالة في أعمال لجنة الأصول ولجنة اللّهجات ولجنة المعجم الكبير والوسيط والوجيز وكتب بحوثًا قيّمة ودراسات بالغة الأهمية في مجلة المجمع.

"وقد وكِّل للأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس الإشراف على مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ العدد الثاني والعشرين الصادر في سنة 1967 م خلفًا للأستاذ زكي المهندس عضو المجمع البارز ولقد لبث نحو عشرين عاماً في عضوية هذا

([1]) دكتور إبراهيم مدكور، مجلة مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ماضيه وحاضره، القاهرة، ج1، ص 26.

([2]) محمد مهدي علام، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، المجمعيون، ط16، ج2، ص 15.

([3]) مجلة مجمع اللغة العربية، دكتور إبراهيم مدكور، القاهرة، ج15، ص113

المجمع، وكان فيها من أبرز أعضائه وأوفرهم نشاطاً وأكثرهم بحوثاً ولم يكد يمر مؤتمر للمجمع دون أن يقدم فيه بحثاً جديداً مبتكراً يقابل من الأعضاء المصريين والعرب والمستشرقين بالإعجاب والتقدير"[1].

وفاتـــــه:

"توفي رحمه الله إثر حادث مرور في شهر حزيران عام 1977م. وضم العدد الأربعين حفل تأبينه الذي أقيم يوم الأربعاء الموافق للثاني من تشرين الثاني لعام ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين 1977/1/2م، ويقول محمد مهدي علام أنه توفي عام 1978م والواضح أنه توفي عام 1977م" [2].

وفي هذا الحفل ألقيت عدة كلمات تناولت شخصية إبراهيم أنيس وأخلاقه وأعماله وآثاره، "فقد ألقى إبراهيم مدكور رئيس المجمع كلمة الافتتاح ومما قاله: لقد كان إبراهيم أنيس رحمه الله أنيساً في لقائه، أنيساً في مجلسه، أنيساً في حديثه، كما ألقى على النجدي ناصف عضو المجمع كلمة تحدَّث فيها عن مناقب إبراهيم أنيس، وحزنه على فراقه، وتناول سيرة حياته ومواقف حصلت معهما، ثم عرض لكتبه عرضا سريعاً" [3]. وفي ختام الحفل ألقى الدكتور عبد العظيم أنيس شقيق المرحوم، كلمة الأسرة، ومما جاء فيها: " إذا كانت كتب إبراهيم أنيس وبحوثه المنشورة شاهدًا واضحاً على هذا التفرد والتجويد الذي ميَّزه في علوم اللغة، فإن هنالك جانباً آخر من إنتاج شبابه قد لا يعلم الكثيرون هنا عنه شيئا، أعني شعره ومسرحياته التاريخية ورواياته وإن أملي الكبير أن نستطيع نحن أعضاء أسرته أن ننشر هذا الجانب من مؤلفاته وأن يجد هذا العمل من المجمع تشجيعاً ودعماً"[4].

([1]) كتاب إبراهيم أنيس، حياته وأعماله، الدكتور السيد المخزنجي، ط1، القاهرة، ص21.

([2]) مجمع اللغة في ثلاثين عاماً، المجمعيون، محمد مهدي علام، ط1، ص18

([3]) إبراهيم أنيس، ودراسة اللّهجات، الأستاذ الدكتور، إبراهيم الدسوقي، ط9، ص27

([4]) تقويم دار العلوم، محمد عبد الجواد، ط1، القاهرة، سنة 1952م، ص15

رأي المحدثين فيه:

تنوعت آراء المحدثين في إبراهيم أنيس بين الثناء والإعجاب والنقد، ومن هذه الآراء نذكر رأي صبحي الصالح فيه حيث قال: "تلك أبحاث الأستاذ المحقق إبراهيم أنيس أليس فيها كتاب واحد جامع مستوفي الشروط؟ أن يكون في كتابه عن "اللّهجات" أو مؤلفه عن "الأصوات اللّغوية" أو عن" دلالة الألفاظ" أو عن "موسيقى الشعر" ضرب من الاختصاص في عرض لون معين من موضوعات اللغة، فما بالنا لا نعد كتابه القيِّم من "أسرار اللغة" بحثاً في خصائص العربية، والخصائص كما يعلم كل لغوي أهم مباحث فقه اللغة، إني على إجلالي لإبراهيم أنيس، وتطلعي إلى الإفادة من كتبه، كما تنم عن ذلك دراساته هذه، أرى في جل مباحثه عيباً لا أطيق الإغضاء عنه أو السكوت عليه وأرجو مخلصاً أن يتداركه بنفسه في الطبعات المقبلة، وأن هذا العيب ليتمثل في تهاونه بأقوال المتقدمين، وندرة انتساب الآراء إلى أصحابها واستخفافه برد الشواهد إلى مراجعها ومظانها، كأن كتبه محاضرات عجلى لا مباحث مدروسة، أو كأنها مجموعة ملاحظات ليس فيها تحقيق بالنصوص ونقد للوثائق، وموازنة بين المذاهب، مع أن اللغة و لاسيما العربية لا تدرس إلا من خلال النصوص، فهي أصوات تسمع ثم تحفظ ثم تنقد، وهي بذلك كعلوم الدين لا ينقل منها شيئاً بغير دليل يثبته أو رواية تشهد له، أو برهان يقوم عليه، لو صبر إبراهيم أنيس على كتبه هذه صبراً أجمل ومنحها وقتاً أطول، ثم لمَّ شتاتها بنفسه في كتاب واحد جامع منقح غني بالمصادر الأساسية، لأدى في هذا أجل خدمة لعلماء العربية، فما من شك في انطواء بحوثه على آراء أصلية إن فاتها الصواب أحياناً لم تفتها الجراءة،

وإن أهملت فيها النصوص غالباً عوض إهمالها صلاح المنهج الذي أشهد بحرارة أنه دفع الدراسات اللَّغوية العربية إلى الأمام قروناً وأجيالاً [1].

ولي تعقيب على كلام صبحي الصالح، فبالنسبة إلى قوله بأن إبراهيم أنيس لم يشر إلى المصادر غالباً، ونادراً ما يعزوا الآراء إلى أصحابها، كذلك في رد الشواهد إلى مراجعها ومظانها، نتفق معه، ولكن الباحث يخالفه فيما ذهب إليه من أن إبراهيم أنيس يتهاون بأقوال المتقدمين.

قد يكون إبراهيم أنيس يتهاون في جزء من أقوال المتقدمين لكنه قد أثنى على عدة آراء للعلماء العرب في الدراسات اللَّغوية والصوتية، وعدَّ بعضاً من آراء الخليل وسيبويه الصوتية مشابهة لما توصَّل إليه علم الصوت الحديث.

ومن الّذين أثنوا على إبراهيم أنيس أحد تلامذته وهو دكتور عبد الله درويش فقد قال فيه:" ألاحظ أن إبراهيم أنيس كان متواضعاً حتى في اختيار عناوين كتبه، فمن كتبه " في اللّهجات العربية "ولم يقل "اللّهجات العربية " وفي أسرار اللغة " ولم يقل " أسرار اللغة " وكان دائماً يبحث عن الفكرة الجديدة وينبهنا إلى أن هذه الفكرة جديدة"[2].

انتاجه العلمي:

لقد شهدت دراسات اللغة العربية عهدًا جديدًا بإسهامات إبراهيم أنيس وظهرت كذلك اتجاهات جديدة للدراسات العربية في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، حيث أصبح هذا العالم نموذجًا يقتدى، وكما يبدو من مؤلفاته وبحوثه، وإن كان متأثراً ومستفيداً من الدراسات المعاصرة، لكنه شديد الإلمام بالدراسات القديمة للغة العربية، بل اتخذ التراث أساساً يبنى عليه نظرياته ووجهات نظره الجديدة، وكان يشيد بذكر

([1]) دارسات في فقه اللغة، دكتور صبحي الصالح، القاهرة، ج2، ص8

([2]) دراسات في فقه اللغة: دكتور صبحي الصالح، ص9

القدماء، ويجل آراءهم، ويعترف بفضلهم في السابق، مع تقييمه لبعض جهودهم، واستدراكه عليهم في بعض الفجوات التي خلفوها.

لقد أسدى هذا العالم خدمة كبيرة في أعماله المجمعية إضافةً إلى الكتب السبعة التي ألفها، والتي لا تزال رائدة كل في تخصصه.

"بدأت علاقة إبراهيم أنيس بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة 1948م واختير به في لجنتي اللّهجات والأصول، لكن تعيينه عضوًا بالمجمع كان في سنه 1961 م"[1].

كانت مساهمات إبراهيم أنيس المجمعية متميزة، أدى دوره بشكل جيد، " كان له فضل بارز في الإشراف على مجلة المجمع سنه 1967م إلى سنة 1976م، وهو من كبار العلماء المجمعيِّن الذين أعدوا" المعجم الوسيط " الذي يُعد من أهم جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة"[2].

وكَتب بحوثاً راقية ودراسات بالغة الأهمية في مجلة المجمع، ودارت بحوثه حول الأصوات اللُّغوية، اللّهجات العربية، ودلالات الألفاظ، وموسيقى الشعر إلى جانب طائفة من قضايا النحو والصرف رآها مجالاً للنظر والتأمل، وفي كل ما كان يكتب كان يلجأ في مواقف الاحتجاج وإصدار الأحكام إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم والكلام المأثور من منظوم ومنثور وكلام العلماء.

"كما تضمنت بحوثه المجمعية موضوعات نحوية كثيرة، منها: رأيه في الإعراب بالحركات، وقد أبدى اهتماماً خاصاً بالأصوات أيضاً في بحثه عن أصوات اللغة عند ابن سينا، ومعنى القول المأثور هو لغة الضاد، أمّا في قضية تنمية اللغة العربية فنجد له بحثاً في الارتجال في ألفاظ اللغة، وبحثه الأخير الذي نشر في مجلة

([1]) مجمع اللغة العربية، في ثلاثين عاماً، المجمعيون، محمد مهدي علام، ط1، ص1

([2]) التفكير اللُّغوي عند إبراهيم أنيس، دكتور محمود فهمي حجازي، ط4، مجمع اللغة العربية، القـــاهرة، ج3، ص3

مجمع اللغة العربية بالقاهرة كان في أهمية الإحصاء اللَّغوي، وقد استفاد إبراهيم أنيس من الحاسب الآلي في دراسة اللغة العربية"[1].

وكان يؤمن أن الحواجز التقليدية بين فروع المعرفة المختلفة ليست إلا حواجز وهمية في كثير من الأحيان، وأن العالم الحق لا يستطيع أن يغفل عن الاستفادة من إمكانات الفروع المختلفة، ولذلك كان يهتم بالرياضيات والإحصاء، ويحرص على الاستفادة منذ وقت مبكر من إمكانات الحاسب الآلي، في بحوثه اللَّغوية، ويكلِّف طلابه بعمل إحصاءات من القرآن الكريم من الكلمات المعجمة في اللغة.

"وإبراهيم أنيس أول من نادى بأنشاء معمل صوتي، واقترح وسائل توحيد النطق عن طريق إيجاد نطق نموذجي للغة العربية الفصحى التي يرى أنها: "تمكننا من التغلب على تلك الحوائل الصوتية التي تفصل بيننا وتجعل نطقنا متبايناً"[2]، كما أنه اشتغل بدراسة الأصوات اللَّغوية، ومقاييس تصنيفها ومناهج القدماء فيها، وكذلك موسيقى الكلام، وتكوّن الأصوات عند الأطفال والكبار.

"وكان إبراهيم أنيس أول من دعا إلى إيجاد نطق نموذجي ينشر في جميع البلاد العربية، وقد وضع لمشروعه هذا خطة مفصلة تشمل: إعداد المدرسين، واستغلال الإذاعة، وتوجيه السينما والمسرح، والاستعانة بالسلطة التشريعية للقضاء على سلطان اللّهجات المحلية، فلا تستعمل في المدارس والإذاعة ودور المسرح والسينما، وكانت صيحته هذه غيرة على اللغة العربية"[3]. كما درس دلالة الألفاظ وأنواعها، وبيَن كيف تكون الدلالة عند الأطفال والكبار وكيف تتطور مع الزمن، وتطرَّق إلى أثر الدلالة في الترجمة.

([1]) التفكير اللَّغوي عند إبراهيم أنيس: دكتور محمود فهمي حجازي، ص5

([2]) في اللّهجات العربية، دكتور إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص28

([3]) دلالة الألفاظ،: دكتور إبراهيم أنيس، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1993م، ص6

ولإبراهيم أنيس أيضاً سبعة كتب فريدة من نوعها، كلَّها في الدراسات اللَّغوية، ولهذه الكتب تأثير في الجامعات العربية، وأصبحت مراجع أساسية لدارسي اللغة العربية في الجامعات العالمية، والمعاهد العلمية العليا، وطُبعت عدة مرات قبل وبعد وفاته. "ويتضح من كتب إبراهيم أنيس وبحوثه العلمية أنه جسد نظرياته على الأسس العلمية، وقدَّم إسهاماته للأجيال القادمة من الباحثين في قضايا اللغة العربية في مراحل نموها التاريخية، وبنيتها الصوتية والتركيبة، وتطور دلالة ألفاظها، والتنبؤ بمصيرها، وذلك كله يمثل زيادة حقيقية، وتأصيلاً جادًا لعلوم اللغة العربية"[1]. ويطول الحديث عن إبراهيم أنيس، فقد فتح بابًا واسعاً في مجال الدراسات اللَّغوية الحديثة، من خلال كتبه التي تناولت مستويات علم اللغة الأربعة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ومن مؤلفاته:

1- دلالة الألفاظ: وهو المعنى بالدراسة في هذا البحث الذي نال عنه جائزة الدولة التشجيعية سنة 1378هـ الموافق 1958 م.

2- من أسرار اللغة: وهو المعنى أيضاً بالدراسة في هذا البحث.

3- الأصوات اللَّغوية.

4- في اللّهجات العربية.

5- موسيقى الشعر.

6- اللغة بين القومية والعالمية.

7- مستقبل اللغة العربية المشتركة.

8- طرق تنمية الألفاظ في اللغة العربية.

وسيأتي الحديث بالتفصيل عن كتابيَّ " دلالة الألفاظ ومن أسرار اللغة".

دلالة الألفـــــاظ:

([1]) التفكير اللَّغوي عند إبراهيم أنيس، دكتور محمود فهمي حجازي، ط4، ص13

لم تحظ الدراسة الدلالية بدراسة مستقلة حتى ظهر كتاب دلالة الألفاظ، فقد كانت هذه الدلالة مبثوثة في كتب اللغة والأدب والفقه والتفسير، وفي كتابه هذا بيَّن أن دراسة الدلالة هي قمة الدراسات اللَّغوية وهدفها.

" وقد تناول في هذا الكتاب مدخلاً إلى علم الدلالة يبدأه بنبذة سريعة عن دراسات الفلاسفة لهذا العلم وما وصل إليه، ويتناول فيه نشأة الكلام، ويعرف الدلالة وأنواعها، ويفرد فصلاً للحديث عن استيحاء الدلالة من الألفاظ، واكتساب الدلالة ونموها، وينهي كتابه بالحديث في فصول متتالية عن المركز والهامش في الدلالة وتطورها، وعوامل هذا التطور وأعراضه، ودور الدلالات في الترجمة، ونصيب العربية من علم الدلالة وينهيه بكنوز الألفاظ العربية." (1)

من أسرار اللغة:

يعرض إبراهيم أنيس في هذا الكتاب الظواهر اللَّغوية التي تبدو من الوهلة الأولى مسائل تفرغ القدماء لبحوثها، ولكنه كان يرى أنْ فيها مشاكل لغوية لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحقيق، وظهر له ذلك بعد اتصاله بدراسات المستشرقين للغات السامية، ودراسات الغربيين للغاتهم الحديثة والقديمة، وقد حاول علاج المشاكل اللَّغوية علاجا علمياً حديثاً مؤسساً على أحدث النظريات التي اهتدى إليها المحدثون ويُمهّد في المقدمة لما يتوقعه من إنكار الناس لما جاء في الكتاب، ولاسيما الفصل الخاص بقصة الإعراب، ولكنه على حد تعبيره لا يهدف إلا إلى الدراسة العلمية والبريئة من الأغراض والأهواء.

"وقد تناول في هذا الكتاب المسائل التالية:

أولاً: طرائق نمو اللغة: القياس والاشتقاق والقلب والإبدال والنحت والارتجال والافتراض.

---

(1) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1984م، ص7.

ثانياً: منطق اللغة، وفي هذا الجانب ناقش قضية ربط اللغة بالمنطق من خلال بعض الظواهر النحوية مثل: الإفراد والجمع والتذكير والتأنيث والفترة الزمنية والنفي اللَّغوي، يخلص أن هذه الظواهر بعيدة كل البعد عن المنطق.

ثالثاً: قصة الإعراب، وفيها أنكر إبراهيم أنيس أن يكون للحركة الإعرابية أي مدلول، وإنما هي لوصل الكلام، ودافع بحجج كثيرة عن رأيه، ورآها غيره بأنها غير مقنعه، وقد أقنع إبراهيم أنيس قطرب في نظريته للإعراب.

رابعاً: الجملة العربية، وفيها تعريف بالجملة العربية، وتقسيم جديد للكلمة العربية، إذ خرج عن التقسيم الثلاثي، كما ناقش قضية الوصل والفصل في الكلام وموضع المتعلقات في الجملة"[1].

ويضيف إبراهيم أنيس " وليست حركات الإعراب في رأيي عنصراً من عناصر البنية في الكلمات التي لا تدل على المعاني كما يظن النحاة، والذي يحدد معاني الفاعلية والمفعولية هو نظام الجملة العربية في المعاني اللغوية، وقد حاول أن يثبت ما ذهب إليه بأقوال النحاة الأوائل في الوقف واختلاس الحركات والضرورات الشعرية ولكن أنّى له ذلك، لأن دلالة الحركات الإعرابية على المعاني أثبتها العلماء الأوائل بما لا يدع مجالاً للشك فيها." [2]

([1]) تقويم دار العلوم، محمد عبد الجواد، ط1، ص22

(2) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج1، سنة 1966م، ص241.

المبحث الثاني

التفكير اللَّغوي عند إبراهيم أنيس

كان إبراهيم أنيس أول من أدخل التفكير اللغوي الحديث إلى اللغة العربية ويرتبط التفكير باللغة ارتباطاً وثيقاً ، وتُعَدُّ اللغة نهج الإنسان والتفكير ،وبدونها لايمكن للإنسان التعبير عن أفكاره ، فهى تدخل في بناء أفكار الإنسان وبالتالي يُعَدُّ التفكير في اللغة التي لا تظهر كصوت، ويمكن تعريف التفكير اللغوي بأنه أنماط التفكير التى يكتسبها الفرد من البيئة المحيطة به.

يعبِّر الفرد عن هذه الأفكار من خلال رموز لغوية تسمى الكلام أو اللغة ، كما يمكن تعريفه أيضاً بأنه المقدرة على توفير الأفكار اللغوية بأكبر عدد ممكن حول معاني الألفاظ ودلالاتها بحيث تؤدي إلى تكوين اتصال لغوي جيد، علماً بأن هذه الأفكار تتميز بالجدية .

اللغة ظاهرة فكرية إنسانية لا يمكن أن تنشأ إلا في مجتمع يحتاج أفراده إلى التعامل فيما بينهم، ولم يختلف العلماء والمفكرون في شيء من مسائل علم اللغة كما اختلفوا حول نشأة اللغة، فقد تنوعت آراؤهم واختلفت مذاهبهم ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية، بل كانت آراؤهم مصبوغة بالصبغة الشخصية، ولم يتجاوزوا مرحلة الغرض من الكلام المبين على الظن والحدث. "وأن نشأة الكلام الإنساني يقتضي في ظلمات التاريخ وما قبله كما يقتضي في أصل الإنسان نفسه، وبهذا صرح كثير من العلماء باستحالة تبين أول صورة من كلام الإنسان، فلم يكن هناك أصل بمعنى الكلمة لأنه لم يوجد هناك خَلْقٌ من العدم، بل تحور في اتجاه إنسان لظاهرة وجدت عند الحيوان" [1].

([1]) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللَّغوي: رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1985، ص 7

وقد ظفر البحث في نشأة اللغة بقدر وفير من التأمل والتفكير، ويفترض العلماء افتراضات كثيرة، "وفي أوائل القرن العشرين بدأ العلماء ينصرفون عن هذا النوع من البحث لأنه من مسائل ما وراء الطبيعة، ولا جدوى من الاستمرارية" [1].

الميتافيزيقا أو الماورائيات أو ما وراء الطبيعة هو فرع من الفلسفة يدرس جوهر الأشياء، يشمل ذلك أسئلة الوجود والصيرورة والكينونة والواقع، تشير كلمة الطبيعة هنا إلى طبيعة الأشياء مثل سببها والغرض منها، بعد ذلك تدرس ما رواء الطبيعة أسئلة عن الأشياء بالإضافة إلى طبيعتها خاصة جوهر الأشياء وجودة كينونتها، تسعى ما وراء الطبيعة في صورة مجردة عامة إلى الإجابة على هذه الأسئلة ماذا هنالك؟ – ما صوورته؟ تشمل المواضيع التي تبحث ما وراء الطبيعة فيها كل من الوجود، والأشياء وخواصها، والمكان والزمان، والسبب والنتيجة، والاحتمالية.

ويقدم لنا إبراهيم أنيس نظريات نشأة اللغة مبيناً آراء كل نظرية ورأيه فيها وعند القدماء في منتصف القرن الرابع الهجري وما بعده " ظهرت نظريتان تقول الأولى: إنَّ اللغة توفيقية، كما قال بها أهل التقاليد من المحافظين"[2]، ويعتمدون في ذلك على قوله تعالى: چ □ □ □ □ چ [3]

فلم يعتمدوا في أكثر أدلتهم إلا على النصوص النقلية وتفسيرها على حسب أهوائهم ليستنبطوا منها ما يؤيد آراءهم.

"أما النظرية الثانية عند القدماء التي تقول إن اللغة اصطلاحية، ومنهم من قال بها من المعتزلة الذين استمدوا أدلتهم من المنطق العقلي"[4]، فأصحاب هذا الرأي

([1]) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1993م، ص 12.

([2]) معجم مقاييس اللغة: أحمد ابن فارس، ط 1، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت سنة 1985م، مادة(سمو)

([3]) سورة، البقرة: الآية(41)

([4]) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة(سمو)

يرون أن الناس كانوا في بداية وضعهم للغة جاؤوا إلى أحد من بني آدم فأومؤوا إليه وقالوا إنسان ، إنسان ، إنسان ، فكلما سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق.

وينسب هذا الرأي لابن جني وأستاذه أبي على الفارسي إذ يقول ابن جني " أن أصل اللغة إنما تواضع واصطلاح، لا وحي وتوفيق وإنما كان ابن جني كما يرى إبراهيم أنيس متردداً وحائراً في كتابه الخصائص بين الرأي القائل بالتوفيق والرأي القائل بالاصطلاح" [1]

ويفترض أهل الاصطلاح في نشأة اللغة واحداً من الغرضين التاليين، اللذين لخصهما ابن جني في كتابه الخصائص:

1/ "أن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيضعون كل شيء يريدون الإبانة عنه سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به.

2/ أن أصل اللّغات من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وخرير الماء، وصهيل الفرس، ثم ولدت اللّغات عن ذلك فيما بعد ويقبل إبراهيم أنيس هذا الغرض فهو عنده: وجه صالح ومذهب متقبل"[2].

ولعله الرأي القائل بأن نشأة اللغة تعتمد على المحاكاة، أي محاكاة أصوات الطبيعة، "واستمر الخلاف بعد عصر ابن جني، وكان ينتهي أحياناً بأن يقف بعضهم موقفاً وسطاً بين التوفيق والاصطلاح، ومع ذلك لم يقف علماء العرب إلى رأي يجتمعون عليه"[3]. أمّا المحدثون من علماء اللغة في أوربا فقد وجدوا متعة في بحثهم هذا خلال القرن التاسع عشر ونتج عن ذلك عدة نظريات عرضها إبراهيم أنيس في

([1]) كتاب الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 2001م، ص1

([2]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص21

([3]) كتاب إبراهيم أنيس، حياته وأعماله، الدكتور السيد المخزنجي، ط1، القاهرة، ص21.

كتابه " دلالة الألفاظ " وبيّن وجه الضعف في كل نظرية، منها: "نظرية محاكاة الأصوات المسموعة مثل أصوات الحيوانات والجمادات، ثم صارت في سبيل الرقي شيئًا فشيئًا، كما تبيّن أن النشأة الأولى للألفاظ لا تعد أن تكون تقليدية للأصوات الطبيعية التي سمعها الإنسان الأول، وقد سخر بعض النقاد من هذه النظرية ووصفها بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوان"[1].

كما اعترض إبراهيم أنيس على هذه النظرية بأن اللغة في وضعها الراهن لا تشتمل إلا على قدر ضئيل جداً من الكلمات الواضحة ذات الصلة بين اللفظ والمدلول.

2- "نظرية الأصوات التعجبية العاطفية، وتقول إن اللغة نشأت من صيحات الحيوانات كما بدأت في صورة شهقات وتأوهات صدرت عن الإنسان بشكل غريزي، لتعبّر عن فرح أو دهشة أو غضب أو ألم، وألفاظ الفعل هذه شائعة في جميع اللغات مثل: آه، وى، ها"[2].

ويرى علماء اللغة أن الاختبارات أثبتت خطأ النظرية لأن ألفاظ التعجب والفصل ليست بعينها الصيحات اللاإرادية الطبيعية وإنما هي صورة صوتية تقريبية لها، " ويعترض بعضهم على هذه النظرية ومنهم إبراهيم أنيس يقول إن هذه الأصوات هي أصوات فجائية منعزلة عن الكلام فليست تصدر إلا عندما يعي الإنسان القول، كما أن الشعوب تختلف في تلك الشهقات والتأوهات بعضها البعض"[3].

3- "نظرية الاستعداد الفطري، وهذه النظرية التي أذاعها اللُّغوي الألماني (مكس موللر) وخلاصتها أن الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة، وأن هناك صلة وثيقة بين ما ينطق به الإنسان وما يدور في خلده من أفكار، ولكن معرفة

([1]) الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر، منشورات جامعة سبها.،سنة 1988م، ص33.

([2]) الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر، ص 35.

([3]) مدخل إلى معرفة اللغة، اللسان والإنسان، حسن ظاظا، ط1، مكتبة الدراسات اللُّغوية، القاهرة، سنة 1982م، ص13

كل صلة من الصلات فيما بينها أمر عسير على أذهاننا، وبنيت هذه النظرية على ما نلاحظه في الأشياء المحسوسة عند اصطدام أي جسم بجسم آخر أو الدق على الخشب أو النحاس"[1]. ويعترض إبراهيم أنيس على هذه النظرية بأنها بنيت على أساس غامض ومحاط بالألغاز.

4- "نظرية الاستجابة للحركات العضلية، وتقول: إن الإنسان تقيّد بالمقاطع الصوتية التي يتفوه بها عفوياً عندما يعمل"[2] ومفهوم هذا الرأي أن الصوت نشأ بصورة جماعية عندما كان الناس يقومون بعمل شاق فبذلك الإنسان يجد الراحة إذا تنفس أو تنهد بقوة وصعوبة.

"اللغة نشأت حين اجتمع الإنسان بأخيه الإنسان ولم تنشأ عنه وهو منعزل ولعل ما تمتاز به هذه النظرية من النظريات السابقة كما يرى إبراهيم أنيس، أنها عالجت النشأة اللَّغوية في ضوء المجتمع الإنساني، وربطت اللغة بالمجتمع ربطاً وثيقاً، في حين أن كل النظريات الأخرى تفترض أن الكلمات صادرة عن الإنسان المنفرد"[3]. وهذه النظريات التي اشتهرت في أواخر القرن التاسع عشر لم تحل مشكلة النشأة اللَّغوية كما يراها إبراهيم أنيس، "ولم يفسرها تفسيراً يطمئن إليه، ووجه إليها الانتقادات التالية:

1/ أن هذه النظريات فسرت ناحية من نواحي اللغات فقط، لأن الألفاظ التي ارتبطت أصواتها بمدلولاتها لا تتجاوز نسبه ضئيلة من كلمات اللغة.

2/ أنها أهملت الربط بين اللغة والمجتمع باستثناء النظرية الأخيرة.

([1]) كتاب اللغة فندريس، ط3، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة القاهرة، سنة 1950م، 14

([2]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، ط1، تحقيق فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،سنة 1988م، ص 19.

([3]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص118.

3/ أن افتراض هذه النظريات أن الإنسان الأول ظل صامتاً فترة من الزمن، ثم تكلم بأصوات تخالف ما نعاهده من النطق بعد اكتمال تطوره ونموه عن الأصوات الإنسانية". [1]

يقول إبراهيم أنيس إن أحدث نظرية هي التي اهتدى بها المحدثون، "على رأسهم (جسبرسن) وهي نظرية يؤيدها ويطمئن إليها بعض الاطمئنان، وهذه النظرية أخذت بكل النظريات السابقة مجتمعه وأسست عناصرها على أسس علمية واضحة المعالم وخاصة التجربة الحديثة، وتختلف عن باقي النظريات بأنها تتبع الطريقة الاستقرائية فتستعرض الملاحظات والتجارب ثم تكون النتيجة". [2] كما نلاحظ أن بقية هذه النظريات أنها تبدأ بالغرض ثم تسوق لهذا الغرض بالأدلة والبراهين.

ويؤسس (جسبرسن) هذه النظرية على أسس ثلاث هي:

1/ دراسة مراحل نمو اللغة عند الأطفال: فقد اعتقد أصحاب هذه النظرية أن مراحل نمو اللغة عند الأطفال هي نفس المراحل التي مر بها الإنسان الأول منذ حياته ،كما يرى إبراهيم أنيس أن هناك فرقاً شاسعاً بين مراحل نمو اللغة عند الأطفال ومراحل نمو اللغة عند الإنسان الأول، ذلك أن الطفل مقلِّد لوالديه لا مبتكر ولا مخترع، في حين أن الإنسان الأول لم تتح له نفس الظروف بل كان بمثابة المخترع والمبتكر فهو يُعلِّم نفسه بنفسه ما لم يكن له وجود من قبل"[3].

وبذلك نلاحظ أن الاستفادة من دراسة مراحل نمو اللغة عند الأطفال في دراسة النشأة اللُّغوية إذا اقتصرنا على السنة الأولى من عمر الطفل ومع ذلك ما تزال دراسة هذه المرحلة عند الأطفال بحاجة إلى البحث حتى نتمكن من الاطمئنان إليها.

([1]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص119.

([2]) في علم اللغة العام، عبد الصبور شاهين، ط 5، ص 35.

([3]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص121.

2/ لغة الأمم البدائية: وهي تمثل مرحلة قديمة في نمو اللغات، وذلك عند مقارنتها بلغات الأمم المتمدنة للتعرف إلى الطريق الذي تشكله اللغة في التطور، كما يرى إبراهيم أنيس أنه من الصعب تصور أن لغة الأمم البدائية شبيهة بلغة الإنسان الأول فقد مرت آلاف السنين على لغة الإنسان إلى أن وصلت إلى المرحلة التي نسميها بدائية" [1]، فبذلك من الواجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن اللغات البدائية هي لغات غير واضحة، كتلك اللغات التي توصف بأنها لغات متمدنة في وظيفة علم اللغة الحديث.

3/ الدراسة التاريخية: وهذا الأساس أهم من الأساسين السابقين في بحث نشأة اللغة، "ففي الدراسة التاريخية بدأ المحدثون الدراسة بصورة عكسية أي بدأت بلغات العصر الحاضر ثم عادوا إلى الوراء جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن" [2] بمعنى إذا اجتمعت لديهم قواعد عامة عن التطور اللّغوي أمكن تطبيق هذه القواعد على عصور ما قبل التاريخ.

وتوصّل (جسبرسن) إلى نتائج يصفها إبراهيم أنيس بأنها قيِّمة خلال البحث المقارن، واستطاع أن يصوّر لنا ما كانت عليه اللغات في أقدم عصورها فتوصل إلى أمرين: "الأول: الاتجاه نحو تيسير الأصوات، وهو الميل العام الذي لوحظ في تطور اللغات، ونتج عن هذا الميل العام ثلاث ظواهر هي:

1- تكاد تخلو اللغات في أحدث صورها من المجموعات الصوتية المتنافرة، وقد كان اجتماع الأصوات المتنافرة مألوفاً في اللغات القديمة ثم تخلّصت منه في تطورها.

2- الميل نحو تقصير بنية الكلمة، فمعظم اللغات تتضمن كلمات طويلة وكثيرة الحروف وانقرضت على مرّ العصور مثل هذه الكلمات. وهذا يدل على أن ما يدعو

([1]) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ط1، ص137.

([2]) في علم اللغة العام، عبد الصبور شاهين، ط5، ص49.

إليه بعض العلماء من الأصل في بنية الكلمة أن تكون ثنائية لا أساس له من الصحة بل يبدو العكس، أي أن الكلمات كانت طويلة ثم بعد ذلك قصرت.

3- إن كل الأصوات في الأمم المتمدنة تتكون بواسطة الهواء في أثناء صعوده من الرئتين وخروجه من الفم ولا يتم العكس، أي أن طريق الشهيق لا يحدث إلا في أصوات ينطق بها تعبيراً عن الدهشة والاستنكار والتفجير، وقد دلت البحوث على وجود هذه الأصوات في بعض لغات إفريقيا، مما جعل المحدثين يفترضون أن اللغة الإنسانية كان بها مجموعة كبيرة من هذه الأصوات"[1].

الثاني: "الميل إلى الغناء في أثناء النطق، ويقصد بالغناء التنغيم وتعدد الدرجات الصوتية، وهو ما أخذ في الانقراض تدريجياً حتى أصبح الأمر متسقاً حتى الآن، في حين أن الأمم البدائية يشيع فيها تعدد الدرجات الصوتية". [2] مع العلم أن كثرة شيوع الدرجات الصوتية وتنوعها بقوة العاطفة في الأمم المتمدنة والمتطورة فالإنسان يضبط نفسه ويكون ملتزماً في كلامه بوتيرة واحدة.

رأي إبراهيم أنيس في نشأة اللغة:

يقدِّم إبراهيم أنيس تصوره عن نشأة اللغة، ويرى من خلال ما كتبه المحدثون ما يلي:

1- "الكلمات في نشأتها كثيرة المبنى وقليلة المعنى.

2- اللغة نشأت في صورة لعب ممتع لا يهدف إلى إيصال معنى للسامع.

3- قول الفلاسفة إن الهدف الأصلي من الكلام كان التفاهم وايصال المعنى، قول مرفوض لأن جنايته كانت مقصورة على الغرائز والعاطفة.

([1]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص151.

([2]) المصدر نفسه: ص 151.

4- انتقلت الأصوات الخالية من الدلالة إلى ألفاظ ذات دلالات ومعانٍ بصورة مشابهة لما يعلمه الطفل من ربطه بينما يسمع وما يشاهد من أحد، مما يؤدي في آخر الأمر إلى فهمه لمدلولات الألفاظ.

5- أن تفسير الأسماء في قوله تعالى: چ □ □ □ □ چ [1]، يعني الأعلام، سَايَر أحْدَثَ ما ينادي به اللَّغويون في عصرنا الحديث" [2]

([1]) سورة البقرة، الآية (31).

([2]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص151.

المبحث الثالث

الدلالة مفهومها و أنواعها ورأي إبراهيم أنيس فيها

الدلالة لغة:

"الدلالة مثلثة الدال ، مصدر الفعل (دلّ) وهو من مادة (دلّلَ) التي تدل فيما تدل على الإشارة إلى الشيء والتعريف به ، ومن ذلك دلّه يدلّه على الطريق ، أي : سدّد إليه"[1] .

والدلالة هي ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها حتى يكون قادراً على حمل المعنى، "إذا استشرنا معاجم اللغة عن معنى لفظ الدلالة فإن (ابن منظور) يطالعنا بقوله في باب (دلل)، دلل: أدل عليه، وتدلل: انبسط، والدالة: ما تدل به على حميمك، ودل على الشيء: يدله دلال ودلالة، فاتدل: سدده إليه، ودللته: فإن دل والدليل ما يستدل به"[(2)]

انطلاقاً من هذا المفهوم نستنتج أن الدلالة بالنسبة إلى الألفاظ: هي ما تهدينا وترشدنا إليه من معانٍ أو طرق توضح هدف المتكلم من كلامه. ولا تخرج بقية المعاجم عن هذا المعنى فعلى سبيل المثال نجد (ابن فارس) يقول: في مادة (دل): "الدال واللام أصلان أحدهما: إبانة الشيء بأمارة تعلمه، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء هو بين الدِلالة والدَلالة (بكسر الدال وفتحها)."[(3)]

يُعَدُّ (ابن فارس) أن الدلالة تفي بيان المعنى والإشارة إليه وإيضاحه للسامع، أما مفهوم الدلالة اصطلاحاً فيشير إلى المعنى: أي معنى المفردات التي تحمله،

([1]) تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي،ط1 ، دار مكتبة الحياة ،بيروت ، مادة (دلّل).

([2]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص151.

([3]) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتَّاب العرب، دمشق، سنة 2002م، مادة(سمو).

والمعنى هو الشيء المقصود من كلام المتكلم، وهذا المفهوم هو ما يذهب إليه معظم دارسي اللغة.

ومجال الدرس الدلالي لديهم هو "دراسة المعنى اللُّغوي على صعيد المفردات والتراكيب، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة المفردات وما يتعلق بها من مسائل"[1] .

الدلالة اصطلاحاً:

هي "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به ، العلم بشيء آخر ، الشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[2]، والعلاقة بين الدال والمدلول هي المعنى الذي يظهر في اللفظ ،"وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص ، وإشارة النص ، ودلالة النص ، واقتضاء النص ، ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتاً بنفس النظم أو لا ، والأول إن كان النظم مسوقاً له، فهو العبارة وإلاّ فالإشارة، والثاني إن كان الحكم مفهوماً من اللفظ لغة فهو الدلالة ، أو شرعاً فهو الاقتضاء "[3]. أما مفهوم الدلالة عند الغربيين فقد عبّروا عنه بما يصطلح عليه بكلمة سيمانتس (semantic) الذي ظهر أول ما ظهر (ميشال بريـــال) وهي تعني عندهم: الدراسة التاريخية لتغير معاني الكلمات فالدلالة: "وحدة تقوم على نسبة بين شيئين مرتبطين بعضهما ببعض ارتباطاً لا انفصام فيه، والشيء الأول الدال هو الذي إذا علم بوجوده يستدعي انتقال الذهن إلى وجود شيء آخر وهو المدلول وهو الشيء الثاني"[4].

([1]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص151.

([2]) التعريفات، على بن عمر الجرجاني، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، سنة 1985م، ص 129.

([3]) المصدر نفسه : ص 131.

([4]) البحث الصوتي والدلالي عن الفيلسوف الفارابي، أستاذة رجاء عبد الرازق كاظم، رسالة ماجســـتير، كليـــة الآداب، جامعة بغداد سنة 1992م، ص115.

من خلال المعنى اللُّغوي والاصطلاحي نلاحظ أن الدلالة تمثل الطريق الذي يوصل إلى الغاية ولما كان المعنى هو غاية الكلام فالدلالة تمثل الطريق الموصل إلى فهم المعنى من خلال ارتباطه باللفظ وهكذا يصير كل من المعنى والدلالة مترادفين.

أنواع الدلالة:

الدلالات التي يمكن أن يستفاد بها من النصوص المنطوق بها عدة أقسام، وهي عند إبراهيم أنيس أربعة أقسام تتمثل في الآتي:

الدلالة الصوتية: "وهي الدلالة الصوتية الطبيعية التي تعنى بوجود مناسبة ما بين اللفظ والمعنى"[1] والفضل في مثل هذا الفهم يرجع إلى إيثار صوت على آخر أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به، وهناك دلالة صوتية تحليلية بتغيير بعضها تبعاً لتغيّر الوحدات الصوتية، "ومن مظاهر الدلالة الصوتية النَّبر وهو نسبة وضوح نسبة الصوت أو المقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام" [2] قد تستعمل اسماً إذا كان النَّبر على المقطع الأول منها، فإذا انتقل النَّبر تصبح فعلاً، والنَّبر يكثر في اللغات الأوربية وبعض اللغات الشرقية كالصينية مثلاً. "والنَّبر أو الدلالة الصوتية وهو ما يقر به العقل والتجربة، فلو أنك فعلاً تقصد به الأمر فالنَّبر واضح ويركز تركيزاً شديداً على الحروف الصحيحة دون حروف العلة فعندما تقول مثلاً: اكتب يكون التركيز على حرف الباء، أمّا ادع فيحذف منه حرف الجوف لأنك لا يمكن أن تشد عليه فلا نبر فيه".[3]

ويرى إبراهيم أنيس أنه من الصعب تحديد مواضع النَّبر في اللغة العربية كما كانت تنطق في العصور الإسلامية الأولى، لأن العلماء لم يتطرقوا إلى هذه المسألة في مؤلفاتهم، لكنه لاحظ أنه يمكن أن تخضع لقانون لا تشذ عنه باعتبار نطق قرّاء

([1]) الأصوات اللُّغوية، إبراهيم أنيس، مطبعة النهضة، مصر: ج1، ص91.

([2]) المصدر نفسه: ص 97.

([3]) مناهج البحث في اللغة، تمّام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج3، سنة 1958م، ص160.

مصر. والدلالة الصوتية أطلق عليها ابن جني الدلالة اللّفظية وهذا ما ينطبق عليه تعريف اللفظ عنده.

يقول إبراهيم أنيس: " نحن لا نشك في أن للحديث وجهاً واحداً، يتفق مع المنطق الإسلامي الذي يتلخص في أن الدين الإسلامي قد دعا الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها إلى الإيمان به، واتخاذه عقيدة لهم، فلم يُبعث- صلى الله عليه وسلم- لشعب خاص من الشعوب، وإنما أرسل إلى الناس كافة؛ هذا لأن الدين يسر وليس عسر، فقد اشتملت أحكامه وتعاليمه على كثير من الرخص حين يَشقّ على الناس أمر من الأمور، فنحن حين ننظر إلى هذا الحديث في ضوء الروح الإسلامي نرى أنه ليس إلا إحدى تلك الوسائل التي أريد بها التيسير على الناس، ومنع المشقة عنهم، في قراءة القرآن بحسب ما ألفوه من عاداتهم الكلامية في لهجاتهم وما تعودته أعضاء نطقهم." [1]

قبل الخوض في تفاصيل الدراسة الصوتية والتي عنيت بها الدراسات الأسلوبية الحديثة، لابد من الإشارة إلى أن الدرس الصوتي درس عربي أصيل، اهتم به علماء العربية ونبهوا على أهميته في بناء المعنى في مواقع كثيرة في تراثنا النقدي والبلاغي، ويتقدم تلك الجهود، "إشارات ابن جني المميزة في هذا المجال منها قوله: إن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبّر عنها ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس، وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف". [2] وبخصوص الدرس الصوتي فإن إبراهيم أنيس من أولئك النخبة التي نادت بضرورة دراسة علم الأصوات في المعاهد المصرية، وله جهود دقيقة في مجال

---

(1) في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ط8، ص55.

([2]) أبو الفتح عثمان ابن جني تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـــان، ســـنة 2002م، ص65.

الدراسة الصوتية من الناحية التطبيقية، منها: ما ذكره من أن "نسبة شيوع الفتحة في اللغة العربية حوالي 460 مرة في كل ألف من الحركات قصيرها وطويلها، في حين أن الكسرة حوالي174 مرة والضمة 146 مرة". [1] وقد استفاد علماء الأصوات بعد إبراهيم أنيس من تلك البحوث التطبيقية التي قدمها ونقلوها في كتبهم كما يقول بعضهم: " فقد أيدت المباحث التطبيقية التي أجراها الدكتور إبراهيم أنيس شيوع اللام نحو 127 مرة في كل ألف من الأصوات الصامتة في العربية، وأن نسبة الميم 124 مرة في كل ألف مرة منها، وأن نسبة النون بلغت 112 مرة كذلك"[2].

الدلالة الإحصائية أو الاعتداد أو المغزى الإحصائي أو المعنوي هي وصف لنتيجة تجربة أجريت عندما تكون القيمة الاحتمالية أقل من مستوى الدلالة، عند القيام بإجراء علمي جيد فإنه غالباً ما يتم اختيار مستوى الدلالة قبل جمع البيانات، وعادة ما يكون هذا المستوى 5%، يمكن أيضاً استخدام مستويات دلالة أخرى مثل 1% وذلك حسب مجال الاختصاص والاستخدام.

الدلالة اللفظية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

عقلية وطبيعية ووضعية.

"العقلية: مثل دلالة الصوت على حياة صاحبه (فبمجرد سماع الصوت، نعلم أن صاحبه حي يرزق، وذلك لأنه قادر على النطق، فدل العقل على حياته).

الطبيعية: كدلالة (أح أح) على وجع في الصدر، فقد اعتاد الناس على إصدار أصوات معينة من ألم في موضع الجسم فمن الطبيعي إصدار صوت (أح) نتيجة ذلك الألم".[3]

الدلالة غير اللفظية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

([1]) الاتجاهات المعاصرة في تطوير دراسة العلوم اللَّغوية، أحمد عبد العزيز دراج، ط1، مكتبة الرشد، السعودية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ج3، سنة 2003م ص143.

([2])الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص 57.

([3]) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أبو حامد بهاء الدين أحمد بن على السبكي، ط1، ج1، القاهرة، سنة 19963م، ص204.

المطابقة، والتضمين، والالتزام.

دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ الوضعية، وهي أن يدل اللفظ على تمام ما وضع له، فإن لفظ (البيت) يدل على معنى البيت بطريقة المطابقة، ويدل على السقف وحده بطريقة التضمين، لأن البيت يتضمن السقف والجدار الأساس.

دلالة التضمين: هي أن يدل اللفظ على جزء من مسماه، وتكون دلالته خارجة عنه"[1] وقد وضع اللفظ له ولغيره، لذلك سمي بالتضمين ومن الأمثلة عليه: كما ذكرنا دلالة لفظ بيت على الجدار فقط.

ودلالة التضمين عقلية، وذلك أن اللفظ عندما وضع للمسمى انتقل الذهن من هذا المسمى إلى لازمه وبالتالي: هي دلالة لفظية[2]. فقد احتاجت كي تدرك إلى أمرين: اللفظ ذاته فكانت لفظية والعقل أو الذهن حتى يدرك المراد واللازم منها فكانت عقلية.

وتجدر الإشارة إلى "أن دلالة المطابقة أعم من دلالة التضمين" [3] فالمطابقة تدل على الكل، أما التضمين فتدل على جزء من المسمى.

دلالة الالتزام: وهي: "أن ينتقل اللفظ إلى الذهن من مدلوله إلى لازم خارجي وسمي بذلك الالتزام وهي دلالة عقلية"[4] بحاجة إلى قليل من التأمل والتفكر حتى تدرك، ومثاله: دلالة لفظ (الأسد) على الشجاعة، فعندما وصف شخص بأنه أسد فلا يقصد بذلك أنه ذلك الحيوان المتوحش المفترس، وإنما المراد "أنه يلحق به صفة خارجه عنه يتمتع بها وهي الشجاعة، فانتقل العقل من لفظ الأسد إلى صفة ومعنى خارجي عنه يتمتع بها وهي الشجاعة والقوة، مثال آخر: دلالة لفظ (السقف) على الحائط، فأنه غير موضوع للحائط ووضع لفظ (الحائط) حتى يكون مطابقاً، وهو متضمن، إذاً ليس

([1]) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أبو حامد بهاء الدين أحمد بن على السبكي ص 205.

([2]) التطور اللّغوي التاريخي: إبراهيم السامرائي، ط1، دار الرائد للطباعة، بغداد، سنة 1966م، ص19.

([3]) المصدر نفسه ص 38.

([4]) علم الدلالة التطبيقي في التراث النقدي: د. هلال نمر، ط1، عالم الكتب، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ج1، سنة 2006م، ص 301.

الحائط جزءاً من السقف كما كان السقف جزءاً من نفس البيت، كما كان الحائط جزءً من البيت لكنه كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا ينفك السقف عنه".[1]

وتجدر بنا الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين دلالة الالتزام والتضمين وهو فيما يلي:

1/ "الالتزام يكون خارجاً عن مسمى اللفظ، أما التضمين فيكون داخلاً في مسمى اللفظ"[2]، فعندما نصف بيتاً بأنه كالقصر، فاللازم هنا وصف البيت بالفخامة ولا نستطيع أن نجد شيئاً في البيت نحسه ونراه وتقول: إن هذا الشيء اسمه الفخامة، ولكن عندما ننطق لفظ البيت، ونريد الجدران، نستطيع رؤية هذه الجدران ولمسها.

2/ دلالة الالتزام أعم من دلالة التضمين لأن اللازم لا جزء له وما يشتركان فيه أن كليهما يحتاج إلى العقل حتى يعرف وكلاهما دلالة لفظية عقلية". [3] وما بين المطابقة والالتزام نرى أن دلالة الالتزام مساوية لدلالة المطابقة وذلك ضرورة لامتناع خلو مدلول اللفظ المطابق عن لازم كما أن المدلول أي المضمون واللازم بسيط لا جزء له.

3/ الدلالة عند الأصوليين: هي "كون اللفظ بحيث إذا أرسل علم منه المعنى للعلم بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى"[4] ويشير هذا التعريف إلى قضيتين مهمتين هما: قضية اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما، وقضية اختلاف تعريف الدلالة واللُّغويين للدلالة. وتعريف الأصوليين الذين يرون أن المناطقة هي "كون الشيء والمراد بالشيء هنا مطلق"[5] الأمر في الحين، بحيث يقول الأصوليون الدَّلاَلَةُ (كون اللفظ)، والمقصود

([1]) المستصفى في علوم الأصول، أبو حامد محمد الغزالي، ط1، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، لبنان، ج1، سنة 1997م، ص74.

([2]) عروس الأفراح، السبكي ج1، ص206.

([3]) المصدر نفسه، ص207.

([4]) دلالة الألفاظ عند الأصوليين، محمود توفيق محمد سعد، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة، سنة 1987م، ص11.

([5]) التعريفات، على بن عمر الجرجاني، بيروت، ص109.

باللفظ ما تحقق نطقه وتأكد سماعه، والأشياء التي تدل على غيرها كثيرة ومتنوعة، منها: اللفظية وغير اللفظية، فاللفظية أو الألفاظ معروفة، وغير الألفاظ هي مثل: الخط، الإشارة، العقد، النصبة أي الحال، ونحن نهتم ونتحدث عن "الدلالات اللفظية أي دراسة ما تؤدي به الألفاظ والعبارات من دلالة على معانيها"[1] ويُعدّ الجاحظ أول من حدد هذه الدلالات وفصل القول فيها، إذ يقول في معرض حديثه في البيان: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولهما: اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد* ثم الخط ثم الحال التي تسمى النصبة".[2]

فالمقصود بالدلالة اللفظية هي دلالة اللفظ على معناه كدلالة لفظ الاسم على معناه (ذهب) على ذلك المعدن النفيس، وكذلك دلالة لفظ الفعل (ذهب) على الانتقال من مكان إلى آخر بحسب ما استعمل لفظ الفعل (ذهب) في الجملة.

ودلالة (الخط) هي دلالة الرمز المخطوط على ما ترمز إليه، كدلالة خط (ق.ل.م.)، (قلم) على اللفظ المعبّر عن تلك الأدلة المستعملة في الكتابة.

دلالة(الإشارة) كبعض حركات أجزاء اليدين: اليدين والرأس والشفتين والحاجبين والمنكبين، وكلها حركات تدل على الموافقة أو الرفض، ودلالة الإشارة شريكة دلالة اللفظ، وكثيراً ما ينوب الإيماء عن اللفظ. أما دلالة العقد فهي دلالة استعملها العرب للحساب بالأصابع دون اللفظ والخط، وتبدأ من الدلالة بثني خنصر اليد اليمنى إلى قرب أصل الخنصر بينه وبين الكف دلالة على العدد واحد، ومنها ثني وسط اليد اليمنى يدل على العدد خمسة وهكذا. أما دلالة النصبة فهي دلالة على الحال

([1]) دلالة الألفاظ عن الأصوليين: محمود توفيق محمد سعد، ط1، ص13،.

*العقد: ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال به حساب اليد، وقد ألفت فيه كتب وأزاجير، البغدادي: خزانة الأدب وغاية الأدب، تقي الدين أبو بكر على المعروف بأن حجة الحمودي، ط1، شرح: عصام شعيتو، منشورات دار الهلال، بيروت، ج3، سنة سنة 1987م، ص147.

([2]) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ط2، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الخانجي، مصر، ج1، سنة 1960م، ص76.

والهيئة العامة للشخص أو الشيء على معنى، ويقول الجاحظ في تعريفها: "وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد"[1].ويفهم من قوله هذا أن النصبة هي الوضعية التي تكون عليها الأجسام وتقوم مقام اللفظ والإشارة في أداء المعنى.

الصلة بين اللفظ والمدلول:

إن التفريق بين الدلالة والمعنى لأمر عسير التحديد، لتداخل مباحثهما لدى العلماء قديماً وحديثاً، وقد أدى هذا التداخل إلى جواز استعمال اللفظين، "الدلالة والمعنى بمعنى واحد، وكأنهما مترادفان متساويان وهذا ما يقدّره التهانوي في مقدمة كتابه إذ يقول: ولعل علم الدلالة أو حقل المعنى من أدق العلوم في الدراسات اللّغوية"[2] "فإذا كان علم الدلالة هو: ذلك العلم الذي يدرس المعنى"[3].

فإن الدراسات الدلالية في الدرس اللّغوي العربية مرتبطة أساساً بدراسة المعنى، إلا أننا لا نكاد نجد عند علماء العرب القدماء تعريفاً واضحاً ومحدداً للمعنى، إلا بعض الأقوال المتفرقة مثل ما جاء في كتاب الصاحبي لابن فارس أن المعنى هو "القصد، والمراد: يقال عنيت بالكلام كذا، أي قصدت وتعمدت، قال قوم: اشتقاق المعنى من الإظهار، يقال: عنت القربة إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته، قال الفرّاء (لم تعن بلادنا بشيء)، إذا لم تنبت، وحكى ابن السكيت: لم تعن من عنت تُعنى: فإذا كان هذا المراد بالمعنى الشيء الذي يفيده اللفظ"[4] وجاء في تاج العروس: قال الفارابي:

([1]) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ط2، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الخـــانجي، مصر، ج1، سنة 1960م، ص76.

([2]) تطور البحث الدلالي: دراسة النقد البلاغي واللّغوي، محمد حسين على الصغير، ط1، مكتبة العاني، بغداد، سنة 1988م، ص19.

([3])علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ط5، عالم الكتب ،القاهرة، سنة 1998م، ص11.

([4]) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس، تحقيق: مصطفى الشويمى، المكتبة العربيـــة، بيروت، لبنان، سنة 1964م، ص192.

"ومعنى الشيء ومعاناته واحد، ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ، ويجمع المعنى على المعاني وينسب إليه فيقال (المعنوي، وهو ما لا يكون للسان فيه حظ، إنما هو المعنى يعرف بالقلب"[1] ومن ذلك فإن المعنى يطلق ويراد به معان عديدة أهمها:

- "المراد من الكلام والقصد منه، وما يقصده بشيء.
- مضمون الكلام ويقتضيه من دلالة.
- أن المعنى شيء غير اللفظ.
- أن المعنى خفي لا يدرك إلا بالقلب أو العقل"[2].

كما أورد الزبيدي عن المناوي أن: "المعاني هي الصور الذهنية من حيث وضع الألفاظ التي أداها المعنى، فالصور الحاصلة في العقل من حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ثم يجعل لهذه الصورة الذهنية أسماء اصطلاحية، تطلق عليها بحسب مراتب حصولها، فيقول: "الصورة الحاصلة من حيث إنها تقصد باللفظ تسمى معنى، ومن حيث حصولها على اللفظ في العقل تسمى مفهوماً، ومن حيث إنها مقولة في الجواب ما هو؟ تسمى ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى الحقيقة، ومن حيث امتيازها من الأعيان تسمى هوية"[3] وكلما كانت الدلالة هي: إثارة اللفظ للمعنى الذهني، كما كانت: "كل شيء له وجود خارج الذهن، فإن أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك

([1]) تاج العروس من جوامع القاموس، الزبيدي، ط1، تحقيق: على شيري، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، سنة 1964م، ص711.

([2]) المصدر نفسه، ص712.

([3]) تاج العروس، الزبيدي، باب الواو والياء، ج19، ص713.

أقام اللفظ المعبّر به عن هيئة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وآذأنهم"[1] فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ.

– فلما كانت الكلمات مركبة من وحدات صوتية ضم بعضها إلى بعض فولدت معنى يعبّر عن شيء محسوب، والصورة الذهنية والشيء الخارجي هو المعنى نفسه، والصور الحاصلة تمثل الفكرة، وهذا ما يعرف بنظرية مثلث المعنى، "إذ يطلق مصطلح (الدال) على الاسم أي الرمز، كما يطلق مصطلح (معنى) على الفكر المقصود التعبير عنه، أي مدلول الاسم"[2].

وقد حدّد عبد القاهر الجرجاني مفهوم المعنى مأخوذاً من وظيفة لفظ أو دلالته الوضعية، إذ يقول: " ويعني المعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه من غير واسطة"[3] مما تقدم فإن المعنى هو موضوع البحث في علم الدلالة، إلا إنه يصعب تعريفه، مما أدى إلى اختلاف الدارسين في تحديده، وتوسع شقة الخلاف بين الآراء، وقد أسهم في ذلك اختلاف مناهج الباحثين، واختلاف مجالات بحوثهم المعرفية، مع كثرة المصطلحات المستعملة في هذا المجال المعرفي، التي لم يحصل الاتفاق على معانيها.

لا يمكن أن تكون الدلالات ذات منفعة أو ذات أهمية لكي تخدم الأهداف الاجتماعية بل أن تكون بين الجماعة، وبذلك تحول الدلالة إلى مفهوم عام ذي منفعة عن طريق الفهم الجماعي الهادف إلى حقيقة مشتركة، بما "أن اللغة نظام من العلامات فهي بذلك جماع بين عنصرين أساسين هما: الكلمات أو الألفاظ المعاني أو

([1]) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن القرطاجني، ط21، تحقيق: محمد الطيب الخوجــة، دار المغــرب الإسلامي، سنة 1981م، ص18.

([2]) اللغة والدلالة: عدنان ابن ذريل، ط1، دار الفكر، بيروت، سنة 1986م، ص48.

([3]) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة: سنة 1986م، ط1.

الأفكار، وبين هذين العنصرين ارتباط وثيق فمتى عرف اللفظ أمامه أدرك معناه وتحصيله" [1]، ومع ذلك كان للدلالة مفهوم اقتران الدال بالمدلول.

1-الدال: وهو أداة الإشارة إلى الفكرة الذهنية المجردة، والحامل لها والمعبّر عنها، وقد يكون هذا الدال منطوقاً يلتقط به اللسان لفظاً أو تركيباً كما يكون شكلاً أو إشارة، ويعرّفه دي سويسر بأنه: الصورة الصوتية أي "الصورة الإصغائية، وهي ليست الصوت الفيزيائي المحض، وإنما الأثر النفسي الذي يحدثه الصوت في الذهن" [2].

2-المدلول: "هو الفكرة أو المعنى الذي يحمله الدال ويعبّر عنه، أو هو القالب اللفظي الموضوع له وضعاً خاصاً، يعرّفه دي سويسر بأنها التصور" [3]. ويعرّفه :أحمد محمد قدور بأنه "الصور المفهومية التي تعبّر عن التصور الذهني يحيلها إليه الدال" [4]

فليس المدلول هو الشيء، بل التمثل النفسي للشيء. فالكلمات (لؤلؤ)، و(نرجس) و(ورد) و(العناب) و(البرد)، في قول الوأواء الدمشقي:

فأَمْطَرَتْ لُؤلُؤَا مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ ** وَرَدّاً وَعَضَّتْ عَلَى الْعِنَابِ بِالْبَرْدِ[5]

لا تطابق بين الأشياء الموجودة في عالمنا الخارجي بل التمثل النفسي أو التصور والمفهوم لهذه الأشياء الذي يوجد لدى الفرد.

3- النسبة: وهي "العلاقات القائمة بين الألفاظ والمعاني التي تدل عليها، أي: هي العلاقة القائمة بين الصورتين الصوتية والذهنية، وبحصولها يتم الفهم ويحصل الإدراك، وهي ما يصطلح عليه: بأنّ العلاقة الدالية أو الدالة تتحقق عند اقتران الدال

([1]) معجم اللسانيات الحديثة: سامي عباد خنا وآخرون، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، سنة 1987م، ص128.

([2]) محاضرات في الألسنية العامة: فردان دي سويسر، ط1، ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، دار توبقال، المغرب، سنة 1986م، ص81.

([3]) محاضرات في الألسنية العامة: فردان دي سويسر، ص88.

([4]) مبادئ اللسانيات: دار الفكر، أحمد محمد قدور، ط2، بيروت، دمشق، سنة 1999م، ص 249

([5]) ديوان الدمشقي، ص88.

بالمدلول" [1] ومن ذلك فالدلالة هي كيان نفسي يربط بين تصور ذهني وصورة صوتية، وليس بين شيء واسع، ومن ثم فإنه لا يمكن القضاء على الدال مثلاً دون القضاء على المدلول، إذ لا يمكن فصل الفكرة عن الصوت، ولا فصل الصوت فهما كوجهي الورقة الواحدة لا يمكن تمزيق الأول إلا بتمزيق الثاني.

رأي إبراهيم أنيس في الصلة بين اللفظ والمدلول:

يرى إبراهيم أنيس أن الباحثين لم يفرقوا بوضوح بين الصلة الطبيعية الذاتية والصلة المكتسبة، فالصلة التي بين الألفاظ ودلالاتها، لم تنشأ مع تلك الألفاظ وإنما اكتسبتها بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال، "ويرجع السبب في وضوح هذه الصلة في بعض الألفاظ إلى سببين: الأول: الظروف الخاصة التي تحيط بكل كلمة في تاريخها. الثاني: الحالات النفسية المتباينة التي تعرض للمتكلمين والسامعين في أثناء استعمال الكلمات" [2]

وينكر إبراهيم أنيس الصلة بين الأصوات والمدلولات، إذ يقول: "لا شك أن الذين ينكرون الصلة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطبيعة اللَّغوية، فهم الذين يجردون الظواهر اللَّغوية من كل غموض "[3]

والألفاظ كما يراها إبراهيم أنيس بمثابة الرموز على الدلالات، وكل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى بالشجرة يمكن أن يسمى بأي لفظ آخر إذا تواضع الناس عليه، واصطلحوا على استعماله، فليس في لفظ الشجرة ما يوحي بفروعها وجذورها وأوراقها وخضرتها، والألفاظ اصطنعها الإنسان للتعبير عما يجول في ذهنه، وارتبطت بالفكر الإنساني ارتباطا وثيقا، فلا يكون التفكير إلا بالألفاظ.

([1]) اللغة والدلالة: عدنان بن ذريل، ط1، ص53.

([2]) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1993م، ص157.

([3]) الدلالة اللَّغوية عند العرب: عبد الكريم مجاهد، ط1، دار الضياء، عمان، سنة 1985م، ص23.

والألفاظ ليست كإشارات المرور أو العلامات التلغرافية، بل هي مصابيح تهدي الإنسان في ظلمات الحوادث وتعينه في معترك الحياة، وتجعل منه إنساناً اجتماعياً نافعاً، ولهذا يعتز بها ويبحث عن أسرارها، وينسب لها فوق مالها في الحقيقة والواقع، فهي التي يسرت له التفكير، ولهذا وصف الإنسان بأنه المخلوق الناطق. ويقول إبراهيم أنيس: "إن أسئلة مثل كيف ربط الإنسان الأول بين الألفاظ ودلالاتها؟ ولماذا اختص العربي الشجرة بهذا اللفظ والبحر بلفظ آخر؟ ومتى بدأ هذا الربط؟ كل هذه الأسئلة لم يجدوا لها إجابات مقنعة حتى الآن"[1] ويستنتج من هذه الأسئلة أن إبراهيم أنيس لا يميل إلى القول بوجود صلة بين اللفظ ومعناه.

استحياء الدلالة من الألفاظ:

يطرح إبراهيم أنيس تساؤلاً عن ذلك القدر من الدلالة الذي يمكن أن يستوحيه المرء من أصوات ألفاظ لا يعرف معناها، ثم يُبين رأيه في هذا التساؤل إذ يقول: "إن المرء يخمن دلالة لكلمة مرتجلة لم يسمع بها من خلال ما يستخرجه من تلك الذخيرة اللفظية التي يختزنها في ذهنه والتي اكتسبها في مراحل تعلمه للغة قومه، وعند عرضها على شخص آخر يشبه الأول في وسطه الاجتماعي وفي ثقافته، فقد يستخرج لها نفس الدلالة أو قريبا منها، وهي من مظاهر السليقة اللُّغوية، كما يراها اللُّغوي المحافظ، وهذا ما يراه اللُّغوي الحديث، فالسليقة اللُّغوية عند اللُّغوي الحديث هي المران الكافي، فهي ملكة مكتسبة ولا أثر للجنس أو الوراثة فيها، ويفسر هذه الظاهرة بما يسمى وحي الأصوات، وعلى أساس ما اكتسب المرء من ألفاظ ودلالتها يستطيع استنباط مدلول اللفظ الجديد على سمعه" [2]

([1]) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط7، ص159.

([2]) المصدر نفسه: ص160.

ويقول إبراهيم أنيس: "إن لكل لغة نظاماً خاصاً في تأليف ألفاظها، فما يوجد في إحداها قد يندر في الأخرى، فاللغة العربية لها نسيجها الخاص، إذا حاد عنها، قيل إنه غير عربي" [1].

ويرى إبراهيم أنيس أن الأمر أعمق من ملاحظات القدماء القليلة، فالأمر يحتاج إلى استقراء أَوْفَى وأتم حتى نتستطيع الوقوف على نسيج الكلمة العربية،فما يمكن أن يتألف من حروفنا الهجائية يتجاوز أثني عشر مليوناً من الكلمات،ولكن المستعمل منها لا يكاد يتجاوز ثمانين ألفاً،"كما يتحدث هنا عن نسبة شيوع الحروف على حسب موضعها من الكلمة، فلو كانت نسبة شيوع الحروف متشابهة لما أصبح للغة نسيجها الخاص الذي تتميز به،ولكن اللغة تخيرت مجموعات صوتية معينة اختصتها بالدالة وأهملت الكثرة الغالبة" [2]

وقد ضمّن عبد القادر مرعي خليل في كتابه (التشكيل الصّوتي في اللغة العربية) جداول تبين نسب شيوع الأصوات في معجم الصحاح ومعجم لسان العرب ومعجم تاج العروس، "وكذلك الترتيب التنازلي لحروف معجم العين في الجذر الثنائي المضعف، وتتابع الحروف في الجذور الثنائية وغيرها من الإحصاءات التي خرج بعدها باستنتاجات عن نسج الكلام العربي"[3].

وينقل إبراهيم أنيس تجاربه مع بعض طلبة اللغة العربية في كلية دار العلوم وطلبة المدارس الثانوية، "إذ قام بعرض كلمات نادرة ومهجورة لهم مثل: كلمة: هبلع، جرفاس، نعثل، طربا، عثلط وهكذا، وبيّن لهم ما توحيه كل لفظة من دلالة: الهبلع والجرفاس والنعثل هذه صفات للرجل، والطربال صفة للبناء والعثلط صفة

([1]) المصدر نفسه: ص 163.

([2]) كتاب اللغة: عبد المجيد الدواخلي فندريس، ط2، القاهرة، ج1، سنة 1991م، ص43.

([3]) التشكيل الصوتي في اللغة العربية: عبد القادر مرعي خليل، ط1، بحوث ودراسات، ج1، عمان، سنة 2002، ص44.

للبن"[1] بما أن بعض طلبة دار العلوم لم يجيبوا بشيء عن بعض الكلمات المهجورة، وأن نسبة كبيرة من الاشتراك في استحياء الدلالات تتم في الوسط الموحد الثقافة والمتقارب في التجارب، من خلاله أن اللغة تخضع لنظام خاص في تراكيبها من الحروف الهجائية، وبعض الحروف يختزنها المرء في حافظته، وعند خضوعها للنظام العام للغة التي تتميز بصفات معينه، وتترك أثراً قوياً في ذهن من يعيها ويحفظها. واستيحاء الدلالة من ألفاظ تختلف في بعض الأحيان بين شخصين في وسط اجتماعي واحد وثقافة واحدة.

(1) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط7، ص167.

المبحث الرابع

مفهوم التطور الدلالي مظاهره وعوامله عند إبراهيم أنيس

مفهوم التطور الدلالي:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد (ابن منظور) يذكر في مادة (طوّر) المعاني التالية: "الطور: التارة، تقول طوراً بعد طور أي: تارة بعد تارة، وجمع الطور أطوار، أي: أخياف على حالات شتى، والطور، والأطوار: الحالات المختلفة، والتارات والحدود واحدها طور، والطور: الحد بين الشيئين"[1] إذ أن مفهوم التطور لا يعني التقدم ضرورة، بل هو الانتقال من طور إلى آخر، أي من شكل إلى آخر أي التغيّر.

وعندما تستخدم "لفظ (تطور) فنحن لسنا بصدد الحديث عن الأفضل أو الحكم بأن الوضع الجديد الذي ثم الانتقال إليه هو الأفضل كما أن استخدام اللّغويين المحدثين للكلمة(التطور)، لا يعني تقويم هذا التطور والحكم عليه أنه لا يعني عندهم أكثر من مرادف للكلمة(التغيّر)"[2] وهكذا التطور أمر تقتضيه طبيعة الحياة وهو شيء يفرضه الانتقال من حال إلى حال، ومن وضع إلى آخر وهو يحمل أشكالاً ومظاهر متنوعة ومتعددة فهناك التطور الاجتماعي والاقتصادي والصناعي والعلمي، ولما كانت اللغة هي الوسيلة الأفضل لإبراز هذه المظاهر كافة، فقد كان لزاماً حدوث التغير والتطور فيها بالشكل الذي يواكب التطورات السابقة جميعها ويعكسها وهذا ما دفع البعض إلى اعتبارات "اللغة كائن حي له طبيعته الذاتية، وأن تطور اللغة محكوم بقوانين ثابتة

([1]) لسان العرب: جمال الدين بن منظور الإفريقي، ط3، دار صادر، بيروت: ج9، سنة 2004م، مادة (طوّر).

([2]) التطور اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مطبعة المدني القاهرة: ج1، سنة 1983م، ص15.

كالقوانين التي تحكم مظاهر التطور الأخرى في الطبيعة".[1] وهذا ما فرض نوعاً من تطور الدلالة التي تحملها مفردات اللغة ويظهر ذلك من خلال دلالات جديدة يفرزها العصر الجديد ومكوناته الجديدة والمتطورة، وأما التطور الدلالي اصطلاحا فهو انتقال بالكلمة من طور إلى طور.

إنّ دلالة المعنى وتغير المعنى أو"(تطور الدلالة) جانب من جوانب اللغة الذي يصيب اللغة، فقد تتعرض اللغة جميعها إلى التعبير والتطور، فاللغة ليست هامدة أو ساكنة، بحال من الأحوال بالرغم من أن حركة تطورها تصبح بطيئة في بعض الأحيان قد أثبتت الدراسات اللَّغوية أن اللغة ظاهرة اجتماعية وذلك أنها قد تنشأ في أحضان المجتمع فهي كائن حي تخضع لِمَا يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره"[2] وتطور الدلالة شيء ظاهرة شائع في كل اللغات يستفيد منه كل دارس في مراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية.

وهذا التطور هو "عملية تضمن اتجاهات عامة وقواعد مطرودة وكانت الشغل الشاغل لعلم المعنى وحتى وضعت لها قوانين أطلق عليه قوانين المعنى وغالباً ما يكون هذا التطور إضافة مدلول جديد إلى كلمة قديمة ولكلمة جديدة إلى مدلول قديم، وأن هذا التطور يحدث بفعل عوامل حدد العلماء كثيراً منها بأنهاء عوامل لغوية وتاريخية واجتماعية ونفسية"[3].

مظاهر التطور الدلالي واتجاهاته:

([1])اللغة والتطور: د. عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، سنة 1969م، ص37-39.

([2]) فقه اللغة وخصائص العربية: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، ط5، دار الفكر، بيروت، سنة 1972م، ص 207.

([3]) المصدر نفسه : ص108.

اهتم اللَّغويون القدامى والمحدثون بمظاهر التطور اللَّغوي واتجاهاته، وأوردوا لها نماذج وأمثلة في كتبهم، وتناولوا فيها ظواهر لغوية مختلفة فكانت إشارات غير مباشرة إلى موضوع التطور الدلالي التي اتفقوا عليها.

تعميم الدلالة أو ما يسمى بتوسيع المعنى:

"وهو الانتقال بدلالة الكلمة من معناها المعجمي الضيّق إلى دلالة أعم وأوسع منه" [1] ، فيعنى به توسيع معنى الكلمة بإطلاق اسم الشيء الواحد على أشياء أخرى تشبهه أو تماثله ولا يتم التعميم إلا ببطء وتدرج لأن توسيع أفق الدلالة يحتاج إلى شيوع المعنى وتداوله ورسوخه في أذهان المتكلمين باللغة فكلمة (القوم) كانت تدل على الرجال ثم اتسع معناها فشمل الرجال والنساء والدليل على ذلك أن القرآن ميّز الرجال دون النساء بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [2] ولو كانت النساء بعض القوم ما خصهن القرآن الكريم بعبارة معطوفة على عبارة الرجال ثم اتسع مدلول الكلمة فشمل الرجال والنساء.

قال(ابن فارس) "ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن كلمة (القوم) للرجال دون النساء فسمعت على بن إبراهيم يقول سمعت ثعلبة يقول: امرؤ وأمران وقوم، وامرأة وامرأتان ونسوة القوم للرجال دون النساء ثم يخالطهن النساء"[3] يبدو أن كلمة القوم ازدادت اتساعاً بعد (ابن فارس) حتى أصبحت في العصر الحديث تقارب لفظة الأمة

([1]) الكلمة : حلمي خليل ، دراسة لغوية معجمية، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، بدون تاريخ نشر، ص117.

([2]) سورة الحجرات، الآية (11).

([3]) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس، ط1، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المصارف، بيروت،1993م، ص305.

أو ترادفها فمثلاً أيضاً كلمة(البأس) كانت خاصة بالحرب ثم أصبحت تطلق على كل شدة وكلمة(عنترة) المحارب الذي يسير على رجليه أي غير الفارس، واليوم تطلق على كل بشر من بين الناس.

فقد لاحظ "الدكتور إبراهيم أنيس انتقال بعض الألفاظ من الدلالة الخاصة إلى العامة فقال: ومن هذا التعميم أيضاً تحويل الأعلام إلى صفات فالعلم(قيصر) وقد يطلق ويراد المجنون، و(حاتم) الكريم المضياف، و(عرقوب) المخادع القليل الوفاء".[1]

فقد علّل إبراهيم أنيس تعليل الدلالة تعليلاً نسبياً وهو "أن الناس يرقبون في راحة أذهانهم من التماس الدقة في التعبير فهم بذلك لا يكادون يحرصون على الدلالة الدقيقة المحدودة وهم بذلك قد ينتقلون من الدلالة الخاصة للعامة إيثاراً للتيسير على أنفسهم، حيث يطلقون الدلالات ما تلاحظ على الأطفال حيث يطلقون اسم الشيء على كل ما يشبهه لأدني ملابسة أو مماثلة وذلك لقصور محصولهم اللّغوي وقلة تجاربهم مع الألفاظ فقد يطلق الطفل لفظ الأب على كل رجل يشبه أباه وفق زيه وقامته". [2]

تخصيص الدلالة: أي تضيق المعنى

وفي اللغة ألفاظ تضيق بعد سعة، فتنتقل دلالتها من الخاص إلى العام ويساعد ذلك في تنظيم الحياة، وسن القواعد، ووضع التشريعات الضابطة، فقد كان الحج يعني الزيارة، ثم جعل الإسلام للحج شعائر ومناسك وخصّه بزيارة البيت الحرام في زمن معين من العام.

قال ابن فارس: الحاء والجيم أصول أربعة: فالأول القصد، وكل من قصد الحج، قال:

وأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيْرَةً ** يَحُجُّوْنَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا [3]

لاحظ إبراهيم أنيس انتقال الدلالة من العموم إلى الخصوص في الفصيح العامي على السواء فقال: "تخصصت كلمة (الحريم) فبعد أن كانت تطلق على محرم

([1]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهر: ج1، سنة 1984م، ص155.

([2]) أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الانجلو المصرية، القاهر: ج1، سنة 1966، ص117.

([3]) البيت للمخبل السعدي: رواه الجوهري في الصحاح(سب) وورد في اللسان(سب).

لا تمس أصبحت الآن تطلق على النساء"[1] وعلّل تخصيص الدلالة تعليلاً عقلياً، وهو الهرب من المفاهيم الكلية المجردة إلى الأشياء القديمة من الحواس، فقال: "الناس في حياتهم العامة ينفرون عادة من تلك الكليات التي لا وجود لها إلا في الأذهان، ويؤثرون الدلالات الخاصة التي تفتش نعمهم فيرونها ويسمعونها".[2]

انتقال الدلالة أو تحويل المعنى:

ويعتمد هذا النوع على "(تغير) مجال الاستعمال فالمعنى الجديد هنا ليس أكثر خصوصية من المعنى القديم والأعم إنما هو مساوٍ له وذلك يتخذ الانتقال من المجاز سبيلاً له، لما يملكه المجاز من قوة التصرف في المعاني عبر مجموعة متعددة من العلاقات والأشكال"[3].

قد ينتقل بالتطور معنى الكلمة إلى الدلالة على ما يجاورها أو ما ينتج عنها، وصنّف علماء البلاغة هذا الشكل من أشكال الانتقال بين ضروب المجاز المرسل.

قال "(ابن فارس) السين والميم والواو أصل يدل على العلو يقال: سموت إذا علوت، والعرب تسمى السحاب سماء والمطر سماء، فإذا أريد به المطر، السماء: الشخص، والسماء: سقف البيت، وكل عال مطل سماء، حتى يقال للقمر المضيء سماء ويتسعون حتى يسموا النبات سماء، ويقولون: مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، يريدون المطر".[4]

هذا النوع من أنواع التطور الدلالي فيه أشكال تتمثل في الانتقال من المحسوس إلى المجرد، والانتقال عن طريق الاستعارة، والانتقال عن طريق المجاز، ويصف أحمد مختار عمر مظهرين آخرين من مظاهر تطورا لدلالة وهما:

1/ انحطاط الدلالة:

([1]) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط5، ص302.

([2]) أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط3، ص133.

([3]) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط5، عالم الكتب، القاهرة: سنة 1998م، ص247.

([4]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس،ج3، مادة (سمو).

كثيراً ما يصيب الدلالة بعض الأنهيار أو الضعف فتراها تفقد شيئاً من أثرها في الأذهان أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال في المجتمع الاحترام والتقدير وقد تنحط دلالة بعض الألفاظ وتصير مبتذله، وذلك بأن يكون اللفظ متصفا بالقذارة والدنس "(حين نقارن بين كلمتين عربيتين بمعنى واحد، هما: المودة والصداقة) ترى أن الأولى أصبحت الآن مبتذلة وأوشكت على الانزواء من الاستعمال، ويحل محلها كلمة (الصداقة) التي لا تزال تحتفظ بقدر من الاحترام والاحتشام في الوسط لاجتماعي".[1]

2/ رقي الدلالة:

وكما تنهار وتضعف دلالة بعض الألفاظ فأنها يصيبها رقي في الدلالة أيضاً ولكنه أقل حدوثاً وشيوعاً من الانحطاط، قد ترتقي بعض الألفاظ في دلالتها، فلفظة: "(رسول) كانت تدل على أي شخص يرسل في أمر من الأمور عظيمًا كان أمراً تافهاً، فارتقى الإسلام بدلالتها فجعلها تدل على الشخص الذي تلقى وحياً من الله أو أرسل برسالة ليبلغها الناس".[2]

عوامل التطور الدلالي:

تتطور كثير من ألفاظ اللغات مع مرور السنين، ولهذا التطور أسباب وعوامل، وهذه العوامل قد تكون لاشعورية، أي لا يفطن إليها إلا بعد المقارنة بين العصور، ومنها المقصود المتعمد، وهو الذي يقوم به المهرة في صناعة الكلام أو تقوم به المجامع اللَّغوية، ويعزو إبراهيم أنيس التطور الدلالي إلى عاملين أساسيين هما: الاستعمال والحاجة ولكل منهما عناصره ومقوماته.

أولاً: الاستعمـــــال

الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن ولو كانت كذلك لبقيت جيلاً بعد جيل دون تغير أو تحويل، بل وجدت ليتداولها الناس ويتبادلونها في حياتهم الاجتماعية، والناس يختلفون من جيل إلى جيل حتى في البيئة الواحدة والجيل الواحد، "فالدلالة تتشكل

([1]) أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص141.

([2])المصدر نفسه ، ص142.

وتتكيف بالتجربة والذكاء والأحداث ولهذا نرى انحرافاً في الدلالة مع توالي الأجيال".[1]

ويلخّص إبراهيم أنيس عناصر الاستعمال فيما يلي:

1- سوء الاستعمال:

تحدث هذه الظاهرة عندما يسمع الشخص لفظاً ما للمرة الأولى، فيُسيء فهمه فيوحي في ذهنه دلالة بعيدة عما في ذهن المتكلم، وقد لا تتاح للسامع فرصة لتصحيح خطئه، ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطاً بتلك الدلالة الجديدة،، "وبهذا يتطور اللفظ تطورا مفاجئاً يرثه الجيل الناشئ ويركن إليه، ويتم مثل هذا التغير الفجائي في البيئات البدائية، وحيث الانعزال بين أفراد الجيل الناشئ وجيل الكبار، فتسود الدلالة الجديدة، فلا يستطيع الدارس أن يجد لها تعليلا وتبقي الدلالة الجديدة مع الدلالة الأصلية فيظن الناس أن للّفظ دلالتين مستقلتان، فينشأ في اللغة ما يسمى بالمشترك اللفظي في صورته الأصلية الحقة"[2] وهو رأي انفرد به إبراهيم أنيس في تعليل حدوث المشترك اللفظي، "ويرى إبراهيم أنيس أن في ظاهرة سوء الفهم تفسيراً لكثير من الدلالات المتباينة التي لا يوجد ارتباط فيما بينها ولا وجه شبه فمثلاً عندما يقال إن كلمة (الليث) هي:

الأسد، وهي أيضاً العنكبوت، فإننا لا نجد تفسيراً معقولاً غير سوء الفهم وذلك لحدوث المشترك اللفظي"[3]. ويسمي إبراهيم أنيس ما جاء على شاكلة فناء وثناء تطوراً صوتياً، ويسميها رمضان عبد التواب تعاقب الأصوات مثل: "(حثالة وحفالة للرديء من كل شيء، وهناك انقلابات صوتية أخري ليست إلا نتيجة لأخطاء السمع)"[4]، ويرجّع إبراهيم أنيس السبب في وجود ظاهرة سوء الفهم إلى القياس الخاطئ، وهي تلازمنا في جميع مراحل الحياة، فنحن نقوم باستنباط الجديد على أساس القديم،

([1]) عوامل التطور اللَّغوي: دراسة في نمو وتطور الثروة اللَّغوية: أحمد عبد الرحمن حماد، ط1، دار الأندلس، بيروت: سنة 1983م، ص42.

([2]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص167.

([3]) المصدر نفسه، ص 171.

([4]) لحن العامة والتطور اللَّغوي، رمضان عبد التواب، ط1، دار المعارف، القاهرة: سنة 1967م، ص12.

وذلك بالاعتماد على النفس في قياس ما لم نعرف على ما نعرفه، وقد نصيب ونصل للدلالة الصحيحة أو الخطأ، ويسمى حينئذ بالقياس الخاطئ.

1/ موت الألفـــــاظ:

يتجدد الموروث من الثروة اللفظية عن طريق ابتكار مفردات وصوغ كلمات جديدة الافتراض، وفي المقابل هناك كثير من الكلمات والمعاني التي نطالعها في آثار شكسبير مثلاً، قد أهملت وسقطت من الاستعمال الآن، "ويصيب بعض الألفاظ تغير في الصورة مما يؤدي إلى التشابه مع لفظ آخر في صورته، ويمثل إبراهيم أنيس على ذلك بكلمة(القماش) فهي في القاموس المحيط بمعنى أراذل الناس، والقماش ما وقع على الأرض من فتات الأشياء". [1]

ولم يرد ذكر لدلالتها المعروفة لنا الآن في المعاجم، وينقل عن بعض الدارسين إن كلمة(قماش) مأخوذة من كلمة(كماش) الفارسية التي بمعنى نسيج من قطن خشن، والعرب نطقت القاف في(قماش) جيماً أو كافاً، لسبب أو لآخر، فأشبهت الفارسية وانصرفت دلالتها إلى الفارسية بمعنى نسيج. وتطور صور الكلمات يترتب عليه تطور في الدلالة، وقد يصل التطور إلى مداه، فتندثر الكلمة من الاستعمال وخاصة عندما تكون قصيرة البنية "ويعطي(فندريس) مثالاً لذلك بكلمة (os) اللاتينية التي معناها الفم، فقد اندثرت من اللغات الأوروبية الحديثة التي انحدرت عن اللاتينية".[2]

فأسباب اختفاء الكلمات من الاستعمال كثيرة ومتعددة، فقد يكون الجانب الصوتي أي اللفظ نفسه، "فالكلمات الشديدة القصر كثيراً ما تختفي ليحل محلها كلمات أكثر أهمية كما يكون الترادف هو السبب الفعال في اختفاء الكلمات، كما تنقرض بعض الكلمات بسبب غموض المعنى أو بتأثير الانحراف اللُّغوي الذي يتصل بالغريزة الجنسية والقذارة".[3]

3- الابتـــــذال:

([1]) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ط2، دار الجيـــل، بيـــروت: ســـنة 1973م، ص45.

([2]) كتاب اللغة، عبد الحميد الدواخلي فندريس، ط2، ص197.

([3]) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ط10، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ص47.

تتغير نظرة المجتمع إلى دلالة بعض الألفاظ بتوالي العصور ويكون التطور لأسباب منها السياسي والاجتماعي والعاطفي، "ومن أوضح مجالات التغير الألقاب والرتب الاجتماعية، فبعض الظروف السياسية تتطلب الحط من ألقاب ورتب اجتماعية، مثل إلغاء الألقاب والرتب في مصر مثلاً: باشا وبيك وأفندي وهكذا وما تزال إلى الآن". [1]

"ويورد إبراهيم أنيس مثالين على انحطاط الدلالة الأول: كلمة(وزير) والثانية كلمة (حاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسية رئيس الوزراء، وصارت إلى ما هو معروف الآن" [2] فالدلالة إما أن تنحط أو تنزوي وتندثر بفعل الظروف السياسة فلا تجري على الألسنة ولا ترد في الاستعمال. ومن تلك الأسباب الواضحة في ابتدال الألفاظ تلك التي تتصل بالناحية النفسية والعاطفية، "فقد يكون اللفظ قبيح الدلالة أو يتصل بالقذارة والدنس أو بالغريزة الجنسية فتندثر الألفاظ ويحل محلها ألفاظ أخرى أقل وضوحاً وأكثر غموضاً، واللفظ قبيح الدلالة يطلق عليه الانحراف اللَّغوي وخاصة تلك التي تتصل بالغريزة الجنسية والأعضاء التناسلية والقذارة" [3] فالألفاظ التي تشير إلى التبول والتبرز دائمة التغير والتطور في دلالتها، "ولتوضيح ذلك عرض إبراهيم أنيس الألفاظ التالية: (الكرسي، المستراح، بيت الراحة، بيت الأدب، المرحاض) وعندما عرضت اللغات للناحية الجنسية وما يتصل بها كان التطور أسرع والتعمية مطلوبة"[4] "فللأعضاء التناسلية في كل لغة كلمات مبتذلة وأخرى محترمة وللعملية الجنسية في كل لغة كلمات مفضوحة ينفر منها الناس، وأخرى معماة مكنية يقبلون عليها، وقد كنى القرآن الكريم على العملية الجنسية بألفاظ كريمة: السر، الحرث، الإفضاء، المباشرة، الملامسة، الدخول، الرفث". [5]

([1]) عوامل التطور اللَّغوي: أحمد عبد الرحمن حماد، ط1، دار الأندلس، بيروت، سنة 1983م، ص151.

([2]) في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص211..

([3]) علل اللسان وأمراض اللغة، رؤية لغوية الكينيكية وانعكاساتها الاجتماعية، محمد كشاش، ط1، المكتبة العصرية، القاهرة، سنة 1998م، ص122.

([4]) دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، ط1، ص136.

(1) علل اللسان وأمراض اللغة: محمد كشاش، ص123.

ومن أوضح الأبواب التي تبتعد عنها هي التي تتصل من قريب أو بعيد بالموت والأمراض والأشباح والعالم الروحاني، فهذه الألفاظ تثير الخوف والرعب في نفوس البشر فينفرون من سماعها، "ولذلك تتعرض إلى التغير الدائم والتطور السريع فينزوي بعضها وتصبح نادرة الاستعمال، ويستعيض عنها الناس بألفاظ تعبّر عن هذه الدلالات في رفق لا يفزع منها السامع وتقوى هذه الظاهرة في البيئات البدائية، وفي الأرياف المصرية يسمى الناس الحمى بالمبروكة أو بالتعبير العامي (اللي ما تتسمى)، وفي الأردن يقولون لمرض السرطان الخبيث ودائماً نلجأ إلى العبارات الرقيقة حول المقصود عندما نضطر إلى إلقاء الأخبار السيئة وخاصة أخبار المرض والموت".[1]

ويرجّع إبراهيم أنيس السر في هذه التعمية لما استقر في أذهان الناس من الربط بين اللفظ ومدلوله ربطاً وثيقاً فيعتقد أن مجرد ذكر الموت يستحضر الموت، "ويخلص إبراهيم أنيس إلى أن تفادى ذكر الأسماء ليس مقصوراً على الشعور بالخوف أو الاشمئزاز من ذكرها بل قد يكون ذلك للهيبة وشدة الاحترام فالصغير لا يذكر اسم أبيه أو معلمه أو رئيسه ويكنى عنه بكلمة أخرى، وهكذا تحل ألفاظ محل ألفاظ أخرى، وتكتسب ألفاظ دلالة جديدة وتتم هذه العملية في صورة تدريجية تستغرق زمناً طويلاً والمسؤول عنها المجتمع في البيئة اللَّغوية"[2].

ثانياً: الحـــاجة

وهي العامل الثاني من عوامل تطور الدلالة، "فالتطور قد يكون وليد الحاجة إلى التجديد في التعبير، ويقصد إليه قصداً ويتم عادة على يديّ الموهوبين من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء والأدباء كما تقوم به المجامع اللَّغوية أو الهيئات العلمية"[3]، فإذا احتجنا مثلاً إلى كلمة لإطلاقها على تسجيل، بمعنى الأسطوانة المعروفة في عالم الغناء والموسيقى فأقرب طريق إلى ذلك هو توسيع المعنى أي معنى كلمة تسجيل بحيث تشمل التسجيل بمعنى الأسطوانة أو المسجل بالإضافة إلى عملية التسجيل نفسها.

([1]) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ص43.

([2]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص243.

([3])علم الدلالة والمعجم العربي: عبدالقادر أبو شريفة، ط1، دار الفكر، بيروت، سنة 1989م، ص45.

ومن عناصر الحاجة ودوافعها التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، "فاللغات تتبع الأمم في صعودها وهبوطها إذ لا وجود للغة بغير المتكلمين بها، ولهذا تستجيب الأمم عادة لمظاهر الحياة فتعمل على تغيير بعض دلالات ألفاظها لتساير الزمن"[1]، فحياة الناس تغيّرت تبعاً لذلك الأدوات والمواصلات والأبنية، ونتيجة لهذا التطور وجد الإنسان نفسه مضطراً إلى التطور في الألفاظ المعبّرة عن أدواته وصناعاته وملابسه فلجأ إلى الرجوع إلى الألفاظ ذات الدلالات المندثرة فيحي بعضها ويطلقه على مستحدثاته وهكذا.

"كما يقول إبراهيم أنيس وجدنا أنفسنا أمام مجموعة كبيرة من الألفاظ القديمة وبصورة جديدة من الدلالة مثل: سيارة والبريد والقاطرة والقطار والثلاجة والمذياع وغيرها من الألفاظ التي أحياها الناس واشتقوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تتطلبها الحياة الجديدة"[2].

وهذه العملية تتم عن طريق المجامع اللّغوية أو يقوم بها بعض الأشخاص الموهوبين مثل الأدباء والكتاب والشعراء، وقد يصل الشيوع في بعض الدلالات الجديدة أن تنسى معه الدلالة القديمة نسيانا تاماً، ويضرب مثلاً على ذلك بكلمتي السيارة والقاطرة، فمن يسمع السيارة لا يخطر في ذهنه صورة القافلة في الصحراء، ولا يخطر في ذهنه الناقة الأولى التي تسير القافلة على هديها إذا سمع كلمة القاطرة.

كما تكون الدعاية السياسية والاقتصادية حافزاً كبيراً لتوليد تلك الألفاظ الجديدة، "فأصحاب الإعلانات التجارية يتخيرون الألفاظ ويصبغونها بدلالات جديدة جذابة رغبة في ترويج بضائعهم، فالحلاق يطلق على دكأنه (دار الزينة) وصاحب المشروبات يطلق على محله (جنة الفواكه)، والخياط يطلق على محله (دار الأناقة)"[3].

أيضاً لجأ إبراهيم أنيس إلى الألفاظ واللغات الأجنبية، ليعبّر الإنسان عن أدواته وصناعته وملابسه، "فاللغات يستعير بعضها من بعض فعندما يواجه المتكلم بالنقص

([1]) دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، ط7، ص323.

([2]) دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، ط7، ص 326.

([3]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص337.

أو القصور في الثروة اللّغوية، فأنه يلجأ إلى أسهل الطرق وأقر بها منالاً، ومن هذه الطرق الاقتراض من اللغات الأجنبية، وعلى الرغم من أن الكلمات المقترضة لم تحظ كلها بالقومية الكاملة في أوطأنها الجديدة، فقد امتص بعضها امتصاصاً كاملاً بحيث لم يبق لها أي اثر من أثار أصولها الأجنبية"[1] من أسباب الاستعارة أن الألفاظ المستعارة تعبّر عن أشياء تختص بها البيئة المستعار منها، أو لمجرد الإعجاب باللفظ الأجنبي، والاستعارة تقتصر على الألفاظ والكلمات، وفي هذا يقول إبراهيم أنيس: "ليست كل الألفاظ قابلة للاستعارة، فهناك ألفاظ عصية على الاستعارة، وهي تعد من العناصر القديمة والأصيلة المميزة للغة، فليس من المرغوب أو اليسير التخلص منها أو استجلاب منافس لها، كألفاظ الأعداد في كل لغة، والضمائر وألفاظ الإشارة والموصول، ويضيف إبراهيم أنيس أن للاستعارة أثراً كبيراً في تطور الدلالة، فنحو نصف ألفاظ اللغة الفارسية مستعار من اللغة العربية، ونصف ألفاظ اللغة التركية مأخوذ أما من الفارسية أو العربية، ولا نكاد نظفر بتلك اللغة التي تعد خالية من أي عنصر أجنبي، اللّهم إلا بين عدد قليل من لغات القبائل البدائية في العالم"[2].

ومما سبق يتضح لنا أن نقل الدلالة المتعمد من مجال إلى مجال آخر هو ما تطلبه مستحدثات الحياة من مخترعات، فيتم نقل الألفاظ من مجالها القديم إلى مجال دعت إليه الحضارة مثل كلمة السيارة، وفي هذا المستوى نرى أن إبراهيم أنيس لم يلتزم بآراء مدرسة لغوية معينة فقد تضمن كتاب دلالة الألفاظ عدداً من النظريات، بعضها متفقة وأخرى مختلفة، وخاصة في نشأة اللغة، كما عرض لآراء الفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس والاجتماع، كما اعتمد على علماء غربيين أمثال جسبرسن، وبلو مفيد، وسابير، وغيرهم، وقد أخذ نظريات نشوء اللغة من (جسبرسن)، وأخذ عن علماء العرب أمثال أبي على الفارسي، وابن جني وغيرهم. ويبقى كتاب دلالة الألفاظ مميزاً لأنه أول كتاب مستقل في الكتابة الدلالية في الوطن العربي وبه فتح إبراهيم أنيس الطريق لمن جاء بعده في هذا الجانب.

([1]) دور الكلمة في اللغة: استيفن أولمان، ص121.

([2]) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط7، ص 411.

الفصل الثاني

أدوات الدرس اللّغوي في كتابيّ أسرار اللغة ودلالة الألفاظ

المبحث الأول: السماع.

المبحث الثاني: القياس.

المبحث الثالث: العامل.

المبحث الرابع: الإجماع.

المبحث الأول

السمـــــــــــــــاع

للسماع اعتبار كبير في المذاهب النحوية، إذ يعد عاملاً مهماً في تقييد النحو وأخذ اللغة، ومن ثم بنيت عليه قواعد متباينة بين المدارس النحوية.

"والناظر لمجهودات الأولين في العالم يلحظ الاهتمام الواسع به، وظهر ذلك جلياً من رحلات العلماء وسياحتهم في البوادي يأخذون اللغة النقية الصافية من منابعها، وبالرغم من أن الاتفاق حول أمر السماع بين المدارس النحوية بوصفه مبدأً يؤخذ به، إلا أن ثمة خلافات وآراء حول ممن يسمع ؟وإلى أي مدى يصح الأخذ بما سمع؟

وظهر في بداية نشوء المدارس النحوية الاختلاف حوله بين المدرستين الكبيرتين، فقد تشدد البصريون كعاداتهم، فكان أئمتهم لا يثبتون في كتبهم النحوية إلا ما سمعوه عن العرب الفصحاء، وتفاخروا بذلك على نظرائهم الكوفيين، حتى قال قائلهم نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد.

وقد قيل إن الكسائي إمام المدرسة الكوفية كان "يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن، وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلاً يقيس عليه حتى أفسد النحو"[1].

"وذلك يوضح بجلاء الخلاف في منهج البحث، والمقياس الذي وضع كأساس لدى أئمة المدرستين، وبالجملة فقد كان البصريون قلة، ويضيقون مقاييسهم تضييقاً يحرم اللغة كثيراً من الأساليب والاستعمالات اللَّغوية، بينما اتجه الكوفيون وجهةً تعود

([1]) معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ج13، ص 183.

على اللغة والنحو بالتطور والاتساع، وعلى هديهم سار ابن مالك فقد أخذ عن كل القبائل وهذا هو الأمر الذي جعل أبا حيان يكثر من الاعتراض عليه".[1]

وقد اعتد ابن مالك بالسماع وجعله معضداً لآرائه واحتج بما سمع عن العرب، وتتجلى مظاهر اعتداده بالسماع، وجعله أصلاً من أصول التقييد في الآتي: احترامه لكل ما سمع عن العرب، ولو اضطر لمخالفة أئمة النحو، يقول في حديثه عن "لا النافية للجنس: "إن فُتح الأول ولم تتكرر (لا)، جاز رفع المعطوف ونصبه، ويمنع بناؤه فيقال: (لا حولَ قوةُ وقوةً)، ولا يقال: في الكلام المشهور، لأن الأخفش حكى: (لا رجلَ وأمرأه)، بفتح التاء بلا تنوين، مع عدم تكرير(لا)"[2]، وبناءً عليه فقد خالف ابن الأنباري في أن يقال: "أما ما أجازه ابن الأنباري من أن يقال: حتاك فلا مسموع له، إلا إن جعلت، ذلك أيضاً مفتقراً إلى النقل عن العرب" [3].

يحكم بين المذاهب المختلفة اعتماداً على السماع، من ذلك قول ابن مالك: "اختلف في منع صرف المنصرف للضرورة فأجازة الكوفيون، وبعض البصريين، ومنعه أكثرهم وإجازته أصح، لكثرته في أشعار العرب الفصحاء" [4]، ويقول: "إذا كان الموصول اسماً، أجاز الكوفيون حذفه إذا علم، وبقولهم أقول، وإن كان خلاف قول البصريين إلا الأخفش، لأن ذلك ثابت بالقياس والسماع"[5].

إن كان للقياس مخالفاً لما تواضع عليه العلماء، وأدى إلى خرق قاعدة نحوية قبله وتأوله، كقول ابن مالك: "لا يقال في شيئين (هذا اشتراكٌ في الحُسْنِ) و(الطول)،

---

(2) المصدر نفسه: ص184.

([2]) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، عبدالمنعم أحمد هريري، دار أبو المجد للطباعة، القاهرة، ج1، ص 158.

([3]) المصدر نفسه: ص159.

(4) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبوعبدالله محمد بن عبدالله ابن مالك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، سنة 1422ه – 2001م، ص149.

([5]) المصدر نفسه، ص 151.

وكذلك في غيرهما، فإن جاء كلام من يوثق بعربيته ما يخالف ذلك أولى"[1]، وجعل من المحوج للتأويل، قول بعضهم: "الصيف أحر من الشتاء وله توجيهان عنده:

الأول: أن يكون من حر القتل، بمعنى استحر، أي: أشتد، فكأنه (الصيف أشد استحراراً من الشتاء)، لأن حروبهم في الصيف كانت أكثر من حروبهم في الشتاء.

الثاني: يمكن أن يشار إلى حر الأمزجة فإنه في الصيف أشد من الشتاء" [2].

- لا يميل ابن مالك إلى التأويل كثيراً، وهو بذلك أميل للكوفيين الذين توسعوا في السماع من البصريين الذين ترددوا فيه، ولم يأخذوا إلا عن قبائل قليلة، مما اضطرهم إلى اللجوء لتأويل كم هائل من النصوص، ومن المسائل التي هجر فيها التأويل وأخذ بالسماع ما يلي:

- "جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار.
- الفصل بين المتضائفين بغير الظرف والجار والمجرور.
- إجازة نيابة غير المفعول به في وجوده.
- استعمال (من) للغاية من الزمان.
- ورود (في) بمعنى التعليل.
- جواز حذف الموصول الاسمي.
- وقوع المضارع صلة ل(أل) اختياراً.
- تقديم التمييز على عامله المتصرف.
- ترك صرف المنصرف للضرورة.
- وقوع الشرط مضارعاً، والجزاء ماضياً.
- جواز تقديم الحال على عاملها المجرور بحرف جر.
- جواز نيابة المفعول الثاني من باب ظن، والمفعول الثالث من باب أعلم.

([1]) المصدر نفسه، ص 153.

([2]) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، ج1، ص 229.

- جواز استثناء الأكثر"[1].

- إن كان المسموع كثيراً، ولا مجال لتأويله وقف به عند السماع، ولم يجز القياس عليه ولا سيما إن تعارضا، ومن ذلك قوله: "أجاز الأخفش أن تعامل (لعل) معاملة (ليت) في الدخول على (أن) بلا فاصل، فيقال: لعل الله أن يرحمنا، ورأيه في هذا ضعيف، لأن مقتضى الدليل ألا يكتفي بأن وصلتها إلا حيث يكتفي بمصدر، والمصدر الصحيح لا يكتفي به بعد (ليت)، فحق (أن) وصلتها لا يكتفي لما بعدها، ولكن سمع في هذه المسألة مع مخالفته الأصل، فلا يزاد عليه دون سماع"[2].

- فإن كان المسموع قليلاً واختص بالشعر، فهو ضرورة، من ذلك قوله: في باب المضمر: "يتعين انفصال الضمير إذا ولى (إلا)، قال: وأشرت بقولي: (وشذ إلاك) إلى قول الشاعر: وهو من البسيط:

فَمَا نبَالِي إِذَا مِا كُنْتِ جَارَتُنَـــا ** أَلاَّ يُجَاوِرُنَا إِلاَّكِ دِيـــَّـــارُ[3].

الأكثرون على أن الاتصال فيه لم يستبح إلا للضرورة، ويقول في الباب نفسه: وما ذكر من إشباع حركة الغائب فهو الأصل، واختلاس الضمة والكسرة بعد متحرك، لغة رواها الكسائي عن بني عقيل، وبني كلاب، نحو: (له مال)، وغيره بنو عقيل وبنو كلاب لا يوجد في كلامهم اختلاس ولا سكون في (له) وشبهه إلا في ضرورة"[4]، لقوله من الوافر:

لَهُ زَجَلٌ كَأنه صَـــوْتُ حَادٍ ** إِذَا طَلَبَ الْوَثِيقَةُ أَوْ زَمِيرُ[5].

([1]) شرح الكافية الشافية: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، ط1، تحقيق: محمـــد معـــوض، عـــادل أحمـــد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 1420هـــ، 2000م، ص 411.

([2]) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، ج1، ص 421.

([3]) البيت من شواهد خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغدادي، ط4، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، سنة 1418هـــ، 1197م، ص 278.

([4]) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، ج1، ص 423.

([5]) البيت من شواهد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن الأنباري: ط1، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 407.

وأورده ابن جني في (الخصائص)، في باب تعارض القياس والسماع وقال: "هو مما ضعف في القياس والاستعمال"[1]، وقول الآخر: من البسيط:

وَأَشْــرَبُ الْمَاءَ مَا بِي نَحْوَهُ عَطَشٌ ** إِلاَ لِأَنَّ عُيُونَهُ سَيْلُ وَادِيهَا[2].

– إن كان المسموع قليلاً لم يختص بالشعر، فشاذ أو ضعيف أو قليل وإذا ذكر الشاذ فلا يقيس عليه كالكوفيين، ولا يأوله كالبصريين، يقول: "الشاذ الذي لا يقاس عليه، ما لا علمية فيه ولا علامة من أسماء المؤنث وصفاته، فيدخل في ذلك نحو: شمس، نفس، إناث، وعناق، امرأة صبور، كف خضيب وجارية معطار، فلا يجمع شيء من هذه الصفات ونحوها، بالألف والتاء إذا سمع، فيعد من الشواذ عن القياس ولا يلحق به غيره، ويقول أيضاً: (وأشذ من هذا جمع بعض المذكرات الجامدة المجردة، كحسام وحسامات، وحمام وحمامات، وسرداق وسرداقات، وكل هذا شاذ مقصور على السماع"[3].

– السماع إذا تطرقت إليه شبهة الاحتمال، سقط الاستبدال به عنده، "وبهذه الحجة رد على الأخفش قوله الذي ذهب فيه إلى جواز دخول الفاء على خبر المبتدأ الذي لا يشبه أداة الشرط، نحو: (زيد فمنطلق)، فقال: لا حجة فيه"[4].

وللمسموع لدى ابن مالك درجات فمنه "المطرد والغالب والكثير والشائع والمشهور، وإذا تعارض القياس والسماع، ولاحترامه للسماع فإنه لا يجيز القياس إلا على ما كان مسموعاً، لذا حكم بضعف القياس على ما وقع فيه المصدر موقع الحال،

([1]) الخصائص: أبوالفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد على النجار، ط3، الهيئة المصــرية العامــة للكتــاب، القاهرة، ج1، سنة 1407هـ، 1987م، ص 119.

([2]) البيت من شواهد خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغدادي، ط4، ج5، ص 270.

([3]) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن مالك: ج1، ص 113.

([4]) أصول النحو عند ابن مالك، خالد سعد شعبان، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، ج1، سنة 1427هـ، 2006م، ص 184.

لأن الحال خبر في المعنى، وأن صاحبه مخبر عنه، فحق الحال أن يدل على نفس ما يدل عليه صاحبه، كخبر المبتدأ بالنسبة للمبتدأ، وهذا يقتضي أن لا يكون المصدر حالاً، لئلا يلزم الإخبار بمعنى عن جثة، فإن ورد عن العرب شيء منه حفظ، ولم يقس عليه كما لم يقس على وقوع المصدر نعتاً كما كان للسماع أصل معتمد لدى كل المدارس النحوية في تعقيدها للنحو فكذلك القياس، ومن ثم لا مجال لإنكاره، وقد قيل من أنكر القياس قد أنكر النحو. "[1]

"يرى إبراهيم أنيس أن البحوث العلمية اللغوية الجديدة ترفض دكتاتورية الزمان والمكان ولا تجد فرقاً بين الأجنبي وابن اللغة الذي تربى في كنفها، وأنه ليس هناك روابط فردية بين اللغة والجنس، فاللغة ملك من يتعلمها، ولا أثر للوراثة أو الجنس فيها".[2]

" ويتهم إبراهيم أنيس النحاة القدماء بأنهم قد سمعوا شيئاً وأخطأوا تفسيره واستنبطوا قواعدهم قبل أن يتم لهم الاستقراء، سمعوه في لهجات متعددة في اللغة النموذجية الأبية وفي القراءات القرآنية ثم قبل أن يتم لهم السماع، ودون الاقتصار على مصدر واحد كما هو الواجب في تقعيد القواعد بدأوا يقعدون قواعدهم فاختلطت عليهم الآراء وكثرت الأقاويل فأهملوا ما أهملوا، وقاسوا ما قاسوا، ثم خرجوا على الناس بقواعد فرضوها عليهم فرضاً".[3]

"ونرد على إبراهيم أنيس قوله بما قاله تمام حسان أن النحو يتسم بالموضوعية وما يكون لها من استقراء ناقص، وأن النحاة بنوا انتقاءهم على معيار الفصاحة وأن

([1])أصول النحو عند ابن مالك، خالد سعد شعبان، ط1، ص 185.

(1) المعني والإعراب عند النحويين: عبد العزيز عبده، ط1، دار الكتاب العربي، طرابلس، 1977م، ص92.

(2) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص249.

تركيز النحاة على اللغة الأدبية ممثلة في لغة الشعر خدمهم في توحيد منهجهم حيث اللغة الأدبية أقل تشعباً من لغة التخاطب اليومي".[1]

المبحث الثاني

القيـــــــــــــاس

هو الأساس الذي تبني عليه كل ما نستنبطه من قواعد في اللغة أو صيغ في كلماتها أو دلالات في بعض ألفاظها، "فالقياس بمثابة المكيال أو الميزان الذي يبين لنا الصحيح من الزائف وما يقبل وما يرفض، والقياس اللَّغوي هو مقارنة كلمات بكلمات، أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال رغبة في التوسع اللَّغوي، وحرصاً على إطراء الظواهر اللَّغوية"[2].

والقياس أيضاً يعبّر عن التقدير يقال مثلاً قاس الرجل النقل: أي بمعنى قدره، ويستعمل في التشبيه أيضاً، وهو تشبيه الشيء بالشيء يقال قياس ذلك إذا كان بينهما مشابهة والقياس هو "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، واستنباط مجهول من معلوم، وقد كان للقياس شأن كبير في عهد الصراع بين مدرستي البصرة والكوفة، فقد اقتصر البصريون على جواز القياس على المشهور الشائع، ورفضوا القياس على القليل أو النادر، في حين نجد أن الكوفيين قد أجازوا القياس على الشاهد الواحد أو الشاهدين"[3] وهذا الكلام يلتفت إلى القياس بمفهومه النحوي وليس بمفهومه اللَّغوي، والقياس أوضح وسيلة من وسائل نمو اللغة، وأكثرها عناية ورعاية لدى القدماء من العلماء.

---

(3) المعني والإعراب عند النحويين: عبد العزيز عبده، ص114.

([2]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مطبعة محمد عبدالكريم حسان، سنة 2003م، ص 10.

([3]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، سنة 1975م، ص 23.

ويرى إبراهيم أنيس أن القياس قد أسيئ فهمه، فقد وجد لهذا المصطلح عدة دلالات منها:

1/ "عند علماء اللغة المتقدمين: فقد أرادوا بالقياس وضع الأحكام العامة للغة، أو وضع القواعد لتلك النصوص التي انحدرت إليهم، فسيبويه لم يكن يعنى بالقياس أكثر من أنه ظاهرة من الظواهر روي لها عن العرب قدر من الأمثلة يكفي لأن لها قاعدة.

2/عند علماء اللغة في القرن الرابع الهجري: فقد أرادوا بالقياس استنباط شيء جديد في صورة صيغ أو دلالات أو تركيب، وزعيم المدرسة القياسية في هذه الفترة أبو على الفارسي.

3/ عند علماء اللغة المتأخرين: فالقياس هو مجرد المشابهة، وأسرف المتأخرون من النحاة في استعمال القياس إلى أن قال بعضهم: إن النحو كله قياس"[1].

ومن أشهر من قال بالقياس في نمو اللغة قديماً أبو على الفارسي وتلميذه ابن جني، وهذا ظاهر في كتاب الخصائص في أبواب منها: "باب ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) وأيضاً (باب في جواز القياس على ما يقل، ورفضه فيما هو أكثر منه"[2] وغير ذلك من الأبواب التي جعلها ابن جني عنواناً لأبواب مستقلة.

وقد جعل ابن جني القياس أهم عامل في توسيع لغة العرب، وأتى ببراهين عقلية على استمرار تأثير اللغة العربية بالقياس: قال: "ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول، وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره، فإذا سمعت قام زيد، أجزت ظرف بشر، وكرُم خالد"[3].

([1]) طرق تنمية الألفاظ في اللغة: إبراهيم أنيس، ط2، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، سنة 1967م، ص 81.

([2]) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، ط2، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، سنة 2002م، ص 67.

([3]) المصدر نفسه: ص 154.

أما ابن مضاء فقد طلب إلغاء القياس، إذ يقول: "والعرب أمة حكيمة، فكيف تشبه شيئاً بشيء وتحكم عليه بحكمه، وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع، وإذا فعل واحد من النحويين ذلك جَهْلٌ، ولم يقبل قوله، فلم ينسبون إلى بعضهم بعضاً"[1].

وعرّف إبراهيم أنيس القياس اللَّغوي بأنه: "مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال، رغبة في التوسيع اللَّغوي، وحرصاً على اطراد الظواهر اللَّغوية، فبالقياس نستنبط مجهول من معلوم، ونشتق صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى"[2].

أرى أن إبراهيم أنيس يفرق بين القياس النحوي والقياس اللَّغوي، فالقياس النحوي هو تدخل في الظاهرة اللَّغوية، لأن النحوي أو غيره من غير المتكلمين باللغة بصورة غير واعية غير مخولين بالتدخل في الظاهرة اللَّغوية، ولكن ابن اللغة هو الذي يقيس على أنماط مختزنة لديه، وهو حق تتيحه اللغة، وأما أن يقيس النحوي فهذا مرفوض، وإبراهيم أنيس في هذا لا يخرج عن رأي المدرسة الوضعية التي ينتمي إليها في هذا الصدد.

موقف مجمع اللغة من القياس:

يرى إبراهيم أنيس أن القياس ظل موضع الجدل والخصومة بين اللَّغويين في كل العصور، منهم من يضيق دائرته، ومنهم من يوسع هذه الدائرة، وقد ازداد هذا الصراع عنفاً منذ إنشاء مجمع اللغة العربية، على أن المجمع في بعض دوراته قد انتصر للأخذ بالقياس في مسائل معينة، رأى الحاجة الماسة إليها، فكان من قراراته:

- "جعل المجمع صياغة اسم الآلة قياسية، كما جعل المصادر الدالة على الحرفة قياسية مثل نجارة وحياكة.

([1]) الرد على النحاة: ابن مضاء القرطبي، ط2، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، سنة 1966م، ص 134.

([2]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، ص 63.

– جعل المصادر الدالة على التغلب والاضطراب كالغليان والخفقان، والدالة على المرض كالسقم والبرص والسعال قياسية"[1].

واتجه مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ إنشائه إلى القياس اللُّغوي، ورأى أن التنمية الحقيقية لألفاظ اللغة إنما تكون عن طريق القياس، "ولكن المجمع لم يحاول استغلال فكرة القياس في الدلالات، قانعاً بالألفاظ والأبنية ولم يحاول القياس في التراكيب"[2]، أي أنه رفض الأخذ بأي تركيب جديد يمكن أن يجيء في شعر بـــ(لم)، كقول شوقي يخاطب سلاح الطيران:

يَا سِلاَحَ الْعَصْرِ بَشِّرْنَا بِهِ** كُلُّ عَصْرٍ بِكَمِي وَسِلاَحَ

إِنَّ عَصْراً لَمْ يُظَلَّلَ فِي غَدٍ ** بِجنَاحِيكَ ذَلِيلٌ مِسْتَبَاحٌ

فَتَكَاثَرْ وتَأَلَّقْ

فَيْلَقــاً

** لَوْصِمُ السِّلْمَ وتَعَلُو لِلْكِفَاحِ[3].

فالفعل (يظلل) منفي بـــ (لم)، وزمنه مع هذا في المستقبل بدليل كلمة (في غد)، في حين يرى جعفر النحاس غير ذلك، إذ يقول: "إن الفعل إذ كان قد وقع ومازال مستمراً فإنه يعبّر عنه بصيغة (يفعل)، وعلى ذلك يكون قول شوقي جارياً على سنن العرب في كلامهم"[4]. فهو يريد أن يؤكد استمرار الذلة والاستباحة المترتبتين بعدم التظليل، ليس في الحاضر فقط وإنما في الماضي أيضاً.

ويبحث مجمع اللغة العربية الآن في قضية القياس باستنباط الألفاظ الجديدة ويؤسس قياسه على دعائم ثلاث:

([1]) المصدر نفسه، ص 66.

([2]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص 111.

([3]) تجديد النحو: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة، سنة 1962م، ص 118.

([4]) إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد إسماعيل النحاس، ط1، تحقيق: د. محمد أحمـــد قاســـم، مكتبـــة الهلال، لبنان، بيروت، سنة 2004م، ص 313.

1- "أقوال العلماء من القدماء بصدد الظاهرة اللَّغوية، فإذا وجد المجمع منفذاً ولو ضعيفاً عن هذا الطريق استغله.

2- القيام بإحصاء الأمثلة المروية لهذه الظاهرة من المعاجم المطولة، وذلك بإعادة الاستقراء وإحصاء الأمثلة الظاهرة التي يبحثها المجمع.

3- موقف جمهور أبناء العرب في العصر الحديث من هذه الظاهرة، فأبناء اللغة نشأوا وهم يستمعون إلى ألفاظ اللغة وصيغها وتراكيبها وأصواتها مما ترك في نفوسهم الحس اللَّغوي الذي يهديهم إلى استنباط أمور جديدة، فالمجمع مثلاً قرر قياسية صيغة (فعال) للدلالة على صاحب حرفة كنجار وحداد، لأن المجمع وجد الناس في العصر الحديث يقبلون إقبالاً عجيباً على هذه الصيغة"[1].

وهذا يعني أن إبراهيم أنيس يعتمد الحس اللَّغوي لأبناء اللغة على الرغم من تباعدهم عن زمن الفصاحة، وهو موقف تبنته المدرسة التحويلية التي اعتدت بأحكام اللغة، مما يخالف رأي المدرسة الوضعية التركيبية التي كان إبراهيم أنيس واحداً من تلاميذها.

موقف إبراهيم أنيس من القياس:

"يرى إبراهيم أنيس أن فكرة القياس لدى المحدثين من علماء اللغات لا تعدو أن تكون عملية عقلية يقوم بها كل منا كلما أعوزته كلمة من الكلمات أو صيغة من الصيغ، فهي عملية فردية تتم لدى الأطفال والكبار، فالطفل وهو يلهو قد يصادف في لعبته الجزء الذي يوقف اللعبة، فيسميه (وقافة)، فالطفل قام بعملية القياس، وقياسه هذا يسمى قياساً خاطئاً، لأن هذا الاسم الذي أطلقه ليس مألوفاً للكبار، وعندما يصادف أحد الكبار كلمة وهو يقرأ لم يسمعها من قبل منطوقة، فإنه سيحاول استنباط نطقها أو معناها، فإذا اهتدى إلى النطق الصحيح أو إلى المعنى الصحيح سمى قياسه صحيحاً،

([1]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، ص 146.

وإن لم يستطع سمى قياسه خاطئاً"[1]. فعملية القياس اللَّغوي إذن تصاحبنا في جميع مراحل العمر، فهي التي تشكل كثيراً من دلالاتنا وصيغ كلماتنا، والقياس الخاطئ كما يرى إبراهيم أنيس هو في الحقيقة عملية منطقية تهدف في غالب صورها إلى جعل الظواهر اللَّغوية أكثر اطراداً وانسجاماً.

وقد عرف قدماء اللَّغويين العرب ظاهرة القياس الخاطئ "وسموها التوهم أو القياس الخاطئ فسيبويه يقول: (إن هنالك من قال إن مصيبة فعيلة، مثل صحيفة، وإنما هي مفعلة)"[2].

والقياس الصحيح هو حمل فرع على أصل لوجود علة المشابهة، وتكون هذه العلة صحيحة، أما إذا كانت خاطئة فالقياس خاطئ، "ويرى إبراهيم أنيس أن القياس الخاطئ قد وقع بين العرب القدماء كما يقع بيننا الآن، ويرى الفرق بين قياس المحدثين وقياس القدماء، قد تقدم به الزمن، ودونه العلماء في معاجمهم، في حين أن قياس المحدثين الخاطئ الآن يأباه اللَّغويون، ويعدونه من الأخطاء التي يجب أن نتحاشاها ونتجنبها"[3].

ويعد إبراهيم أنيس معظم تلك الأمثلة التي وردت في كتب اللغة، وقيل في تفسيرها على توهم كذا، مما يسميه "القياس الخاطئ الذي وقع فيه العرب القدماء ويرجح وهو مطمئن أن كثيراً من الروايات الغربية التي رواها القدماء عن صبي في البادية أو امرأة في قبيلة، ما هي إلا من نوع القياس الخاطئ مثل قولهم: سمعت امرأة تقول (رثأت زوجي، بدل رثيت)، أصل الكلمة (رثى) معتلة الآخر بالألف وأصلها ياء وليس همزة، ومنه أيضاً بعض القراءات الشاذة، كأن تعامل كلمة الشيطان معاملة

([1]) المصدر نفسه، ص 167.

([2]) الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ط1، تحقيق وشرح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1999م، ص 117.

([3]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، ص 211.

جمع المذكر السالم بالرفع بالواو كقوله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) "[1]. وهو شاذ قاسه على قول العرب: (بستان فلان حوله بساتون)"[2].

ومن الواضح أن إبراهيم أنيس لا يدعو إلى جعل القياس بأيدي الأطفال وعامة الناس، ولكنه يذهب مذهب المجددين من العلماء الذين ينادون الآن بإباحة القياس اللَّغوي للموثوق بهم من الأدباء والشعراء، وأرى أن القياس عملية لغوية بحتة، وأنها حق من حقوق أبناء اللغة الذين يسمعون اللغة منذ الصغر، فيقومون بتخزين القواعد اللَّغوية في نظامهم اللَّغوي العام المجرد أو ما يعرف بالكفاية اللَّغوية، وعندما يكتمل هذا النظام ويخزن القواعد اللَّغوية، فإنه يبدأ بإنتاج أنماط جديدة، وأعتقد أن إبراهيم أنيس لم يشر إلى هذه القضية، لأن تركيبته من أتباع المدرسة التركيبية الإنجليزية، وهم لا يعترفون بالجانب العقلاني للغة الذي يشكل جزءاً مهماً من تفكير التحويليين والعملية اللَّغوية برمتها.

([1]) سورة البقرة، الآية (102).

([2]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، ص 251.

المبحث الثالث

العـــــامل

ارتبطت نشأة النحو العربي بمعرفة المعني والحرص عليه من الخطأ في نطق الحركة الإعرابية وهو ما اتفقوا على" تسميته باللحن وأخذت الظاهرة الإعرابية تجذب أنظار العلماء فكثرت حولها التساؤلات وكان من أولى هذه التساؤلات هو ما علة حركات الإعراب؟ وهذا التساؤل هو الذي وجه النحو ، كما يقول حلمي خليل إلى الوجه الذي وجدناه عليها حتي اليوم"[1].

وهذا التساؤل يبدو طبيعيا "لأن بداية الخطأ في الكلام اتصلت بظاهرة الإعراب ، ولذا هيمن التعليل لهذه الحركات الإعرابية ومحاولة وضع قوانين للالتزام بها في التفكير النحوي العربي ، وهي غاية تطبيقية تعليمية ولكن هذا التفكير اتخذ بعد ذلك على يد الخليل بن أحمد صورة النظرية العلمية ثم قسمت بعد ذلك علل النحو إلى تعليمية وقياسية وجدلية ، فكانت العلة التعليمية هي السبب المباشر في القول بالعامل النحوي تفسيراً لتغير الحركة الإعرابية، ربما ليسهل تعلمها والالتزام بها في كل الكلام، ومن ثم رأى النحاة أن الحركة الإعرابية ماهي إلا أثر مؤثر لابد أن يكون قد أحدثها حلمي خليل"[2] ، وقد أنكر إبراهيم أنيس دلالة الحركات الإعرابية على المعاني بقوله : "لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض "[3]

ويضيف إبراهيم أنيس : "ويكفي للبرهنة على أن لا علاقة بين معاني الكلام وحركات الإعراب أن نقرأ خبراً صغيراً في إحدى الصحف على رجل لم يتصل بالنحو أي

([1])مقدمة لدراسة علم اللغة : حلمي خليل ط1، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، سنة 1991م ، ص119.

([2])المصدر نفسه ، ص120.

([3]) أسرار اللغة :إبراهيم أنيس ط5 ،ص237.

نوع من الاتصال ، فسنرى أنه يفهم معناه تمام الفهم مهما تعمدنا الخلط في إعراب كلماته برفع المنصوب ونصب المرفوع أو جره"[1].

وقد رجع إبراهيم أنيس "في تحديد معاني الفاعلية والمفعولية ونحو ذلك مما عرض له العلماء في الإعراب إلى أمرين هما :

1-نظام الجملة العربية والمعاني اللغوية .

2-ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات "[2].

والذي يراه الباحث أن إبراهيم أنيس بإنكاره لدلالة الحركات الإعرابية على المعاني كان هدفه القضاء على نظرية العامل ومايتبعها من آراء وهذه دعوة باطلة لا تقوم على دليل، بل إن نصوص اللغة وإجماع العلماء قديماً وحديثاً تعارض هذه الدعوة ، فالعامل هو المحدث للأثر الإعرابي على رأي سيبويه"لا فرق بين مايدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل ، وبين مايبنى عليه الحرف بناءاً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف،وذلك الحرف حرف الإعراب"[3]

اهتم ابن مالك بذكر العامل في كل موضع يستلزم ذلك، كما عني برصد بعض الظواهر والخصائص المتعلقة بالعوامل وتنقسم عنده إلى نوعين: "الأول: لفظية: كالأسماء والأفعال والحروف، والثاني: معنوية: كالابتداء والتجرد عن العوامل"[4].

ولا يلجأ ابن مالك للعامل المعنوي إلا إذا تعذر العامل اللفظي أو ظهر التكلف فيه يقول عن المبتدأ: "هو ما علم حقيقة أو حكماً عاملاً لفظياً من مخبر عنه، أو وصف

([1]) أسرار اللغة :إبراهيم أنيس ط5 ،ص:242.

([2]) المصدر نفسه: ص243.

([3])الكتاب :أبو بشر عمر بن عثمان بن قمبر سيبويه : تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج1، ص13.

([4]) تسهيل الفوائد: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، القاهرة، ج1، سنة 1967م، ص 58.

سابق رافع ما انفصل وأغنى، والابتداء كون ذلك كذلك، وهو يرفع المبتدأ"[1]، ومع ذلك فهو يغلبه على غيره من العوامل، فيقول: "المبتدأ أصل المرفوعات على ما تبين في فصل إعراب الاسم، فأي موضوع وجد فيه اسم مرفوع محتمل للابتداء به أولى"[2]، ومن العوامل اللفظية عنده ما يلي:

1- عامل النصب في المفعول معه يقول: "انتصابه بما عمل في السابق من فعل أو عامله، وعامل النصب في المفعول معه مما اختلف فيه، فقيل: عامله مضمر بعد الواو وعليه الزجاج، وقيل: بل انتصابه بالواو نفسها وعليه الجرجاني"[3]، وقيل بالخلاف وعليه الكوفيون.

2- ناصب المستثنى بإلا: "المستثني بإلا عنده منصوب (بها) لا بما قبلها، وعليه سيبويه والمبرد، وزعم بعضهم أنه منصوب بما قبلها، معدي بها، وزعم آخرون أنه منصوب بما قبلها مستقلاً به، وقيل: انتصب بالمستثنى مضمراً، وقيل: بأن مقدرة بعدها أو بأن مخففة مركباً منها ومن لا (إلا)"[4].

3- ناصب المضارع بعد لام الجحود: "ذكر ابن مالك أن ناصبه (أن) مضمرة بعد اللام المؤكدة للفظ خبر كان، وتعقبه أبو حيان بقوله: (ليس بقول بصري ولا كوفي)"[5].

وفي رصده لبعض الخصائص والظواهر في هذا الباب يقول: "العامل في الاسم على ضربين: قياسي واستحساني، فالقياسي: ما اختص بالاسم ولم يكن كجزء منه، ومثاله أداة الاستثناء (إلا)، وجعل من النوع الثاني (ما) العاملة عمل (ليس)" [1].

([1]) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ج1، سنة 2001م، ص 272.

([2]) المصدر نفسه: ص 273.

([3]) المصدر نفسه: ص 277.

([4])شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن مالك ص 283.

([5]) المصدر نفسه: ص 59.

وذكر أن العوامل منها "ما هو ضعيف في العمل، ومنها ما هو قوي، وعد الحروف من العوامل الضعيفة، ومنها (إن وأن ولكن)، لكنه جعل (كأن وليت ولعل) من العوامل القوية"[2].

ويبين أن العامل الضعيف "إذا حذف بطل عمله، كما أن العامل الجائز العمل قد يطرأ عليه ما يمنع عمله"[3].

أفاد أن العامل إذا حذف لا يختصر عمله، وذلك حيث يقول رداً على الكسائي مذهبه الذي بين فيه أن المستثنى منصوب بأن مقدرة: "لو كانت أن مقدرة لم يتم الكلام بمنصوبها مقتصراً عليه، كما لا يتم به إذا ذكرت، لأن العامل إذا حذف لا يختصر عمله"[4].

ذكر أن العامل المنقوص لا ينتقص عمله، يقول مفنداً حجج من زعم أن ناصب المستثنى (إلا) مركبة من لا وإن المخففة من إن: "لو صح التركيب وكون المنصوب منصوباً بعد إلا بأن، على حد نصبه بأن لوجب ألا يتم الكلام بالمنصوب مقتصراً عليه، كما لا يتم بعد إن، لأن العامل المنقوص لا ينتقص عمله"[5].

حق العامل أن يكون مختصراً، لذا فترك إعمال (ما) في لغة بين تميم أقيس عنده من إعمالها في لغة أهل الحجاز، لأنها غير مختصة فلا يستحق عملاً، كما لا تستحقه (هل) وغيرها من الحروف التي ليست بمختصة.

إذا أفضى التركيب في العوامل إلى تغير المعنى، أدى إلى تغير الحكم، وبه رد على من زعم أن (إلا) في باب الاستثناء مركبة من (لا) (وإن) المخففة، بقوله: "لو صح التركيب، لم يصح العمل الذي كان قبله، لأن المعنى قد تغير معه، وكل تركيب يتغير

([1]) المصدر نفسه: ص 227.

([2])شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن مالك: ص 228.

([3]) المصدر نفسه، ص 69.

([4]) المصدر نفسه: ص 201.

([5]) المصدر نفسه: ص 202.

معه المعنى يتغير معه الحكم، كتركيب إذما، وحيثما، فأنه أحدث معنى مجازاة العمل اللائق بها وأزال معنى الإضافة والعمل اللائق بها"[1].

على أننا لا نجد لابن مالك مذهباً متميزاً في العامل: فهو تارة مع الجمهور، وتارة يخالفه، ومرة مع البصريين، وأخرى مع الكوفيين، وثالثة يتوسط بينهم، ودافعه لكل ذلك التخلص من التكلف والسلامة من النقص. ويعد ابن مالك ناظم علوم العربية بلا منازع، إذ أغرب في ذلك أفاض، وأتى بما لم يأت به الأوائل والأواخر.تمثل مؤلفاته المدرسة الأندلسية، فهو قائدها وإمامها، ومن أوفر الأندلسيين تأليفاً، كما أن مؤلفاته تعد أبعد أثراً وأكثر قبولاً وانتشاراً، وله منهج خاص اتبعه في تبويب مسائل النحو وموضوعاته عد من أمثل وأفضل ما وضعه النحاة، لذا سار عليه من جاء بعده من النحاة، كما وضع بعض المصطلحات النحوية لبعض مباحث النحو التي شاعت بين النحاة من بعده.

يعد إمام النحاة المستشهدين بالحدث بلا منازع إذ وضعه في موضعه اللائق به كأصل من أصول التعقيد، وأكثر من الاستشهاد بما وقع فيه على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب،ويعد من أكثر النحاة استشهاداً بالقراءات لا يرد قراءة ولا يخطّئ قارئاً،ويعد من واضعي ركائز النحو التعليمي الذي يعنى ببسط العبارة وتقليبها وكثرة التمثيل مع البعد عن التكلف،وتفرد ببعض المفاهيم كمفهوم الضرورة الشعرية وبمقتضى ذلك أخرج كثيراً من الكوفيين، ولكنه لم يستشهد بأقوال البصريين، إذ رجح في كثير من مسائل النحو أقوال الكوفيين ومذهبهم ،كما اعتد بالقياس والسماع والإجماع ووضع عليه كثيراً من قواعده.

يرى إبراهيم أنيس "أن البحوث العلمية اللغوية الجديدة لا تجد فرقاً بين الأجنبي عن اللغة وابن اللغة الذي تربي في كنفها، وأنه ليس هنالك روابط فردية بين اللغة

([1]) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، ج2، ص 204.

والجنس ، فاللغة ملك من يتعلمها، ولا أثر للوراثة أو الجنس فيها "[1] ، "ويتهم إبراهيم أنيس النحاة القدماء بأنهم قد سمعوا شيئاً وأخطأوا تفسيره واستنبطوا قواعدهم قبل أن يتم لهم الاستقراء "[2]،كما سمعوه في لهجات متعددة وسمعوه في اللغة النموذجية الأدبية ، وسمعوه في القراءات القرآنية ثم قبل أن يتم لهم السماع ، ودون الاختصار على مصدر واحد كما هو الواجب في تقعيد القواعد بدءوا يقعدون قواعدهم فاختلطت عليهم الآراء وكثرت الأقاويل فأهملوا ما أهملوا ، وقاسوا ماقاسوا ، ثم خرجوا على الناس بقواعد إعرابية فرضوها عليهم فرضاً ،كما أن العلامة الإعرابية والعوامل والمعمولات تعد محصلة لإدراك النحاة لكيفية نظم الكلام ومراقبة وظائف المفردات داخل التراكيب وعلامات الوحدات اللغوية بعضها مع بعض ، وكيفية تعلق كل منها بالآخر.

" فقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن ما سماه النحاة إعراباً بالحروف لا يكاد يمت لحقيقة اللغة بصلة، بل إن تحديد المعاني النحوية يرجع إلى نظام الجملة وملابساتها، ولم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض، ومع هذا تمسك بعض العلماء بالحركات الإعرابية، بل إن منهم من اعتبرها دلائل على المعنى فهي- في رأيه- لا تحمل أية دلالة ويكفي لإثبات ذلك أن سقوط هذه الحركات من أواخر الكلمات في حال الوقف لا يغير من معنى العبارة، ولا يشوه من الصيغ".[3]

([1])المعنى والإعراب عند النحويين : عبد العزيز عبده ، ط1 ، دار الكتاب والتوزيع، طرابلس ،سنة 1977م ، ص92 .

([2]) أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ، ص249.

(3) المصدر نفسه، ص234.

وهو يرى أن المتكلم لو استطاع " أن لا يقف عن الكلام إلا حيث ينتهي غرضه لفعل، من أجل هذا قد تتأثر أواخر الكلمات بأوائل التي تليها، وينشأ بين الكلمتين المتواليتين نوع من الربط في صورة حركة في غالب الأحيان، وهكذا نشأت- بالنسبة إليه- ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، ولذلك فإن الحركات الإعرابية ليست لها أية دلالة على المعنى، بل إنه يرجح أن نشأتها ارتبطت ارتباطاً وثيقاَ بأميّة العرب، وسعيهم وراء موسيقية الكلام". [1]

(1) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1993م، ص206.

المبحث الرابع

الإجمـــــــــاع

الإجماع أحد أدلة النحو المعتبرة ويراد به إجماع علماء البلدين البصرة والكوفة قال ابن جني في الخصائص"إنما يكون حجة إذا لم يخالف المنصوص ولا المقيس على المنصوص وإلا فلا ، لأنه لم يرد في قرآن ولا سنة أنهم لا يجمعون على الخطأ ، كما جاء النص بذلك ، يعني في علوم الشريعة استناداً لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم (لا يُجْمِع أُمّتِي عَلى ضَلالَةٍ) [1]"، وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة ، فكل من فُرِقَ له عن علة صحيحة ،وطريقة نهجه كان خليل نفسه وأباعمرو فكره [2]، "إلا أننا مع ذلك لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي طال بحثها وتقدم نظرها إلا بعد إمعان وإتقان"[3])، وقد ذكر السيوطي في الإقتراح " أن غير ابن جني يرى إجماع النحاة على الأمور اللغوية يعتبر خلافاً لمن تردد فيه وخرقه ممنوع وفي هذا يقول ابن الخشاب في المرتجل : لو قيل : (مَنْ) في الشرط لا موقع لها من الإعراب ، لكان قولاً ، إجراءاً لها مجرى (إن) الشرطية ، وتلك لا موضع لها من الإعراب ، لكن مخالفة المتقدمين لا تجوز"[4] ، ومما وقف الإجماع فيه دون الحكم "[5]أن أبا العباس المبرد أنكر جواز تقديم خبر ليس عليه ، فاحتج عليه بأن هذا أجازه سيبويه وكافة البصريين والكوفيين ، فإذا كان هذا مذهب البلدين وجب أن ينفر من خلافه "[4]) ، وفي توضح المقاصد والمسالك لابن مالك ومنع سبق خبر ليس اصطفي

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى سنة 241ه) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحس التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج45، سنة 1421ه – 2001، ص200.

([2]) كتاب الخصائص : أبو الفتح عثمان ابن جني ، ط1، ص189.

([3])الإصباح في شرح الإقتراح : محمود فجال ، ط1،سنة 1989م، ص159.

([4])المصدر نفسه ، ص161.

([5])المصدر نفسه ، ص163.

، يعني أن المحتار منع تقديم خبر ليس عليها وفقا للكوفيين والمبرد وابن السراج وأكثر المتأخرين وذلك لضعفها بعدم التصرف وشبهها ب(ما) النافية، والصحيح أن سيبويه ليس له في ذلك نص لا بالجواز ولا بالمنع، احتج ابن مالك بالإجماع واتخذه أصلاً لتقعيد النحو وتدعيم آرائه، ويعنون به إجماع نحاة البصرة والكوفة،كما يعنون به إجماع العرب أيضاً، يقول السيوطي: "وإجماع العرب أيضاً حجة، ولكن أنى لنا بالوقوف عليه"[1].

وقد اعتد ابن مالك بنوعي الإجماع المذكورين، وبحجة الإجماع رد قول ابن خروف إن عامل النصب في الظرف، من نحو: "زيد خلفك، هو المبتدأ نفسه، وقال: يبطلانه من سبعة أوجه، أحدهما: أنه قول مخالف لما أشتهر عن البصريين والكوفيين مع عدم دليل فوجب اطراحه"[2].

ومن إجماع العرب عند قوله: "(عيرات في جمع عير)، فجائز عند جميع العرب مع شذوذه، وقوله أيضاً (التزمت العرب) حذف خبر (ليت) في قولهم: ليت شعري، لأنه بمعنى: ليتني أشعر، وفي قوله: يقبح عند جميع العرب ترك الظرفية في صفة حين، حيث حذف وأقيمت مقامه، نحو: (سير قديماً وحديثاً)"[3].

ومن إجماع نحاة البصرة والكوفة ذكر: "أن نحو: (ضربته زيداً)، على إبدال زيد من (لها)، أجيز بإجماع، حكاه بن كيسان، ويقول: وتقديم الخبر على المبتدأ ما لم يعرض مانع جائز بإجماع، وبين أن ليت إذا وصلت بما: (يجوز إعمالها وإهمالها)، كما ذكر أن إعمال (لا) في معرفة غير جائز بإجماع"[4].

([1]) كتاب الاقتراح: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط1، مطبعة دار المعارف، حيدر أباد، سنة 1359هـ، ص 5.

([2]) أصول النحو عند أبن مالك: خالد سعد شعبأن، ط1، ج1، ص 157.

([3]) المصدر نفسه: ص 161.

([4]) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، ج1، ص 165.

وتطرق لمواضع ذكر أنها مما اجتمع فيه نحاة البلدين وأجمع عليه العرب في آن واحد، فقال: عن ضمير الفصل: "لا موضع له من الإعراب خلافاً لقوم يجعلونه توكيداً لما قبله، وقال نقلاً عن سيبويه: (لو كان ذلك كذلك، لجاز: مررت بعبدالله هو نفسه، ثم قال: ويدخل عليهم: إن كان زيد لهو الظريف، وإن كنا لنحن الصالحين، فالعرب تنصب هذا، والنحويون أجمعون"[1].

هنالك مسائل ادعى فيها الإجماع وخالفه في ذلك بعض النحاة المتأخرين من ذلك قوله: "للنحويين في اسم الإشارة مذهبأن أحدهما: أن له مرتبتين بعيدة وقريبة، والثاني: أن له ثلاث مراتب، والأول هو الصحيح، وهو الظاهر من كلام المتقدمين"[2].

وقد تعقبه جلال الدين السيوطي بقوله: "دعوى الإجماع في الأول مردودة، ولم أر في كلامه ما يفهم منه أنه أدعى الإجماع، بل ذكر بصريح العبارة أن للنحويين مذهبين وبينهما، ومنه قوله: أجمعوا على منع العطف على عاملين إن لم يكن أحدهما جاراً وفصل المعطوف من العاطف بغير (لا) قال أبو حيان: ذكر ابن مالك في شرحه الإجماع على منع ذلك، وليس بصحيح، بل ذكر الفارسي في بعض كتبه جواز ذلك مطلقاً عن قوم من النحويين"[3].

وقد اتهمه بعض المتأخرين بالخروج عن الإجماع في مسألة الضرورة حيث ذهب إلى أن وصل (أل) بالفعل المضارع جائز اختياراً لكنه قليل، يقول: "صاحب الخزانة: وما ذهب إليه ابن مالك باطل من وجوه أحدهما: إجماع النحاة"[4]،ويرى إبراهيم أنيس "أن

([1]) أصول النحو عند ابن مالك: خالد سعد شعبأن، ط1، ج1، ص 282.

([2]) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ج1، سنة 1395هـ، 1975م، ص 247.

([3]) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغدادي، ط4، ج1، ص 33.

([4]) المصدر نفسه: ص 34.

المحدثين وفّقُوا في تقسيم رباعي للكلمة يحسب أنه أدق من تقسيم النحاة الأقدمين وهو يتمثل في الأقسام التالية :

1-الاسم : ويندرج تحته ثلاثة أقسام :

أ- الاسم العام : نحو (شجرة ، إنسان ، كتاب) .

ب- العلم : نحو (حاتم ، نيرون ، إبراهيم) .

ج-الصفة: نحو (كبير ، أحمر).

2-الضمير : ويضم (الضمائر ، وألفاظ الإشارة والموصولات).

3-الفعل : وهو ما أفاد حدثاً في زمن معين .

4-الأداة : وتضم (الحروف ، الظروف الزمانية والمكانية) "[1]

أيضاً " قسّم مهدي المخزومي الكلمة إلى أربعة أقسام :

أ- الاسم : وهو مادل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان.

ب- الفعل : وهو مادل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة .

ج- الأداة : ما لا يدل على معنى في نفسه إلا في أثناء الجملة.

د- الكناية: وتضم (الضمائر، والإشارة ، والموصول بجملة ، والكنايات المستفهم بها ، والكنايات المشروط بها) "[2]

هذه كانت آراء كلاً من إبراهيم أنيس ومهدي المخزومي الذين خرجوا عن إجماع النحاة في تقسيم الكلم ، وقد ذكرالأشموني دليلاً على انحصار الكلمة في أقسامها الثلاثة حين جعل الإسناد محوراً للتقسيم فقال : "إن الكلمة إما أن تصلح ركناً للإسناد أو لا ، والثاني الحرف ، والأول : إما أن يقبل الإسناد بطرفيه أو بطرف

([1]) أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ، ص282.

([2]) في النحو العربي قواعد وتطبيق : مهدي المخزومي،ط1،مكتبة الحلبي، القاهرة ،سنة 1386هـ - 1965م.

، والأول : الاسم ، والثاني : الفعل ، والنحويون مجتمعون على هذا لا يعتد بخلافه"[1].

ويقرر" ليتمان أن أصالة تقسيم الكلمة في العربية إلى (اسم ،وفعل ،وحرف) فيقول :إنها كلمات عربية ما ترجمت ولا نقلت"[2]. "وقد أيد مجمع اللغة العربية في القاهرة الإبقاء على التقسيم الثلاثي للكلمة إلى : (اسم ، وفعل ، وحرف) "[3].

خرج ابراهيم أنيس عن إجماع النحاة قديماً وحديثاً حيث أنكر مدلول حركات الإعراب وفسرها تفسيراً صوتياً قائلاً: "لم تكن الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة ،بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض "[4].

ويضيف إبراهيم أنيس "وليست حركات الإعراب في رأيي عنصراً من عناصر البنية في الكلمات، وليست دوال على المعاني كما يظن النحاة ، بل إن الأصل في كل كلمة هو سكون آخرها ، سواءاً في هذا مايسمي بالمبني أو المعرب إذ يوقف على كليهما بالسكون وتبقى مع هذا واضحة الصيغة لم تفقد من دلالتها شيئاً ، أما الذي يحد معاني الفاعلية والمفعولية ونحو ذلك مما قاله أصحاب الإعراب فيرجع إلى أمرين: "

1-نظام الجملة العربية والمعاني اللغوية .

2-مايحيط بالكلام من ظروف وملابسات.

كان هذا رأي إبراهيم أنيس وهو في الحقيقة لم تأتِ بجديد ، وإنما رأى قطرب خرج عن إجماع النحاة المتقدمين حين رفض أن تكون الحركات الإعرابية دوال على المعانى وأثاراً للعوامل اللفظية ، كما رأى أن دلالة الحركات المعنوية

([1]) شرح ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمزاني المصري،سنة 1965م،ص9.

([2]) محاضرات ليتمان ، مكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص19.

([3]) مجموعة قرارات المجمع في خمسين عاماً سن 1934م،ص267.

([4]) أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ، ص242.

الغرض منها وصل الكلمات بعضها ببعض ، وقد حاول إبراهيم أنـــيس أن يثبـــت ماذهب إليه بأقوال النحاة الأوائل في الوقوف واختلاس الحركـــات والضـــرورات الشعرية ولكن أنّى له ذلك ، لأن دلالة الحركات الإعرابية على المعاني أثبتهـــا العلماء الأوائل بما لا يدع مجالاً للشك فيها" . [1].

([1])أسرار اللغة : إبراهيم أنيس، ط5: ص243.

الفصل الثالث

القضايا اللغوية في كتابيّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ

المبحث الأول: القضايا الصوتية.

المبحث الثاني: القضايا النحوية.

المبحث الثالث: القضايا الصرفية.

المبحث الرابع: القضايا الدلالية.

المبحث الأول

القضايا الصوّتيـــــــــة

اللغة العربية من أكثر اللغات الإنسانية قدرة على التجدد والاستمرار لما تتمتع به من مقومات وصفات موضوعية تجعلها في الحقيقة دائمة الحيوية والتطور، فهي كالكائن الحي تتطور وتتغير بفعل الزمن وتخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهذا التطور والتنقل للغة لا يجري على ألسنة الناس خبط عشواء، بل تحكمه في هذا وذاك قوانين لغوية وعوامل مجتمعية مرتبطة بتطور حياة المجتمع.

وعلى هذا "فاللغة ظاهرة اجتماعية تتطور وتتجدد وتتغير إذ تنمو، وأكثر ما يمس هذا التطور أو التغير جانب الدلالة، والتطور في الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة وانتقالها عبّر أطوارها التاريخية"[1].

وذلك للإيفاء بتلبية حاجات الإنسان المتجددة في حياته الفكرية والمادية، فهي لم تقف عاجزة أو جامدة عن مواكبة الحركة المتجددة في المجتمع بكل مظاهرها العامة والخاصة، فالعوامل الاجتماعية والتغيرات الحياتية تفرض ذلك، لذا لزم علينا أن ننظر إلى هذا التطور على أنه ظاهرة طبيعية دعت إليها الضرورة الملحة.

وتطور دلالة اللفظ أو تغيرها أو انتقالها أظهر ما يكون في تطور اللغة نفسها في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية وغيرها وهذه المستويات تمثل أنواعاً من أنواع الدلالات المختلفة والتي لابد من توضيحها لنرى مدى تأثير دلالة اللفظ بذلك ومنها:

القضـــايا الصوتية:

وهي التي تستمد من طبيعة الأصوات وما يحدث فيها من تغيير، ويتجلى أثرها التطوري في النَّبر والتنغيم، وما يلحقه من إبدال للحروف، والحركات، فقد تفقد الكلمة

([1]) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص 29.

شيئاً من أصواتها أو يتحول فيها الصوت إلى صوت آخر، أو يضاف لها صوت، وهذا جميعه يؤثر في دلالة اللفظ وأيضاً في صورته ومن ذلك: "إبدال حرف بحرف آخر وذلك في مثل: (نضح) و(نضخ)، فنضح تشير لتسرب السائل ببطء، أما نضخ لفوران السائل في قوة وعمق، فاختيار (الحاء) لرقتها للضعيف، و(الخاء) لغلظتها لما هو أقوى"[1]، ويحتمل أن يكون هذا الاستخدام خاطئاً أو سوء فهم، ولنأخذ أيضاً كلمة (ولد، بلد) فلكل من (الواو والباء) قيمة دلالية تختلف عن الأخرى ومن هذا نستشف التأثير الصوتي على دلالة الكلمة.

- "قلب مكاني في حروف اللفظ نفسه، نحو: (جبذ وجذب)، و(صاعقة وصاقعة).

- حذف حرف أو زيادته في مثل: (حق وحقّق)، (كسر وكسّر)، أو إبدال حركة بحركة

- نحو: الحلم والحلم (بضم الحاء): تدل على ما يرى في النوم"[2].

وهنالك دلالة صوتية تحليلية يتغير بعضها تبعاً لتغير الوحدات الصوتية، ومن مظاهر الدلالة الصوتية النَّبر، قد تستعمل (اسماً) إذا كان النَّبر على المقطع الأول منها، فإذا انتقل النَّبر تصبح فعلاً.

والنَّبر يكثر في اللغات الأوربية وبعض اللغات الشرقية كالعينية مثلاً، والنَّبر أو القضايا الصوتية هي ما يقر بها العقل والتجربة، فلو أننا فعلاً نقصد بها الأمر فالنَّبر واضح ويُركّز تركيزاً شديداً على الحروف الصحيحة دون حروف العلة، فعندما نقول مثلاً اكتب يكون التركيز على حرف الباء، أما أدع فيحذف منه حرف الجوف لأنك لا يمكن أن تشر عليه فلا نبر فيه.

([1]) الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، ط2، تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، سنة 2002م، ص 158.

([2]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ط1، تحقيق: محمد أحمد جاد المولي وآخرين، ج1، مطبعة عيسي البابلي، الحلبي، دمشق، سنة 1986م، ص 476.

والنَّبر أيضاً هو "الضغط على أحد المقاطع وإظهاره بصورة ليعلو به الصوت عند نطقه، كما يسمى أيضاً بالارتكاز"[1]، وهو يوظف في الحديث كثيراً لأداء بعض الدلالات، فإذا سأل سائل: "أأنت قلت كذا؟ مع الضغط على (أنت)، فهم أن السؤال منصب عل القائل، كما أن الضغط على أحد المقاطع يزيد من تأكيد الكلام، فإذا قال قائل: (فلان شتم فلاناً)، وهو يضغط على (شتم) فهو يؤكد وقوع الشتم من غير أن يستعين بأدوات التوكيد"[2].

"التنغيم وهو الارتفاع والانخفاض في درجات الكلام مع إصدار نغمة موسيقوية تفيد دلالة خاصة تظهر المشاعر والانفعالات المختلفة، وقد ينشأ ذلك من عبارة واحدة في مثل: (يا سلام) أو(صباح الخير) أو (يا شيخ) فثمة تنغيم لكل عبارة يفيد دلالة خاصة، تدل على الاستفهام أو الرضا أو الدهشة أو الاستغراب أو غير ذلك"[3]، ومن ذلك فقد صواع الملك ما نجده في قوله تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[4]، فلا شك أن تنغيم جملة: "قالوا جزاؤه بنغمة الاستفهام تختلف عن جملة: (قالوا جزاؤه) بنغمة التقرير، وذلك سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان ويكشف عن مضمونها"[5].

كما أن هنالك عوامل أخرى تؤثر في الدلالة الصوتية، منها ما يسمى قانون المماثلة، وكذلك قانون المخالفة، والقياس الخاطئ .... الخ، كما نلاحظ أيضاً في اللغة اختفاء كثير من الكلمات التي بها حروف متنافرة أو ثقيلة النطق: "كالبعاق، كما اختفت الكلمات الطويلة، نحو: احر نجم، واقعنسس، وشاعت الكلمات الرباعية

([1]) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص 32.

([2]) المصدر نفسه: ص 35.

([3]) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج1، سنة 1966م، ص 55.

([4]) سورة يوسف، الآية(75).

([5]) علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ط5، عالم الكتب، القاهرة، سنة 1998م، ص 13.

والثلاثية الحروف"[1]، فالاتجاه يسير نحو تيسير الألفاظ، والمهم في هذا الجانب أن الدلالة الصوتية تخدم البحث الدلالي عن طريق تأديتها لإتمام المعنى أو إيصال الدلالة.

والدلالة الصوتية أطلق عليها ابن جني الدلالة اللفظية وهذا ما ينطبق عليه تعريف اللفظ عنده. إذن لابد من الإشارة بأن الدرس الصوتي هو درس عربي أصيل، اهتم به علماء العربية ونبهوا إلى أهميته في بناء المعنى في مواضع كثيرة من تراثنا النقدي والبلاغي، وبتقدم تلك الجهود إشارات ابن جني(ت392) المميزة في هذا المجال منها قوله: "إن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه وأصوات الأفعال التي عبّر عنها ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف"[2].

ولم يغفل علم اللغة الحديث التصوير القائم على الخاصية، بل اهتم به كثيراً وأطلق عليه: "الدلالة الصوتية: وهي مستمدة من عمليات النطق ومن طبيعة بعض الأصوات في المنطوق به"[3].

وبهذا يتقاسم الدرس اللَّغوي القديم والحديث أهمية البحث الصوتي في النصوص الفنية، وعلى وفق ذلك لم يتوان محمد حسين الصغير في تضمين هذه السمة الظاهرة في سورة الناس، كونه يعتلي صدارة النصوص الأخرى على وفق ما ذكرناه من تفريق ولما يمتاز به مبدع النص القرآني في اختياره: "لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته

([1]) مصطلحات الدلالة العربية: جاسم محمد عبده العبود، ط1، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 2007م، ص 108.

([2]) الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، ص 65.

([3]) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص 259.

الذهنية من وجه، ودلالته السمعية من وجه آخر"[1]، وهذا ما سنعمق الرؤى فيه من خلال دراسة المحاور الآتيـــــــة:

1/ الفاصلة القرآنية: تنوعت تقنيات عرض المعنى في النصوص القرآنية المباركة، وتعد الفواصل القرآنية من التقنيات الصوتية المؤثرة في الملتقي، والتي وظفت بشكل ينسجم مع المعاني المطروحة في النص، "وتعددت تعريفات الفاصلة القرآنية على وفق زوايا البحث عند الدارسين، إلا أنها لا تخرج عن كونها لفظاً آخر الآية ينتمي لصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا تتكرر"[2].

نماذج الآيات في عدم تكرار السجع كقوله تعالى: (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) [3]، وكقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ) [4].

وللفاصلة القرآنية أنواع كثيرة، وظفت تلك الفاصلة في السور القرآنية وفق طبيعة المواقف والقضايا المطروحة للمعالجة، وما يهمنا في هذا المكان تقسيم الفاصلة بحسب وزن الفاصلة وحروف الروي إلى ثلاثة أقسام:

1- المتوازي: وفيه تتفق الفاصلتان في الوزن والقافية من دون ألفاظ الفقرتين، كقوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[5]، (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[6].

2- المتوازن: ويقصد به أن تتفق الفاصلتان في الوزن من دون حروف الروي يُعَدُّ هذا النوع من الفواصل القرآنية أكثر أنماطاً وشيوعاً، كقـــــوله تعالي: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي

([1]) الصوت اللُّغوي في القرآن: د. محمد حسين الصغير، ط1، دار المؤرخ، بيروت، لبنان، سنة 2000م، ص 163.

([2]) لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة (فصل).

([3]) سورة الأنعام، الآية (85).

([4]) سورة الأنعام، الآية(141).

([5]) سورة الفاتحة، الآية (2).

([6]) سورة الفاتحة، الآية (3).

وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)[1]، وكقوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) [2].

3- المطرّف: "وهو ما اتّفقت فيه الفاصلتان في حرف الروي واختلفتا في الوزن، كقوله تعالى: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [3]، وهذا هو تقسيم الفاصلة حسب الوزن وحروف الروي"[4]، وبما أن التناغم الصوتي بين الفاصلة القرآنية (السين) في اللفظ المفرد في نهاية كل آية، لا تتجلى جمالياته التعبيرية وعمق معناه إلا من خلال تعميق الرؤى في خيوط للالتحام المتناسق بين صوت الفاصلة القرآنية ومدلولاته السياقية، وسنتبع ما تمتاز به الفاصلة القرآنية من خصائص صوتية وأثر ذلك في الدلالة المركزية في سورة الناس من خلال ما تمتاز به تلك الفاصلة، ومن السمات التي عمقت المعنى بشكل كبير منها:

1/ "يعد صوت السين من أصوات الصفير عند الأصواتيين.

2/ يعد صوت السين من الأصوات الرخوة التي يجري فيها الهواء.

3/ يعد من الأصوات المهموسة المنفتحة"[5].

في العودة إلى ما وثقته التفاسير من معنى الوسواس نجدها تشير إلى أن "الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفي"[6].

يبدو والله أعلم بأن التصوير القرآني لقضية(وسوسة الشيطان) تتمثل في جانبين: الأول: تصوير وسوسة الشيطان على هيئة رجل يشير إلى صدور الناس

([1]) سورة إبراهيم، الآية (41).

([2]) سورة إبراهيم، الآية (42).

([3]) سورة الفاتحة، الآيات (3- 4).

([4]) أنواع الربيع في أنواع البديع: السيد صدر الدين بن معصوم المدني،ط1،تحقيق: شاكر هادي شكر، ج6، مطبعة النعمان، النجف، الأشراف، سنة1968م،ص251.

([5]) أصوات اللغة العربية: د.عبدالغفار حامد، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، سنة1996م، ص142.

([6]) المصدر نفسه: ص 143.

بخفية وتستر، وهذا ما جعل المعنى عميقاً في نفس المخاطب ومن خلال تفعيل التصوير الحركي في الأذن بتعارض الجانب الدلالي والإيقاعي في الآيات المباركة، فأوجدت السمات السينية في النص أثراً صوتياً في عدم هذا التصوير وتجلياته لما تتسم به من خصائص سابقة جاءت معززة لدلالة النص وجمالِيته كون: "علاقة الجرس بحقيقة الجمال لا تتركز في حسن الصوت فحسب، وإنما فيما يثيره هذا الصوت المسموع في انفعال ذاتي للإنسان، لأن أثر الكلمة الملفوظة لا يتجدد في إثارة حاسة السمع، وإنما في إثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان أيضاً"[1].

وهذا ما يستشفه القارئ أو السامع لهذه السور المباركة من إثارة حسية تناسب إلى روعة وجماله.

الثاني: "تصوير آلية الشعر المقدم من قبل الشيطان على هيئة صوت صغير خافت غير واضح المعالم يتصف بضعف أركأنه اللفظية والمعنوية لما سيعانيه من تحديات أمام العقل الإنساني الذي غالباً ما يكون سيفاً صارماً أمام وسوسة الشيطان، ومن هنا كان مكان دخوله (صدور الناس) لا (رؤوس الناس)"[2]. وهذا ما يتضح في قول الإمام على (رضي الله عنه): (الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك).

2/ التكرار: نجد أن كلمة (الناس) قد تكررت في سياق الآيات القرآنية المباركة، ولتوضيح الانسجام الصوتي الذي أحدثه تكرار الكلمة، لابد من الإشارة والتأكيد بأن الكلمة وظفت في تناولها على دلالات ثانوية عمقت الدلالة المركزية في السورة المباركة من خلال تكرار هذه الكلمة بشكل لا يثير أي ملل في عملية التلقي بل إن المخاطب يجد نفسه أمام متعة التأمل في المعاني الواردة فيها، فكيف حصل ذلك؟

([1]) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي النقدي: د/ماهر مهدي هلال، دار الرشد للنشر، بغداد، سنة1980م، ص310.

([2]) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: يحي بن حفرة العلوي، مصر، المقتطف، ج3، سنة 1914م، ص 19.

– "كلمة (الناس) وإن تكررت خمس مرات في سياق السورة المباركة على أنها جاءت في كل مرة (بمعنى)، يمد الدلالة المركزية بمعطيات التأثير في المخاطبين.

– قصر الآيات التي تكررت فيها الكلمة في هذه السورة المباركة منها حسن الاستماع من قبل المتلقي"[1].

وهذا ما يؤكد لنا متعة المتلقي في متابعة دلالات تلك السورة من دون ملل خلال توفير العنصر الإيقاعي.

ومن التكرار في الشعر: قال المتنبي:

فَمَا ورَدَتْ رُوَح امرئٍ رُوحُه لَهُ ** ولا صَدَرتْ عن بَاخِلٍ وَهُو باخِلُ [2].

– منح تكرار النص القرآني قيمة دلإلية، فجل شأنه لم يعوض كلمة (الناس) بضمير يعود عليها فيقول مثلاً (ربهم – وإلههم) ، "أضف إلى ذلك:

– تكرار الاسم الظاهر أقوى من الضمير.

ويمكن أن يختص بها العوذ من غير الصفات الأخرى لاستقلالها مثل: (رب – ملك – الله)" [3].

–وظهر لنا التكـــرار التركيبي في قـــوله تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ) [4].

والتكرار اللفظي (الناس) في السورة المباركة سبك وتماسك نصي متبادل بين العناصر المكونة في السورة المباركة، للوظيفة التي يقدمها التكرار في رؤى علماء اللغة المعاصرين كونه: "يهدف إلى تدعيم التماسك النصي، كذلك يوظف من أجل

([1]) المثل السائر: ابن الأثير، ط1، تحقيق: كامل محمـــد عويضـــة، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت، لبنـــان، ج1،سنة1998م، ص233.

([2]) شرح المشكل من شعر المتنبئ: تأليف: على بن إسماعيل بن سيد، المتوفى سنة458هـــ، تحقيق: مصـــطفي السقا ودكتور حامد عبدالمجيد، القاهرة،سنة1976م، ص47.

([3]) الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطبطبأني، ص407.

([4]) سورة الناس، الآيات (1–3).

تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص"[1]، وهذا ما سنتبينه في تأملنا لتكرار كلمة (الناس) الذي يوحي لنا أن الله سبحأنه وتعالى يبدأ في خطابه بتسلسل المركزية أي (القدرة)، فيبدأ جل شأنه بالربوبية في الآية الأولى في قوله تعالى:(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)[2]. وهو بذلك يظهر البنية التربوية الأولى في المجتمعات على أنه الأب لهؤلاء الناس كون الأب قمة الهرم في البناء الأسري وعليه تتوقف حركة عجلة النمو من خلال البناء بصورة صحيحة وهو معلم من معالم قدرته ينتقل سبحأنه بعدها لإظهار معالم قدرته على الخلق بأنه سبحأنه (ملك الناس) في قوله تعالى: (مَلِكِ النَّاسِ)[3]، لما يمثله من أهمية قوة في البناء، كونه الحلقة الثانية الضرورية في عملية بناء المجتمعات، بعدها فهو (إله الناس) الذي يسّير ويراعي بعدالته وحكمته كل ذلك، ومن هنا نجد التسلسل المنطقي في الخطاب، فهو لا يأمر كونه (إلهاً) له وخالق بصورة مباشرة بل هو جل شأنه (الرب – الملك – الإله) ويبدأ السياق بمفرده (الرب) ولو تأملنا ذهنياً في مراحل التكوين الإنساني وخلقه، نجده في أن أول مرحلة تكوينية تتمثل في (الجنين والحمل والفصل)، التي حدد أمدها جل شأنه في قــوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [4]. وحتماً أن هذه العملية لا داعي لاستمراريتها وديمومتها البيولوجية إلا (الرب) وهو (الرب) الذي لا يكون إلا بقدرة الخالق لذلك قال تعالى في نهاية التعبير القرآني لهذه المسألة (إلى المصير) وهذا ما ينسجم مع ما أشرنا إليه في المخطط البياني السابق بأن هناك معاني ثانوية التي يقع ضمنها (الرب) تنطوي تحت دلالة مركزية موحدة

([1]) علم اللغة النصبي: بين النظرية والتطبيق: صبحي الفقهي، ط1، دار قباء للطباعة والنشــر، القــاهرة، ج2، سنة 2000م، ص 21.

([2]) سورة الناس، الآية (1).

([3]) سورة الناس، الآية (2).

([4]) سورة لقمان، الآية (14).

في سياق الآيات الكريمة المباركة وهي (القدرة)، التي ينفرد بها الله سبحأنه وتعالى من دون غيره.

– وبعد اكتمال النشأة الأولى للإنسان، يتطلع بفطرته إلى أولى متطلبات الحياة في العيش والرقي وهذه المعالم تتجلى على وقف رؤى علماء الاجتماع في: (المأكل – الملبس – المسكن – السلطة)، وهذه من الأشياء التي تملكها الناس، لذا ذكرت مفردة (الملك) بعد (الرب) للدلالة على أن الراعي للمرحلة الأولى، وهو أيضاً مالك لما يملكه في حياته.

ولا شك أن استقرار الإنسان وتحضره وامتلاكه لما يحتاجه سيدعوه للبحث عن إله يعبد، وقد تعبد الأصنام أو الكواكب أو أشياء أخرى عرفها الإنسان من خلال تعاقب الحضارات والأمم، إلا أن مفردة (إله الناس) فرضت نفسها بقوة على قدرة الخالق وضرورة الاستعاذة به وحده من خلال التلاحم العميق في المعنى الناشئ من الترابط المنطقي في المواصفات للتعبير القرآني، كون الصفات التي ذكرناها لا توجد في أي (إله) من الآلهة التي اتخذها الناس أرباباً، ولا في أي من الأرباب، فكل من أدعى الربوبية ليس بمالك وكل من يدعى الألوهية ليس برب أو مالك والله أعلم.

ويبدو أن أسلوب التسلسل المنطقي في التصوير القرآني ذو طابع شائع في دلالته المطروحة وإقناعه من أجل إجلاء قدرته على الناس فيصفها في واقعهم اليومي فعلى سبيل المثال يدعو الناس للمتمعن في معالم خلقه فيقول سبحأنه وتعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ * أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [1].

فنجد أن القضايا المطروحة في السورة المباركة (الرب – الملك) معلومة وملموسة عند جميع الناس وبذلك يتصاعد تأثيرها في ذهن المخاطب والله أعلم.

([1]) سورة الغاشية، الآيات (17–20).

المبحث الثاني

القضـــــايا النحوية

وهي العلاقة بين الأساليب النحوية ومعناها، ويتمثل ذلك في التطور الذي يتصل بتركيب الجمل، وتكوين العبارات، مع مراعاة الدلالة الصوتية والصرفية، لأن هناك ارتباطاً بين هذه الدلالات، ويظهر أثر ذلك في اللّهجات العربية المعاصرة، "إذا تجردت من علامات الإعراب، وتغيرت فيها قواعد الاشتقاق، واختلفت مناهج تركيب العبارات، كذلك اختلف علي عبد الواحد عن الأسلوب القديم للتأثير بالترجمة، والاحتكاك بالآداب الأجنبية، أضف إلى ذلك رقي التفكير وزيادة الحاجة للدقة في التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة والاجتماع"[1]. وفي كتاب المسائل والأجوبة هنالك فرق بين البدل والنعت وعطف البيان ولكل من هذه التوابع خواص تميزها عن غيرها، وفي ذلك يقول البطليوسي عن الفرق بين النعت والعطف والبدل تتميز كل واحدة منها عن الأخرى: "فإن هذه التوابع الثلاثة يمتاز كل واحد منها من صاحبيه بفصول تخصه، وهي مع ذلك مشتركة في أشياء تعمها"[2].

أما النعت والبدل فأنهما ينفصلان "من سبعة أوجه، أحدهما: أن النعت سبيله أن يكون بالصفات المشتقة من الأفعال، أو ما هو في حكم المشتق، جارية كانت الصفات على أفعالها أو غير جارية، والبدل حكمه أن يكون بالأسماء الجامدة والمصادر.

الثاني: أن النعت يجري على المنعوت في تعريفه وتنكيره والبدل لا يلزم فيه ذلك.

الثالث: أن النعت جزء من المنعوت، أعني أنه صفة من جملة صفاته التي يوصف بها، والبدل ليس بجزء في كل موضع، بل قد يكون جزءاً منه، كقولك: (ضرب زيد رأسه) وقد يكون هو إياه، كقولك: (جاءني أخوك زيد)، وقد يكون حدثاً من أحداثه

([1])علم اللغة: على عبد الوأحد،ط9، دار النهضة، القاهرة، سنة1984م، ص285.

([2]) كتاب مخطوطة المسائل الأجوبة: ابن السيد البطليوسي، مركز الملك فيصل، الرياض، ص200.

كقولك: (أعجبني زيد حسنه)، وقد يكون اسماً مصاحباً له صحبة عريضة يمكن زوالها وانفصالها منه، كقولك: (سلب زيد ثوبه)".[1]

الرابع: (أن البدل يجري مجرى جملة أخرى ذهبت بها الجملة الأولى ويقدر فيه إعادة العامل، ولكن هو الأول بعينه ومن جملته ظهور العامل معه في نحو قـــــوله عز وجل: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ) [(2)].

الخامس: (أن النعت يكون بما هو من المنعوت وبما هو من سببه كقولك: (مررت برجل قائم) فتصفه بصفة هي له، و(مررت برجل قائم أبوه) فتصفه بصفة هي لسببه ولا يبدل الاسم إلا ما هو، أو جزء منه، أو مصاحب له، ولا يبدل منه ما هو لسببه، ألا ترى أنك تقول: (ضرب زيد رأسه) ولا يجوز من حيث الدلالة (ضرب زيد رأس أبيه).

السادس: أن البدل قد يكون منه ما يجري مجرى الغلط، ولا يكون ذلك في النعت.

السابع: أن النعت قد يكون منه ما يراد به المدح أو الذم أو الترحم ولا يكون ذلك في البدل"[(3)]، فهذه سبعة فصول ينقصل بها النعت من البدل.

وأما النعت وعطف البيان فأنهما ينفصلان "من ثلاثة أوجه، أحدهما: أن النعت يكون بالصفات، وعطف البيان يكون بالأسماء الجوامد كالبول.

الثاني: أن النعت يكون بالمعارف والنكرات، وعطف البيان لا يجوز إلا بالمعارف.

الثالث: أن النعت يكون بما هو للمنعوت، وبما هو لسببه، وعطف البيان هو المعطوف عليه بعينه"[(4)]. وأما البدل وعطف البيان فينفصلان "من أربعة أوجه: الأول: أن البدل

---

(1) الحلل في شرح أبيات الجمل: ابن السيد البطليوسي: تحقيق مصطفى إمام، القاهرة، سنة 1979م، ص107.

([2]) سورة الأعراف، الآية (75).

([3]) الحلل في شرح أبيات الجمل: ابن السيد البطليوسي، تحقيق د.مصطفى إمام، القاهرة، سنة1979م، ص107.

([4]) المصدر نفسه: ص 109.

قد يكون هو المبدل منه بعينه، وقد يكون جزءاً منه وقد يكون اسماً مصاحباً له، وقد يكون حدثاً من أحداثه، وعطف البيان هو المعطوف عليه أبداً.

الثاني: أن البدل يكون بالمعارف والنكرات والأسماء الظاهرة والمضمرة، وعطف البيان لا يكون إلا بالأسماء والمعارف الظاهرة." [1]

الثالث: أن البدل يقدر معه إعادة العامل وكأنه من جملة أخرى، عطف البيان لا يقدر فيه ذلك، بل هو في ذلك الوجه كالنعت.

الرابع: أن البدل يجيئ منه ما يراد به الغلط وعطف البيان لا غلط فيه"[2]، فهذه وجوه الانفصال بين هذه التوابع الثلاثة.

وأما وجوه الاشتراك فأنها كلها تشترك في أن الغرض فيها البيان والزيادة في الإيضاح، وفي أنها جارية على الأسماء التي قبلها في إعرابها "وفي العربية مواضع تشترك فيها الثلاثة كلها ومن ذلك قولك: (رأيت زيداً أبا عمرو)، فإن (أبا عمرو) هاهنا يصلح أن يقال فيه: أنه نعت، ويصلح أن يقال فيه: أنه بدل، ويصلح أن يقال فيه أنه عطف بيان"[3].

وأما المواضع التي يشترك فيها النعت وعطف البيان نحو قولك: (بعثت إليك بالثوب الخز وبالباب الساج) ومن هذه المواضع ما يشترك فيه التوكيد وعطف البيان وهو الموضع الذي يكرر فيه الاسم كقولك: (رأيت زيداً زيداً)، و(لقيت عمراً عمراً).

" وأما المواضع التي ينفرد فيها البدل والنعت ذكر السيد البطلويسي في كتابه مخطوطة المسائل والأجوبة أنه لا حاجة لذكرها لشهرتها وكثرتها، ولكنني سأقوم بذكر بعضاً منها للذكرى، ومما ينفرد فيه النعت:

- النعت تابع للمنعوت في رفعه ونصبه وخفضه وتعريفه وتنكيره.

---

(1) الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 2004م، ص184.

(2) المصدر نفسه ص184.

(3) المصدر نفسه: ص 185.

– النكرة تنعت بالنكرة، والمعرفة تنعت بالمعرفة ولا تدخل إحداهما على الأخرى.

– كل الأسماء تنعت إلا المضمر، لأن الاسم لا يضمر إلا بعد أن يعرف، فقد استغنى عن النعت، لو قلت ضربته الكريم على النعت لم يجز فإن جعلته بدلاً جاز.

– الأصل في النعت أن يتبع الأسماء".[1]

أما البدل فينفرد بالآتي:

1/ "يجوز بدل المعرفة من النكرة، والنكرة من المعرفة.

2/ يجوز إبدال الظاهرة من المضمر، والمضمر من الظاهر.

3/ للبدل أربعة أضرب.

4/ البدل هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة فالمقصود بالحكم يخرج النعت.

5/ البدل يتبع غير الاسم" [(2)].

وأما المواضع التي ينفرد بها عطف البيان ومن أجلها احتيج في صناعة النحو، "فنذكر ها لغرابتها عند النحويين وهي ثلاثة مواضع: الأول: باب النداء: نحو قولك: (يا أخاناً زيداً).

الثاني: باب المبهمات نحو قولك: (مررت بهذا الرجل)، و(لقيت هذا الغلام)، والنحويين يتسامحون في هذا ويسمونه نعتاً وإنما هو في الحقيقة عطف بيان.

الثالث: باب اسم الفاعل: نحو قولك: (هذا الضارب الرجل زيد)، بخفض زيد على عطف البيان، ولا يصلح أن يكون بدلاً، لأن البدل يحل محل المبدل منه، ولو قلت: (هذا الضارب زيد) لم يجز، لأن ما فيه الألف واللام لا يضاف إلى ما ليس فيه ألف ولام"[(3)]. فهذه هي المواضع التي يختص بها عطف البيان دون سائر التوابع.

---

(1) كتاب مخطوطة المسائل والأجوبة: ابن السيد البطليوسي، ص201

([2]) الجمل في النحو: الزجاجي، تحقيق: على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، بيروت، ج1، سنة 1984م، ص26.

([3]) الكتاب: سيبويه، ص 186.

وأكثر ما يستعمل عطف البيان في رد الأعلام على الكنى، ورد الكنى على الأعلام نحو قولك: (رأيت أبابكر زيداً)، و(رأيت زيداً أبابكر) وسمي عطف بيان، لأنك عطفت على الأول فبينته، لأن معنى العطف الرجوع إلى الشيء بعد الزوال عنه.

وأما البدل فله ثلاثة أغراض: "إما بدل الشيء من الشيء وهما لمعنى واحد، فالغرض منه إعلام المخاطب بمجموع الاسمين احتياطاً في البيان، فإن فهم المراد بأحدهما كان الأخر تأكيداً في البيان، وإن لم يفهم بأحدهما فهم الآخر، وأما بدل البعض من الكل فإن الغرض فيه تخصيص ما يجوز أن يكون عاماً، لأنك إذا قلت: (لقيت القوم) جاز أن تريد جميعهم أو بعضهم، فإذا قلت أكثرهم أو بعضهم، أزلت العموم وخففت الخصوص، وأما بدل الاشتمال فالغرض فيه ذكر بعض ما يشتمل عليه الكلام الأول إيضاحاً للمراد كقولك: (سلب زيد) فيحتمل أن يقع السلب بثوبه وبغيره من أسبابه، ثم تقول: ثوبه أو نعله، تبييناً لما تريد"[1]، " وهذه الوجوه الثلاثة يقدر فيها ارتفاع الأول وحلول الثاني محله، فكان البدل إلحق الأسماء به ليبين عن معناه لأن العرب تقول: أبدلت الشيء من الشيء إذا عوضه منه، وتقول: خذ هذا بدلاً من هذا، أي عوضاً، فلما كان كذلك صار هو النعت كالشيء الواحد، ولا يصلح أن يكون شيء واحد معرفة نكرة في حال واحدة من جهة واحدة."[2]

أما الحديث عن معنى رُبّ فنجد كبار النحويين والبصريين ومشاهيرهم مجتمعين على أنها للتقليل، وأنها ضد (كم) في التكثير "كالخليل وسيبويه وعيسى ابن عمر ويونس وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو بن العلاء والأخفش وسعيد بن مسعرة والمازني والجرمي والمبرد وابن السراج والزجاج وأبي على الفارسي والرماني والسيرافي وابن جني، وكذلك جلة من الكوفيين مثل: الكسائي والفراء ولم أجد لهم مخالفاً في ذلك

([1]) كتاب مخطوطة المسائل الأجوبة: ابن السيد البطليوسي، ص 202.

([2]) المصدر نفسه، ص241.

إلا صاحب كتاب العين فأنه صرح بأنها للتكثير ولم يذكر أنها تجيئ للتقليل وهذا من أطراف شيء، لأن (ورب) قد كثر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التكثير"[1]، وقول الخليل في هذا كما وقفت عليه في كتاب العين: "ورب كلمة تفرد واحداً من جميع يقع واحد بعين به الجميع كقولك: (رب خير لقيته) ويقال: ربتما كان ذلك وكل ذلك يخفف الباء"[2]، في حين أن الفارابي يرى أنها تكون تكثيراً وتقليلاً، وآخرون يحتجون بقول سيبويه أن معناها مثل معنى (كم) والصواب أن رب تفيد التقليل و(كم) تفيد التكثير، وأفادت رب بمعنى القلة في قول العرب: وربما خاب الأمير وربما سبقه الحليم، وتأتي رب بمعنى التكثير عن طريق المجاز فقط وفي مواضع أحوالها، ومن المواضع التي "يذهب بها إلى التكثير في حالة الافتخار والمباهاة كقول القائل: رب عالم لقيت، ورب يوم سررت شهدت"[3]، لأن الافتخار لا يكون إلا بما كثر من الأمور في الغالب من أحواله، وقد يكون لقاء الرجل الواحد أذهب في الفخر من لقاء الجماعة ولكن الأول هو الأكثر فمن ذلك قول امرئ القيس:

ألاّ رُبّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُمَا صَالِحٍ ** وَلاَ سِيمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جَلْجَلْ[4].

إذن مما سبق الفرق بين " (رب) و(كم) أن رب تفيد التقليل وتأتي بمعنى التكثير في حالة المجاز.

(كم) يصلح استعمالها بلفظ التقليل مرة وبلفظ التكثير مرة أخرى حسب تأويل النحويين."[5]

([1])كتاب مخطوطة المسائل الأجوبة: ابن السيد البطليوسي، ص 260.

([2]) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج8، باب الراء والباء، ص 258.

([3]) كتاب مخطوطة المسائل والأجوبة. ابن السيد البطليوسي، ص 277.

([4]) ديوان أمرئ القيس: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1966م، ص 150.

[5]) كتاب مخطوطة المسائل والأجوبة: ابن السيد البطليوسي، ص277.

ومن المسائل أيضاً مسألة (ما و من): يقول ابن قتيبة في باب (ما) إذا اتصلت، وكتبت في المصحف سواءً كانت مقطوعة أو موصولة فيعنى بها بمعنى الاسم كقوله تعالى:

(إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) [1].

فجاءت موصولة بمعنى الاسم، أو مقطوعة كقوله: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) [2]، فجاءت أيضاً بمعنى الاسم. قال البطليوسي في كتابه الاقتضاب في شرح أدب الكاتب معقباً على هذا القول: "إنما تكون (ما) اسماً في قراءة من قرأ (كيد ساحر) بالرفع، وأما من نصب (كيد ساحر) و(ما) في قراءته صلة، فكأن الذي كتب المصحف إنما كتبه على قراءة من نصب، فلذلك وصلها"[3].

يذكر البطليوسي بعض القراءات في هذه المسألة، فقراءة الجمهور بالرفع، والنصب قراءة مجاهد، حميد وزيد بن علي ونسبت إلى ابن مسعود.

ومما ذكره أيضاً ابن قتيبة قوله: أينما تكونوا فافعل كذا، كما جاء في قوله تعالى: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) [4]، (ونحن نأتيكم أينما تكونون) فهي موصولة، لأنها في هذا الموضع صلة، وصلت بها أين، ولأنه قد يحدث باتصالها معنى (لم يكن) في كلمة (أين)، ألا ترى أنك تقول: "أين تكون نكون، فترفع، فإذا دخلت (ما) على أين قلت: (أينما تكن) فتجزم"[5].

([1]) سورة الأنعام، الآية (134).

([2]) سورة طه، الآية (69).

([3]) الإقتضاب في شرح أدب الكاتب: تأليف أبي محمد عبدالله بن السيد البطليوسي، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، سنة1999م، ص228.

([4]) سورة النساء، الآية (78).

([5])أدب الكاتب: تأليف الأديب اللَّغوي النحوي: أبو محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري، ط1، تحقيق: محمد الدإلى، سنة1967م، ص257.

وهنالك مسألة أخرى ذكرها ابن قتيبة في باب (من) يقول: "تكتب في من رغبت؟ فتصل للاستفهام، وتكتب: (كن راغباً في من رغبت إليه) مقطوعة، لأنها اسم، وقال أيضاً فأما مع (من) فأنها مفصولة إذا كانت استفهاماً أو اسماً تقول: (مع من أنت؟)، (وكن مع من أحببت) ، والصواب أن تقول إذا كانت (من) خبراً غير استفهام فهي مقطوعة، وإن كانت لغير الاستفهام من أجل الإدغام (ممن) فهي موصولة. "[1]

وأما عن مسألة (إن، أن، وإذن): اعلم (أن) المشددة وضعت للعمل في الأسماء، و(أن) المخففة وضعت للعمل في الأفعال المستقبلة، فما دامتا على أصل وضعهما، فلا لبس بينهما، لأن إحداهما مشددة، والثانية مخففة، وإحداهما تعمل في الأسماء والثانية في الأفعال.

ثم (إن) المشددة يعرض لها في بعض المواضع التخفيف وإضمار اسمها، فلا يظهر في اللفظ ويعرض لها عند ذلك أن يليها الفعل، كما يلي في أصل وضعها فيقع اللبس بينهما، فيحتاجان إلى ما يفصل بينهما، والفصل بينهما يكون من وجهين: "الأول: (أن) المخففة من المشددة تقع قبلها الأفعال المحققة، نحو: (علمت، وأيقنت، وتحققت)، والناصية للفعل تقع قبلها الأفعال التي ليست محققة نحو: (رجوت وأردت وطمعت).

الثاني: أن المخففة من المشددة يلزمها العوض من المحذوف منها، والعوض أربعة أشياء هي: (السين، سوف، وقد، ولا التي للنفي)، كقولك: (علمت أن سيقوم)، و(أيقنت أن سوف يخرج) وإنما وقع لزوم الأفعال غير المحققة قبل الناصبة للفعل، لأن (أن) المشددة إنما دخلت في الكلام لتحقيق الجمل وتأكيدها، فوجب أن يقع قبلها فعل محقق، لأنه مشاكل لها ومطابق لمعناها"[2]، ولما كانت (أن) الناصبة للفعل، إنما وضعت لنصب الأفعال المستقبلة، والفعل المستقبل يمكن أن يكون، ويمكن أن لا يكون وجب

([1])أدب الكاتب: تأليف الأديب اللُّغوي النحوي: أبو محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري، ط1: ص 258.

([2]) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب: تأليف أبي محمد عبدالله بن السيد البطليوسي، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، سنة1999م، ص231.

أن يقع قبلها كل فعل غير محقق، لأنه موافق لمعناها، فإذا وقع قبلها الظن والحسبان جاز أن تكون الناصبة للفعل، لأن الظن خاطر يخطر بالنفس فيقوى تارة ويضعف تارة، فإذا قوى وكثرت شواهده ودلائله، صار كالعلم، لذلك استعملت العرب الظن بمعنى العلم.

وإنما قلنا: إن إظهار (أن) في الخط إذا كانت مخففة من المشددة، وترك إظهار غير المخففة هو القياس، لأن سبيل ما يدغم في نظيره أو مقاربه ألا يكون بينه وبين ما يدغم فيه حاجز من حركة ولا حرف، لأنه إذا كانت بينه وبين حاجز، بطل الإدغام، لذلك لزم ألا يدغم شيء في مثله أو مقاربه حتى تسلب عنه حركته، لأن الحركة تحول بينهما إذا كانت رتبة الحركة (أن) بعد الحرف.

ولما كانت "(أن) الناصبة للأفعال ليس بعدها شيء مضمر، باشرت النون لاماً (لا) مباشرة المثل للمثل والمقارب للمقارب، فوجب إدغامها فيها، فانقلب إلى لفظها، فلم يجز ذلك ظهورها في الخط"[1].

وكذلك أيضاً من المسائل النحوية تكتب (إذاً) بالألف وهي تشبه النون الخفيفة كما جاء في قــوله تعالى: (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) [2]، إذا أنت وقفت على الألف، إذا وصلت بنون وأحب أن تكتبها بالألف في كل حال، لأن الوقوف عليها بالألف في كل حال.

وقد اختلف الناس في (إذن) كيف ينبغي أن تكتب، فرأى بعضهم أن تكتب بالنون على كل حال، وهو رأي أبي العباس المبرد، لم أعثر على هذا الرأي عند المبرد، ورأى قوم أن تكتب بالنون إذا كانت عاملة، وبالألف إذا كانت ملغاة.

([1])الاقتضاب في شرح أدب الكاتب: تأليف أبي محمد عبدالله بن السيد البطليوســي، ط1، ســنة1999م،: ص 232.

([2]) سورة العلق، الآية (15).

وأحسن الأقوال فيها قول المبرد "(لأن نون (إذن) ليست فها بمنزلة التنوين ولا بمنزلة النون الخفيفة فتجرى بمجراها في قِبلها (ألفاً) لأنها هي أصل من نفس الكلمة، ولأنها إذا كتبت بالألف أشبهت (إذا) التي هي ظرف، فوقع اللبس بينهما، نحن نجد الكتاب قد زادوا في كلمات ما ليس فيها، وحذفوا من بعضها ما هو فيها للفرق بينهما وبين ما يلتبس بها في الخط فيجوز أن تكتب (إذا) بالألف وذلك مؤد إلى الالتباس بـــ (إذا)"[1].

أما في مسألة ما جرى مجرى الفاعل قال سيبويه فيه: "يتعدى فعله إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى.

كما جاء في قوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)[2]، وقوله تعالى: (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [3].

فإنما جاء، لأنه ليس (ما) معنى سوى ما كان قبل أن تجيئ إلا التوكيد فمن ثم جاز ذلك، إذا لم ترد به أكثر من هذا، وكانا حرفين، إحداهما في الآخر عامل، ولو كان اسماً أو ظرفاً أو فعلاً، لم يجز، ونريد بالحرفين: الباء والخفض.

علماً بأنه لا يمتنع أن نسمى الأقسام التي يدور عليها الكلام حروفاً وإنما جاز ذلك، لأنها لما كانت محيطة به، والشيء إنما يتحدد بأطرافه ونواحيه التي هي حروف له، فجاز أن نسمى الكلام الثلاث حروفاً لهذا المعنى." [4]

" فقد رأى إبراهيم أنيس أن ربط اللغة بالمنطق العام لا يخدم اللغة، فلكل لغة منطقها الخاص، ولذا يجب عرض وتفسير اللغة في ضوء المنطق اللغوي والاستعمال اللغوي، وفي ضوء العوامل النفسية التي قد يتأثر بها المتكلم والسامع، ومن هذه

([1]) أدب الكاتب: تأليف الأديب اللُّغوي النحوي أبو محمد عبدالله ابن قتيبة، ص271.

([2]) سورة النساء: الآية (155).

([3]) سورة المائدة: الآية (13).

([4]) الكتاب: سيبويه، ج1، ص 180.

الظواهر الإفراد والجمع والتذكير والتأنيث والفكرة الزمنية في اللغة والنفي اللغوي".[1]

" قصة الإعراب هي القصة التي تفرد بها إبراهيم أنيس معارضاً كل من سبقه من اللغويين العرب، إلّا قطرب الذي أخذ عنه وظيفة الحركات الإعرابية، فهي عندهما لوصل الكلام فقط، وليس لها مدلول، وفي هذه القضية يتناول إبراهيم أنيس نشأة النحو العربي، ويهاجم النحاة، ويقدّم براهين يدحض بها أهمية الإعراب ليصل إلى أن لا علاقة بين الإعراب والمعنى، وهو الرأي الذي تتبناه المدرسة التركيبية".[2]

" رأى إبراهيم أنيس في الظواهر النحوية والمنطق أن النحو قد يتغير، وبعض الألفاظ والتراكيب قد تتغير، بينما المعاني والمفهومات والمبادئ التي يبحثها المنطق ثابتة، وللغات منطقها الخاص، ولها أساليب يجب عرضها وتفسيرها في ضوء المنطق والاستعمال اللغوي، ليس في ضوء المنطق العام، فهناك عوامل نفسية قد يتأثر بها المتكلم والسامع حيث يعبّر عما يدور في نفسه".[3]

---

(1) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، سنة 1975م، ص34.

(2) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، ص37.

(3) المصدر نفسه، ص49.

المبحث الثالث

القضايا الصرفيـــــــــة

وهي التي تستمد من الصيغ والأبنية وما يتبع ذلك من تغيير في الأوزان والحركات والاشتقاقات، وهذا يؤدي إلى تطور واضح في الدلالة، ولكي تتضح الرؤية نمثل لذلك بمادة (ك، ت، ب): كتب، نكتب، أكتب، كاتب، كتاب، مكتوب، ...الخ، فلكل لفظ من ذلك دلالة تختلف عن الأخرى، وأيضاً مما له أثر في الدلالة الصرفية الإبدال والإعلال، والتصغير، والنسب، واستخدام صيغ أخرى، مكان غيرها.

وهنالك أفعال على زنة فعل مضمومة العين وهي: وقح الحافر، خلق الثوب، وملح الماء، ونتن الشيء، ومرع الوادي، وأفعال مكسورة العين وهي:

ألفت المكان، ونكرت القوم، ونعم الله بك عيناً وجدب الوادي وخصب، "هذه المسألة كثير من أهل الصناعة يصرفونها كلها إلى الفتح: أي فتح العين في حين أن كل الأفعال الماضية كيفما تصرفت صيغها، يجوز أن يعبّر عنها بـــ (فعل) وإنما تراعي مقابلة الحركات بالحركات والسواكن بالسواكن"[1].

وفي باب فعل الشيء وفعل الشيء غيره يقول ابن قتيبة: "سرحت الماشية ورعت ورعيتها، وأنكر أبو على البغدادي (رعيتها)، قال (ليس معنى رعيتها جعلتها ترعى، إنما معنى رعيتها، حفظتها، فإنما يقال من الرعي للنباتات، رعيت الماشية وأرعيتها بالألف"[2].

([1]) الإقتضاب في شرح أدب الكاتب: تأليف أبي محمد عبدالله بن السيد البطليوسي، ج1، ص 324.

([2]) البارع في اللغة: أبو على إسماعيل بن القاسم الغإلى، تحقيق: هاشم الطعان، مكتبـــة النهضـــة، بغـــداد، دار الحضارة، بيروت، سنة1975م، ص175.

حكى الخليل ابن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب العين يقول: "الترعية (بتشديد الياء): الرجل الحسن الالتماس وارتياد الكلأ للماشية، ورعيت رعية يومي والرعية، فعلك بها"[1].

وبخصوص معاني أبنية الأفعال: فلها معانٍ كثيرة ومتعددة، فنجد أن الفعل الواحد له معانٍ كثيرة ومختلفة ترد إليه نتيجة ما يلحق به من تشديد وهمزة وغيره.

وفي باب (فعل) (بفتح العين) (يفعل ويفعل) وبضمها وكسرها ومثل ذلك (أبق الغلام ويأبق ويأبق) وهذا صحيح وجائز، وفي ذلك قول دستورية: "كل ما كان ثانية ولا ثالثة من حروف اللين ولا الحلق فأنه يجوز في مستقبله يفعل بضم العين ويفعل بكسرها، كضرب يضرب وشكر يشكر، وليس أحدهما أولى به من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف" [2].

وفي باب (فعل) بفتح العين (يفعل ويفعل) بفتحها وضمها مثل: "(شم، بشم ويشم)، ذكر البطليوسي: (شم) الذي يفتح شينه في مضارعه ليس ماضيه على (فعل)مفتوح العين، ولو كان كذلك لكان شاذاً، وأما (شم) الذي يضم في مضارعه فهو فعل مفتوح العين بمنزلة رد وشد ولا يجوز أن يكون ماضيه مكسور العين، ولو كان كذلك لكان شاذاً ولزم أن يذكر مع (مت تموت، ونعم ينعم)" [3].

وذكر أيضاً في باب فعل (بفتح العين) يفعل ويفعل بفتحها وكسرها، "ذكر ابن قتيبة إلى اللبن يعام ويعيم"[4]. وهذا غلط ولو كان يعام على ما توهم لكان شاذاً ولزمه أن يذكره مع: ابي يأبى وركن يركن لأن مستقبل (فعل) المفتوح العين لا يأتي بالفتح إلا إذا كانت عين الفعل منه أو لامه أحد حروف الحلق، وأما الفاء فأنها لا تراعى

([1]) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، دار مكتبة الهجرة، إيران، سنة1419هـ، ص225.

([2]) تصحيح الفصيح: ابن دستورية، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، سنة 1975م، ص175.

([3]) الإقتضاب في شرح أدب الكاتب: تأليف أبي محمد عبدالله بن السيد البطليوسي، ج1، ص328.

([4]) أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن قتيبة، ص 513.

وإذا كان كذلك وجب أن يعتقد أن عام يعام كخاف يخاف، هاب يهاب، ويعتقد أن (عام يعيم) كباع يبيع، والعين من عام ياء، لقولهم في مصدره العيمة.

وذكر ابن قتيبة عن الجمهور بعض الأفعال الشاذة: "(أبى يأبى وركن يركن)"[1]، وزاد الكوفيون: "غشا الليل يغشى، ولى يقلى، وشجي يشجي، حي يحيا، وحكى كراع النمل، عثا يعثى مقلوب من عاث يعيث إذا فسر"[2].

وهذه الأفعال النادرة كلها، فاء الفعل منها واو، ولم يسمع فعل يفعل في شيء مما الواو فيه عين أو لام إلا في فعل واحد من المعتل العين، قالوا إن الشيئين، وإنما حكمنا عليه بأنه فعل يفعل مكسور العين، لأن معناها حان يحين فهو من معنى الأوان، فلو كان ماضية مفتوح العين لكان مضارعه يؤوون كقال يقول، لأن ذوات الواو من هذا الباب لا يجيئ مضارعها على بفعل مكسور العين، "وحكى أبو زيد أنه يقال: إن هذين الشيئين، فظاهر هذا أنه من ذات الياء كباع يبيع بيعاً"[3]، ويقوي هذا أنهم قلبوه فقالوا: أن يأني على مثال رمى يرمي وهذا كله تقوية لقول من يجعل (أن) من ذوات الياء وهذه من ألفاظ التصريف المشكلة.

أما في باب فعل (كسر العين) يفعل ويفعل (بفتحها وكسرها) ذكر عن أبي على البغدادي في هذا الباب أمثلة: "يئس، ييأس، وبئيس، من لفظ البؤس ضد: نعم، ينعم، ويئس ييأس، يتيس من اليأس ضد الرجاء، وييأس يأس، ويبس من اليبس ضد الرطوبة"[4]، ومن أمثلة ابن قتيبة في هذا الجانب مثل:" ورم يرم، وولي يلي، ووثق يثق، وومق يمق، وورع يرع، وورث يرث، ووري الزند يري، ووفق أمرة يفق"[5]،

([1])أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن قتيبة: ص 514.

([2]) المنتخب من غريب كلام العرب: كراع النمل، تحقيق: محمد أحمد العمري، أحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، سنة1989م، ص200.

([3]) النوادر في اللغة: أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري، ط2، دار الكتاب العربي، سنة 1967م، ص 150.

([4]) البارع في اللغة: أبو على إسماعيل بن القاسم الغإلى، ص 220.

([5]) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب: أبي محمد عبدالله بن السيد البطليوسي، ج1، ص 329.

في حين أنه أغفل، وطيء يطأ، ووسع يسع، لأن أصل هذين الفعلين كسر العين، وإنما انفتحتا من أجل حرف الحلق، الدليل على أن الأصل في عينيها الكسر سقوط الواو منهما، ولو كانتا مفتوحتين في أصل وضعهما لصحت الواو لصحتها في وجل يؤجل بعد أن وقفنا وقفة سريعة على أبنية الأفعال ومعانيها، كان لابد لنا من وقفة سريعة أيضاً على الأبنية الأفعال ومعانيها حتى نكمل أوجه الصرف كلها، لأن الصرف كما نعلم علم يختص بالأسماء والأفعال. ففي كتاب أدب الكاتب ذكر أن أول باب عن أبنية الأسماء هو "باب (فعلة وفعلة)، حيث ذكر في هذا الباب أمثلة ابن قتيبة التي ذكرها هي: العقاب، لقوة، ولقوة، فأما التي تسرح اللقح، فهي لقوة بالفتح" [1]، يقول الخليل في هذا الباب: لقوة، بكسر اللام، للتي تسرع اللقح، لكنني وجدت في كتاب العين: "أن اللقوة بالفتح والكسر هي العقاب التي تسرع السير" [2].

أما ما ذكره ابن السكيت في هذا الباب: "اللقوة بالفتح التي تسرع اللقح من كل شيء" [3].

أما "في باب (فعلة فعلة) بضم وكسر العين، فقد أورد أيضاً الأمثلة التي أوردها ابن قتيبة وهي:خصية وخصية"[4]، في حين أن ابن قتيبة قد " أنكر (خصية) بكسر الخاء في باب ما جاء مضموماً العامة تكسره ثم أجازها في هذا الموضوع، والصواب في هذه المسألة ه الضم، لا يمكن أن نفصل بين الصرف واللغة بما أن فروع اللغة العربية متداخلة ومتماسكة في تلاحم وتراحم وجميع الأمثلة التي ذكرت متداخلة ومتماسكة مع اللغة."[5]

([1]) أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن قتيبة، ص 564.

([2]) العين: الخليل ابن أحمد الفراهيدي، ج5، ص 212.

([3]) إصلاح المنطق: ابن السكيت، تحقيق: أحمد محمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، ص 117.

([4]) أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن قتيبة، ص 565.

(5) المصدر نفسه، ص 565.

كما أن ابن قتيبة ذكر أمثلة منها: "سهك ولخن ويكد وحسك وقتم: كل هذا للشيء الذي يتغير من الوسخ يسود"[1]، تم بالتاء: كأنه من القتام وهو الغبار، ويقال أنكره أبو على البغدادي وقال: "لست أذكر (قتم) في هذا المعنى إنما أذكر (قنم) بالنون، ويقال: يدي من كذا وكذا قنمة"[2].

و(قتم بالتاء، قنم بالنون) متقاربان في المعنى لأن القنمة بالنون: خبث الرياح، كذلك الجوهري يقول: "القنمة بالتحريك خبث رياح الأدهان الزيت نحو ذلك، وبقرة قنمة: متغيرة الرائحة"[3]، وكذلك حكى أبو زيد: "قنم الطعام والثريد قنماً: إذا فسد وعفن، القنم مثل النمس، وهو في الطعام مثل العفن، وفي الدهن: فساد ريحه، والقتم بالتاء: السواد غير الشديد، يقال: قتم قتماً وقتمة، والقتم: ريح ذات غبار" [4].

وذكر في باب شواذ الأبنية ماحكاه ابن قتيبة عن سيبويه قوله: "ليس في الأسماء ولا في الصفات (فعل)، لا تكون هذه الأبنية إلا للفعل، قال: وسمعت الأخفش يقول: "قد جاء على (فعل)حرف واحد وهو الدال، لروية صغيرة، تشبه ابن عرس، (لم أعثر على رأي الأخفش هذا) والذي نقله عن ابن قتيبة"[5]. وفي حين أن سيبويه قال: ليس في الكلام (فعل) بكسر الفاء والعين إلا حرفان في الأسماء: إبل والحبرة، وهي القلح في الأسنان، وحرف في الصفة قالوا: "امرأة بلز" وهي الضخمة، لم يحك عن سيبويه غير "(إبل) وحده وقال: "ويكون فعلاً في الاسم نحو: إبل وهو قليل، لا نعلم في الأسماء والصفات غيره"[6]، قال ابن قتيبة: "وقد جاء حرف آخر وهو أطل وهو

([1]) أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن قتيبة، ص 602.

([2]) البارع في اللغة: أبو على إسماعيل بن القاسم الغإلى البغدادي، ص 205.

([3]) الصحاح: إسماعيل ابن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور، بيروت، سنة 1979م، ص 150.

([4]) النوادر في اللغة: أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري، ص 70.

([5]) الكتاب: سيبويه، ج4، ص 244.

([6]) المصدر نفسه: ص 245.

الخاصرة"[1]. وحكى أيضاً ابن قتيبة عن سيبويه قال: "ليس في الكلام (فعــل) بكســر الفاء وفتح العين وصف إلا حرف واحد من المعتل يوصف به الجميع وذلــك قــولهم وهو ما جاء على غير واحدة" [2]، ولم يذكر سيبويه (سوى) وابن قتيبة يقــول: وزاد غيره (سيبويه)، وقد جاء مكان (سوى)، وقد جاء حرفان آخران، قالوا: "ماء صــرى: للمجتمع المستنقع، و(ماء روى) للكثير المروي، وقد جاء منه شيء بالهــاء، وقــالوا: (طيبة) للحلال، و(خيرة) للشيء المختار" [3].

وفي مسألة أخرى حكاها ابن قتيبة عن سيبويه أنه قال: "ليس الكلام مفعل إلا متحرك، فأما منتن ومغيرة، فأنهما من أغار وأنتن، ولكنهم كسروا كما قالوا: (أجواؤك ولأمك)"[4]، جاء يجيئ ويجوا.

وذكر ابن قتيبة عن سيبويه أنه قال: "ليس في الكلام (فعلول) بفتح الفاء وتسكين العين" [5]. قال ابن قتيبة: وقال غيره: "قد جاء فعلول في حرف واحد قالوا: بنو صعفوق باليمامة"[6]. وفي مسألة أخرى ذكرها ابن قتيبة عن سيبويه قال: "لم يأت (فعيل) في الكلام إلا قليلاً، قالوا: المريق، وكوكب دري" [7].

وأما الفراء فزعم "أن الدري منسوب إلى الدر ولم يجعله على فعيل" [8].

([1]) أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن قتيبة، ص 611.

([2]) الكتاب: سيبويه، ج4، ص 246.

([3]) الأقتضاب في شرح أدب الكاتب: أبي محمد عبدالله بن السيد البطليوسي، ج1، ص 386.

([4]) الكتاب: سيبويه، ج4، ص 273.

([5]) المصدر نفسه: ص 275.

([6]) أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن قتيبة، ص 630.

([7]) المصدر نفسه: ص 631.

([8]) معاني القرآن: الفراء، تحقيق: محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2، سنة 1960م، ص 252.

وكان الخلاف في قراءة (درى) مشددة ففي هذه القراءة يحتمل أن يكون منسوباً إلى الدر كما قال الفراء، ويحتمل أن يكون أصله الهمزة فانقلبت ياء، وأدغمت في ياء فعيل، كما يقال في النسيء وفي خطيئته: أي خطية.

وذكر ابن قتيبة عن سيبويه قوله: "لم يأت على أفعل، إلا حرف واحد لا نعرف غيره قالوا: هو يدعو الأجغلي وهو أيضاً الجغلى"[1]، قد قالوا الأوتكى: وهو ضرب من التمر، ويأس الهمزة فيه أن تكون زائدة.

وأيضاً مما ذكـــره ابن قتيبة عن ســـيبويه "لم يأت على (أفنعل) إلا حرفان: ألنجج وألندد من الألد" [2]، قد جاء (أبنبم) اسم موضوع، ويقال: (يبنبم) بالباء.

ومما ذكره من شواذ التصريف، ذكر قول ابن قتيبة حيث قال: لم نجد ياء بعدها واو غير مهموزة في الأسماء إلا في يوم، قد قال أبو على الفارسي: "لم تجيئ العين ياء واللام واواً في اسم ولا فعل، فأما (حيوة) للاسم العلم والحيوان، فالواو فيها بدل من ياء، وقد جاء عكس هذا كثير، نحو: طريت ولويت ورويت، وجاءت الواو فاءً والياء عيناً في ويل وويح ويئس، وعكس هذا قولهم: يوم"[3].

ومن أمثلة ما ذكر في أبنية نعوت المؤنث قول ابن قتيبة: "وعلامات المؤنث قول ابن قتيبة تكون آخراً، بعد كمال الاسم إلا كلتا، فإن التاء هي علامة التأنيث جعلت قبل آخر الحرف" [4]. " قد اختلف النحويون في تاء (كلتا) وألفها، فأما الكوفيون الكوفيون فقد ذهبوا إلى أن التاء للتأنيث، والألف للتثنية كالتي في (بنتان) و(أختان) وزعموا أن واحدها (كلتا) واحتجوا بانقلابها مع المضمر ياء في قولهم: جاءتني المرأتان كلتاهما، ورأيت المرأتين كلتيهما.

([1]) الكتاب: سيبويه، ج4، ص 247.

([2]) المصدر نفسه: ص 248.

([3]) المسائل الحلبيات: أبي على الفارسي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سنة1987م،ص9.

([4]) الإنصاف في مسائل الخلاف: أبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، القـــاهرة، ج2، سنة1953م، ص439.

وأما البصريون فيرونها كلمة مفردة تدل على التثنية، واحتجوا بمجيئ الخبر عنها مفرداً، واختلف البصريون فيها فذهب بعضهم إلى أن التاء فيها عوض من لام الفعل المحذوفة على معنى المعاقبة، لا على معنى البدل، يريدون أنها عاقبت لام الفعل المحذوفة، كما عاقبت ألف الوصل في ابن واسم اللام الساقطة، وذهب بعضهم إلى أنها بدل من الواو التي هي لام الفعل.

بالإضافة إلى أن البصرة امتازت عن غيرها وهي أن عقلها كان أدق وأعمق من الكوفة وكان أكثر استعداداً لوضع العلوم، لعل السبب في ذلك يرجع إلى اتصال البصرة بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني، وما وضعه أرسطاطليس من المنطق وحدوده وأقيسته، ولعل هذا هو الذي جعل النحو يصاغ صياغة علمية دقيقة."[1]

" يبدأ النحو الكوفي بدءاً حقيقاً بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله، وأعداه بحذقهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتين لمقدماته، ومرتين في قواعده ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيأنه، وأجمع القدماء على أن نحو الكوفيين يشكل مذهباً مستقلاً أو كما نقول بلغة العصر مدرسة مستقلة، قامت هذه المدرسة على مجموعة من الأسس ومن أهمها الاتساع في الرواية بحيث تفتح جميع الدروب والمسائل للأشعار واللغات الشاذة وطابع الاتساع في القياس بحيث يقاس على الشاذ والنادر دون تقيد بندرته وشذوذه، ثم طابع المخالفة في بعض المصطلحات النحوية وما يتصل بها من العوامل ولعل هذا من أهم ما يميز الكوفة عن البصرة، مما جعل بعض البصريين يفخر على الكوفيين بقولهم نحن نأخذ اللغة عن حرشة (أكلة) الضباب، وأكلة اليرابيع أب (البدو الخلص) وأنتم تأخذونها من أكلة الشوا ريز، وباعة الكوامخ أي (عرب المدن)، وفيما يخص المصطلحات النحوية وما يتصل بها من عوامل ومعمولات فقد

---

[3] أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن قتيبة، ص632.

حاول الكوفيون أن يميزوا نحوهم بمصطلحات البصريين والنفوذ إلى آراء خاصة بهم في بعض العوامل والمعمولات."[1]

" يرى إبراهيم أنيس أن الصلة وثيقة بين القياس والاشتقاق، فالاشتقاق في رأيه الطريقة التنفيذية للقياس، فالقياس هو النظرية، والاشتقاق هو التطبيق، وأن مذهب جمهور العلماء بصدد هذا الاشتقاق أنه لا يصح القيام به إلا حين يكون له سند من نصوص اللغة، يبرهن على أن العرب أصحاب اللغة جاءوا بمثله أو نظيره، وهذا النظير كثير الورود في كلامهم المروي عنهم".[2]

" كما أن معظم الذين جاءوا بعد ابن السكيت، الذي كتب رسالة سمّاها القلب والإبدال، جمع فيها كلمات تختلف كل كلمتين في حرف وتتفقان معنى، تلقّوا ما ذهب إليه ابن السكيت بالقبول والتسليم".[3]

" وأما بخصوص الإبدال التركيبي فإن إبراهيم أنيس يرفض أن يقدّر أصولاً لكلمات مثل: سماء، قائل، صيام، ميزان، سيد، موقن، خاف، اصطبر، بحجة أن الأصول المفترضة وهي: سماو، قاول، صوام، موزان، سود، ميقن، خوف، اصتبر، التي افترضها النحويون القدماء لم تكن تَرِد إطلاقاً على لسان العرب، والمهمة اللغوية في رأيه استناداً إلى آراء المدرسة التركيبية، هي أن يصف الظواهر اللغوية كما هي في واقعها الأدائي الاستعمالي، فإذا كانت هذه الأصول غير مستعملة فعلاً فكيف نقدّر وجودها في البنية العميقة".[4]

" جعل إبراهيم أنيس القلب والإبدال وسيلة من وسائل نمو اللغة، ولكنه قصر حديثه في هذا الجزء على الإبدال، ولم يتطرق في حديثه إلى القلوب إلّا في فقرة

---

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف: أبي البركات الأنباري، ص442.

(2) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، ص88.

(1) المصدر نفسه، ص102.

(2) المصدر نفسه: ص117.

واحدة، وعندما تحدث عن فكرة الأصالة والفرعية عند ابن جني قال: أن ابن جني اعتبر كل من: (جذب- جبذ) أصلاً قائماً بذاته وليس أحدهما مقلوباً على الآخر".[1]

" ويرى إبراهيم أنيس أن الكلمات التي فُسّرت على أنها من الإبدال، أو من اختلاف اللهجات هي بلا شك نتيجة التطور الصوتي، فعندما تروي المعاجم الكلمة ذات المعنى الواحد بصورتين أو نطقين ويكون الاختلاف في حرف من حروفها، يكون التفسير أن إحدى الصورتين هي الأصل، والآخر هي فرع لها أو تطور عنها، ولا بد من دراسة الأصوات للوقوف على الصلات بين الحروف وصفات كل منها، أي أن القرب في الصفة أو المخرج شرط أساسي في كل تطور صوتي".[2]

" ويرى إبراهيم أنيس أن السبب في وجود النعت في اللغة العربية هو وجود عبارات مشهورة تستخدم ككتل متماسكة، ولكثرة دوران هذه العبارات على ألسنة الناس فإنهم مالوا إلى اختزانها والاكتفاء بأقل قدر من الإشارة إليها في صورة كلمة".[3]

يرى الباحث أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسات التي تتناول جوانب مختلفة وأن ما تم بحثه وكتابته شيء بسيط ومتواضع لمن يريد البحث في هذا المجال وأسأل الله التوفيق والسداد لي ولمن أكمل هذا الموضوع.

---

(3) المصدر نفسه: ص119.

(1) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5: ص120.

(2) المصدر نفسه، ص131.

المبحث الرابع

القضايا الدلالية

الدلالة في اللغة: تنحدر من جذر (دلل)، وله أصلان كما يقول ابن فارس (ت395هـ): "أحدهما إبانة الشيء بإمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء كأن نقول: فأول دللت فلاناً على الطريق، والدليل: الإمارة في الشيء وهو يبين الدلالة، والأصل الآخر قولهم: تدلل الشيء إذا اضطرب"[1]، ومن الشواهد على معنى الإرشاد والهداية والإبانة قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [2]، وقـــوله تعالى: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) [3]، وقوله تعالى: (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى) [4] فهذه الآيات جميعها ذات معنى لغوي أساسي واحد، "هو أن الدلالة تعني الهداية إلى الطريق والإرشاد إليه"[5]، ودلالة اللفظ هي هدايته إلى معناه، كما يقول صاحب القاموس المحيط: "ودلة عليه دلالة، فأندل سدد إليه"[6](فالدلالة هنا هي المعنى، فكأنما نقول: مدلول لفظ كذا أي معناه هو كذا.

الدلالة اصطلاحاً: أي: في الاصطلاح علماء اللغة فهي تفي: "ما يمكن أن يستدل بـــه وهي بخلاف الاستدلال، لأن يطلب الشـــيء مـــن جهـــة غيـــره، فالاســـتدلال فعـــل المستدل" [7].

([1]) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، مادة (دلل)، سنة 2004م.

([2]) سورة الصف: الآية (10).

([3]) سورة القصص: الآية (12).

([4]) سورة طه: الآية (40).

([5]) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط2، تحقيق: عبدالسلام محمد هـــارون، اتحـــاد الكتاب العرب، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج2، سنة1999م، مادة (دل).

([6]) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي،ط3، دار الجيل، بيروت، ج1، باب الكلام، فصل الـــدال، سنة1960م، مادة (دل).

([7]) الفروق اللّغوية: أبو هلال العسكري، ط1، تحقيق: عمـــاد زكـــي البـــارون، المكتبـــة التوفيقيـــة، مصـــر، سنة1952م، ص70.

جاء في التعريفات: "الدلالة هي كون الشيء، بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر، الشيء الأول: الدال والثاني: المدلول"[1].

يتضح من خلال هذا التعريف أن المعنى الاصطلاحي للدلالة قريب جداً من المعنى اللُّغوي، من حيث كون الدلالة في الاصطلاح هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به ، العلم بشيء آخر ، الشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول.

التطور الدلالي للألفاظ: "يقصد به استعمال بعض الألفاظ في معنى غير المعنى الذي وضعت له" [2]، فلفظ (الصلاة) بعد أن كان في السابق بمعنى الدعاء جاء بمعنى الصلوات الخمس المعروفة، كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [3]، وبمعنى الدين في قوله تعالى: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [4]، وبمعنى القراءة في قوله قوله تعالى: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) [5]. وبمعنى الرحمة والاستغفار في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [6]، وغيرها من المعاني المعاني التي تدخل في التطور الدلالي وقد اصطلح عليها الألفاظ الإسلامية المتكررة.

ويقول الراغب الأصفهاني (ت504هـ) في مقدمة كتابه: "ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزينته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حدائق الشعراء والبلغاء في نظرهم وشعرهم" [7].

([1]) التعريفات: على بن محمد بن على الجرجاني، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، سنة 1985م، ص109.

([2]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج1، سنة 1966م، ص 134.

([3]) سورة البقرة: الآية (3).

([4]) سورة هود: الآية (87).

([5]) سورة الإسراء: الآية (110).

([6]) سورة الأحزاب: الآية (56).

([7]) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط1، تحقيق: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، سنة 2002م، ص 5.

وهذا يعني أن الألفاظ في تطور مستمر وخاصة اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي كرمها الله عز وجل، فأنزل بها كتابه المعجز والمبدع ليكون هدى للعالمين، كما أن القرآن الكريم أنزل بلغة العرب قال عز وجل: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [1]. والقرآن الكريم كان أشد على العرب من ضرب السنان لذا أعجزهم الله عز وجل في قوله تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [2].

ونتيجة لهذا الفهم تكون "دلالة أي لفظ من الألفاظ على معناه المحدد له بحيث ترتبط فيها بوجه هذا اللفظ في الأذهان من انصراف وتبادر شخصياته الخارجية، بحيث يكسبه دلالته عند التطبيق الخارجي إلى أن لا يلتبس بمفهوم آخر في الإدراك حتى يعود رمزاً له أو علامة تشير إليه" [3].

يرى الباحث أن هنالك كثيراً من الألفاظ أو الكلمات كانت في السابق تستخدم بمعنى، وجاء بفصاحته وبيان أسلوبه المتطور فاستخدم تلك الألفاظ المتداولة بين الناس بأنماط ومعان متعددة، والأمثلة كثيرة في كتاب الله عز وجل مثل: (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الإيمان، الإسلام، وغيرها).

فكل هذه الألفاظ الداخلة في التطور الدلالي في الأصل تدل على معان، بعد مجيئ الإسلام تغيرت تلك المعاني لمعان جديدة لم تفهم من قبل فمثلاً لفظ (الصيام)، كما جاء في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [4]، فلفظ الصيام يدخل في التطور الدلالي للألفاظ وهو استعماله في معنى غير غير المعنى الذي وضع له.

([1]) سورة يوسف: الآية (2) .

([2]) سورة الإسراء: الآية (88).

([3]) تطور البحث الدلالي: دراسة في النقد البلاغي واللّغوي، محمد حسين على الصغير، ط1، مكتبة العاني، بغداد، سنة 1988م، ص 19.

([4]) سورة البقرة: الآية (183).

وذلك أن المعنى الأساسي العام للكلمة هو الوقوف والإمساك، قال الرازي (ت606هـ): "صام الرجل من باب قام، صام الغري: قام على غير اعتلاف، وصام النهار، قام قائم الظهيرة اعتدل، والصوم أيضاً: ركود الريح"[1].

المقصود بعد مجيئ الإسلام: الإمساك عن المفطرات المادية المعنوية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

ولنظير هذا الفهم تكون دلالة أي لفظ من الألفاظ على معناه المحدد له تربط ارتباط وثيقاً بما يصرفه هذا اللفظ في الأذهان، يقول إبراهيم السامرائي: "قد اختص القرآن الكريم قسماً من المصادر بمعنى معين كالصوم الصيام، فقد اختص كلمة (الصوم) بمعنى (الصمت)"[2]، كما جاء في قوله تعالى: (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) [3]. ولم ترد كلمة (الصوم) في القرآن في غير هذا الموطن كأنها لما كانت بمعنى الصمت جيئ بها على وزنه وخفضها الله به، وأما الصيام فقد وردت في تسعة مواطن من القرآن كلها بمعنى العبادة المعروفة.

تطور الدلالة المركزية والهامشية:

الدلالة المركزية: يقصد بها دكتور إبراهيم أنيس: "المعنى الحقيقي المتفق عليه أو ذلك القدر المشترك من الدلالة الذي يسجله اللّغوي في معجمه، ويعرّفه أفراد المجتمع ويوصلهم إلى فهم الكلمة وإدراك معناها، وقد تكون تلك الدلالة المركزية واضحة في أذهان بعضهم، كما يقصد بـــ (مصطلح الدلالة الهامشية) تلك الظلال التي تطفو على الكلمة، تختلف باختلاف الأفراد تبعاً لاختلاف طبائعهم وتجاربهم، وخبراتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية" [4]، بحيث أن تكون وسيلة الاتصال الوحيدة بين الناس هي اللغة التي تنظمهم جميعاً فالتجارب المختلفة في

([1]) مختار الصحاح: محمد أبوبكر الرازي، ط1، دار الفكر، بيروت، سنة 1963م، ص 374.

([2]) الدلالة الجديدة والتطور اللغوى التاريخي: إبراهيم السامرائي، ط1، دار الرائد للطباعة، بغداد، سنة 1966م، ص 22.

([3]) سورة مريم: الآية (26).

([4]) دلالة الألفاظ: د.إبراهيم أنيس، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة1963م، ص106.

حياة الناس السابقة تركت أثراً في فهم الألفاظ، ومع هذا فالناس يتوصلون إلى فهم مشترك وقد يكون تقريبياً ويكفي في حياتهم العامة، وهذا لا يعيق الناس في تبادل وجهات نظرهم وهذا القدر يسجله اللَّغوي في معجمه، ويسميه الدلالة المركزية.

ولتوضيح ما سبق ذكره نسوق المثال التالي: "كلمة (بحر) لها دلالة مركزية واحدة يعرّفها جل أفراد المجتمع ودلالات هامشية عديدة، تختلف من شخص لآخر، أما الدلالة المركزية فهي: ذلك الماء الكثير الملح" [1].

والمعنى المشترك في هذه الكلمة، قد يسمعها شخص فتثير في نفسه قدرة الله وعظمته في خلقه، ويسمعها شخص آخر فتثير في نفسه مشاعر الغبطة والسرور، لأنه يتمتع برؤية البحر ويسعد به، وقد يسمعها شخص آخر فتبعث في نفسه مشاعر الخوف والرهبة من الموت، ومن ذلك "كلمة بحر: فقد تكون عند عاشق أو شاعر مصدراً من مصادر إلهامه وسعادته فتغر عينه بزرقته الصافية، وجماله الساحر، وقد يكون عند آخر مصدراً من مصادر أرقه واضطرابه، فيحول جماله إلى شناعة وأنغامه إلى عويل، لعل هذا الحال تحدث لمن فقد في البحر عزيزاً أو كاد، والذي يستدعي الانتباه في هذا الموقف أن هذين المثالين لا يختلفان في مفهوم البحر ودلالته ولكن الاختلاف البين واقع في ذلك المعنى الهامشي والظلال العاطفية التي تتباين بتباين التجربة والثقافة والأمزجة" [2].

مثال آخر: فكلمة: "(شجرة) تتخذ وضعاً واحداً في حياة الطفل وتظل واضحة في ذهنه طول عمره، في حين أن كلمة أخرى (كالحزن أو الغضب) تتطور دلالتها المركزية وتأخذ وضعاً في الطفولة غير الذي تأخذه في الشباب وتستقر إلى حال معين في الشيخوخة"[3].

إلا أن لفظ (الحب) تختلف باختلاف العمر وتطور دلالة اللفظ، ففي الطفولة المفردة وضعاً يختلف عن هذا الوضع في الشباب والكبر.

([1]) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، فصل الباء والراء، ج1، ص381.

([2]) جدل اللفظ والمعنى: دراسة في دلالة الكلمة العربية: دكتور مهدي أسعد عرار، ط، دار وائل للنشر، عمان، الأردن،ج1، سنة2002م، ص31

([3]) دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1963م، ص 107.

إذاً فالدلالة المركزية هي عامة مشتركة، يشترك في معرفتها كل أو جل أفراد المجتمع.

الدلالة الهامشية: هي دلالة خاصة فردية، تختلف من شخص لآخر، بحسب ما يتميز به من طباع، وما يملك من تجارب وخبرات وهي: "انعكاسات المعنى، والكلمة لا تحمل المعنى المعجمي فقط بل لها ظلال من المترادفات والمتجانسات، ولا تكفي بأن يكون لها معنى واحد فقط، بل تثير معاني كلمات تتصل فيها بالصوت، أو بالمعنى أو بالشقاق أو حتى كلمات تعارضها أو تنفيها"[1].

و(الدلالة الهامشية): "هي الدلالة التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه من آبائهم وأجدادهم، فالمتكلم ينطق بلفظة أمام السامع أراد أن يوصل إلى ذهن السامع دلالته فتكون هنا في ذهن السامع دلالة معينة اكتسبها السامع مع تجاربه السابقة كلفظ (الموت) مثلاً فأصحاب الأمزجة المرحة لا يفزعهم لفظ الموت، ولكن المتشائم يرتعب من لفظ الموت" [2].

تكتب هذه الدلالة هامشيتها عن طريق: "التطور اللَّغوي الذي يحدث في الألفاظ تخضع للاستعمال تحوي خصوصيتها معنوية ذات هالات دلالية جديدة تستوجب الزمان والمكان فيبعدها الاستعمال عن أصلها بعداً كثيراً" [3].

لا يخفي على المتتبع والباحث أن الدلالة الهامشية دخلت في مجالات عدة، ومن السياسة والقضاء، ومن هنا بما أنه اللفظ أو الألفاظ السياسية بصورة عامة تحمل الصراع، فلذا تكون دلالة اللفظ لها في ذهن السامع دلالة معينة، تعتمد على تجاربه كما ذكرنا سابقاً وتتغير هذه الدلالة بما يحدث من متغيرات، "فالديمقراطية بوصفه نظاماً سياسياً يفهمها الروسي فهماً متبايناً لفهم الأمريكي، فالسياسيون حتى في كسب الرعاية، فالطاغية يجعلونه ديمقراطياً"[4].

([1]) المصدر نفسه، ص 108.

([2])دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، ط2: ص 109.

([3]) الدلالة الجديدة والتطور اللَّغوي التاريخي: إبراهيم السامرائي، ص 8.

([4]) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص 110.

الألفاظ السياسية فوق أنها ألفاظ كاذبة في غالب الأحيان، نخاطب بالدلالات الهامشية، "فالدلالة هنا هامشية، الغرض منها التأثير في عقول الناس وهذا الأمر ليس في السياسة فقط، بل في غيرها كالقضاء، فالأمر في القضاء لا يختلف كثيراً، فعندما يحتدم نزاع بين طرفين ويثار الجدل، يكون سببه أن ظل مرع أو فاهم للفظ إلى تفسيره، أو لونه بما يريد أن ينتفع به"[1]، وبذلك تحصل معاناة كبيرة في مثل هذا الفهم ولذا تطلب الاستعانة بمعاجم اللغة أو بدلالته بالدقة الممكنة، وقد يطال هذا الأمر اللفظ فيفسر في معنيين فمثلاً كلمة (قرء) تفسير بالحيض أو الطهارة عند علماء اللغة في مثل هذا الأمر ومن هنا نرى أن الدلالة الهامشية حاضرة بشكل كبير في اللفظ ودلالته.

وقد عنى البلاغيون بموضوع المعنى ومعالجة المستويات الدلالية فلذلك جعلوا الدلالة المركزية هي المحور الأول من محاور التأويل ومن الذين أقروا هذا القول ابن الأثير (637هـ) بقوله: "إما أن يفهم من المعنى شيء واحد لا يحتمل غيره وإما يفهمهم من شيء غيره: أي: تكون ضداً أو لا تكون وليس له قسم رابع"[2].

أما محور التطابق بين الدلالة المركزية الهامشية للكلمة "فهي موضوع اهتمام علماء المعجم حيث يدرس ضمن باب العلاقات الدلالية بين كلمات اللغة، إذ يحللون الكلمة إلى عناصرها الدلالية الاولية، بغية الوصول إلى درجة التطابق بين هذه الكلمات" [3].

العناصر الدالة في اللغة لم تكن نهاية الألفاظ وبذلك تحول المعنى إلى دال، وتصبح العلاقة بين الكتلة اللّغوية الماثلة والمعنى المراد علاقة مركبة، أو علاقة من درجة أخرى، وقد عبّر عبد القاهر الجرجاني (47هـ) عن ذلك بقول: "كونها الواسطة

([1]) المصدر نفسه: ص 111.

([2]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، ط1، تحقيق: أحمد الحرفي وبدوي تبأنة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ج1، سنة 1983م، ص 33.

([3]) دور الكلمة في اللغة: ستيفن اولمان، ط1، ترجمة: د. كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، سنة 1963م، ص 109.

المدركة بالتأويل العقلي، لدقة العلاقة بين الكتلة اللّغوية الماثلة والمعنى المراد أي: دقة العلاقة بين المعنى الأول الثاني" [1].

ووافق الخطيب القزويني (ت739)، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت626هـ) على: "أن الدلالات العقلية مصادر تورد المعنى الواحد بعدة طرق متنوعة وبالتالي تحدد المعنى الآخر في عمله الدلالي"[2]، فالمعنى باللفظ الواحد يقبل أكثر من معنى مثلاً كلمة (حيدر) يقصد بها الاسم والأسد.

وأشار الفارابي (339هـ) إلى الطور الثاني، ويسميه: "(طور النسخ والتجوز)" [3]، في العبارة بالألفاظ بتجديد لفظ معنى ما عن التصريح بمعنى آخر يفهم المعنى الثاني عن الأول، وبذلك تنتج العلاقات اللّغوية المجازة الجديدة، وهو ما يعبّر عنه بالخروج عن الدلالة بالذات إلى موضع السياق والقرائن، مكوناً "التغيرات المركبة الإبدالات الكثيرة، قاصداً بها الفنون المجازية"[4]، هناك أمثلة من الألفاظ التي أضفى عليها الاستعمال القرآني معنى جديداً، ومنها لفظ (الكفر) الذي يعني في اللغة: الستر: أي ستر الأشياء المادية والمعنوية غير المحسوسة، كستر البرهان والآية والدليل.

(الكفر) أيضاً بمعنى: "جحود النعمة وهو عكس (الشكر)، و(كفر نعمة الله): بمعنى جحدها"[5].

كما استعمل لفظ (كفر) في الشعر الجاهلي عند العرب قبل نزول القرآن الكريم كقول لبيد:

يَعْلُو طَرِيقَــةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِراً** فِي لَيلَةٍ كَفَــرَ الْنُجُومَ غَمَامُهَا[6].

([1]) أسرار البلاغة: الإمام عبدالقاهر الجرجاني، ط2، تحقيق: هــ. ريتر، المكتبة العصــرية، بيــروت، ســنة 1983م، ص 357.

([2]) مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر السكاكي، ط1، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، مطبعة الرسالة، بغداد، سنة 1964م، ص 7.

([3]) معاني الحروف: على بن عيسي الرماني، ط3، تحقيق: عبدالفتاح إسماعيل، دار الشروق، بغداد، سنة 1984م، ص 141.

([4]) تلخيص الخطابة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشيد، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة 1960م، ص 534.

([5]) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، ط3، دار صادر، بيروت، ج9، سنة 2004م، مادة (كفر).

([6]) ديوان لبيد: ص 223.

كفر النجوم غمامها: أي ستر النجوم غمامها.

"فقد استخدم القرآن الكريم لفظ (كفر) ومشتقاته في (524) موضعاً"[1]، كما جاء في أكثر المواضع بمصطلحات إسلامية جديدة.

كما في قوله تعالى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) [2].

أصبح لفظ (الكفر) في الآية الكريمة نقيض (الإيمان) فالإيمان هو: التصديق، (الكفر)هو: عدم التصديق وبذلك فإن الكفر غير النفاق وغير الفسوق، وبالتالي فقد ورد لفظ الإيمان والكفر في معنيين متضادين متقابلين في أكثر من موضع.

وهذا لا ينفي ورود كلمة (كفر) ومشتقاتها في بعض الآيات بمعنى كفران النعمة جحودها أو ستر الشيء وتغطيته، وهو معناها الأول، من ذلك قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [3].

وقوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [4]، فمن لا يؤمن بآيات الله ولا يشكر نعمته، يكون كمن سترها وغطاها، فلا يراها هو ولا يريد أن يراها أحد وكل معنى من المعاني المجازية تحمل فائدة مهمة لانتفاع المتحدث بها في إيصال فكرته للمتلقي بصورة للمعنى عن طريق ربط الكلام بصورة حية من الواقع يمكنه تجميع أجزائها ذهنياً فيتخيلها وفي كل الحالتين يكون الربط بين الكلام وبين الصورة المقصودة عقلياً يستهدف زيادة في توصيل المعنى لا توجد في الكلام المعتاد، مثل: (الظلمات) كما جاء في قوله تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [5].

([1]) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، ط1، منشورات مؤسسة الأعلامي للمطبوعات، بيروت، سنة 1999م، ص 610.

([2]) سورة آل عمران: الآية (167).

([3]) سورة النمل: الآية (40).

([4]) سورة البقرة: الآية (152).

([5]) سورة البقرة: الآية (257).

و(الظلمات) لغة: جمع (ظلمة) وهى خلاف (النور) الذي هو الضياء، وقد وردت "لفظة (الظلمات) في 23آية أغلبها بمعنى: الكفر والشر والفسوق، أما لفظة (النور) فقد وردت ومشتقاتها في 49آية أغلبها بمعنى الإيمان والهداية" [1].

فكل مفردة في القرآن الكريم جمالية خاصة، وفضلاً عن هذه الجمالية هنالك معنى لا يؤدي إلا بها، ومن الشواهد على ذلك الآية الكريمة: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [2]، في وصف الكافرين استعملت لفظ (ختم) على سبيل المجاز للدلالة على أن قلوب الكافرين مقفلة بشدة لا ينفذ إليها بصيص من نور وليس فيها تقلب أو تذبذب، والختم على القلب: (ختم) و(طبع) في اللغة بمعنى واحد وهو: التغطية على الشيء. فكلمة (ختم) منطبقة على الحال التي فيها الكفار. بينما اختلف اللفظ في وصف المنافقين كما جاء في قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [3].

كلمة "(مرض) هنا قصد بها (المرض النفسي)، وليس (العضوي) لأن النفاق من أخطر الأمراض"[4]، لو وازن بين اللفظين (ختم) و(مرض)، لوجدنا أن (الختم) على قلوبهم يوحي بثباتهم على كفرهم، لأن أصل (الختم): الطبع و(الخاتم) هو: الطابع، يقال (ختمن الكتاب) أي طبعته. و"(ختم على قلوبهم): طبع عليها ووسمها بسمة الكفر بينما تدل كلمة (المرض) على التذبذب بين الزيادة والنقصان، و(في قلوبهم مرض) أي: شك وريبة ونفاق، يزداد تارة ويفتر أخرى، والقلب هو الفؤاد وسمي قلباً لتقلبه بالخواطر والعزوم، وهو محل العزم والفكر والعلم والقصد.

فالختم الطبع كناية عن رسوخ الغفلة والضلال في قلوب الكفار والمنافقين ولذلك وصف الله سبحأنه وتعالى قلوبهم بهذه الأوصاف للدلالة على عدم فهمهم وذهنهم المغلق فجاء الختم رمزاً لبيان انسداد الفهم عندهم والإدراك في عقول الكافرين، وهذه

([1]) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، سنة 1999م، ص 440.

([2]) سورة البقرة: الآية (7).

([3]) سورة البقرة: الآية (10).

([4]) لسان العرب: لأبن منظور، (مرض).

الألفاظ التي اختيرت لجمال سياقه المعنى وانسجامه، كما كان للاستعمال القرآني ميزة جمالية كبيرة مع هذه الألفاظ، كما أن ألفاظ القرآن الكريم امتازت بالصفاء وقوة التأثير واختيار المعاني الفنية الجميلة وامتلاك العواطف والأخيلة فمن أهدافها التأثير النفسي للمؤمنين وتوجههم إلى الله سبحأنه تعالى بقلب صافٍ سليم. "[1]

فلكل لفظ في القرآن الكريم دلالة نفسية معينة بما أن الإعجاز القرآني هو إعجاز للنفس البشرية أمام اختيار الله سبحأنه وتعالى للكلمات ونظمها في سياق مختلف لتكون أجمل دون الأخرى على التعبير بالمعاني والتصوير والتلوين والإبداع الفني الرائع.

" يرى إبراهيم أن ليس من مهمة المعجم الحديث أن يبين كيف نشتق اسم الفاعل من كل فعل، والجمع لكل الأسماء، ولكن المعاجم قديمها وحديثها تتخذ من الدلالة الاجتماعية هدفاً أساسياً، فلم يفرق بعض اللغويين بين الدلالة الاجتماعية والمعجمية، وهذا ما ارتضاه إبراهيم أنيس وقنع به، فعند ذكر الدلالة المعجمية فأنه يعني بها الدلالة الاجتماعية".[2]

" كما يتناول إبراهيم أنيس تصوره عن نشأة اللغة من خلال الكلمات التي في نشأتها كثيرة المبنى وقليلة المعنى، كما يرى أن اللغة نشأت في صورة لعب ممتع لا يهدف إلى إيصال المعني للسامع". [3]

([1]) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ط3، (ت 911هـ)، مطبعة حجازي، القاهرة، ج1، سنة 1941م، ص 275.

(2) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1993م، ص149.

(3) المصدر نفسه، ص150.

الفصل الرابع

المباحث اللغوية في كتابيّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ

المبحث الأول: الاشتقاق.

المبحث الثاني: الأصوات.

المبحث الثالث: المصطلحات الصوتية.

المبحث الرابع: القراءات واللهجات ورؤية إبراهيم أنيس فيها.

المبحث الأول

الاشتقـــــــــــاق

يعد الاشتقاق في العربية من أهم وسائل توليد الألفاظ، ولهذا عني به لغويو العرب قديما وحديثا، وافردوه بالتأليف في كتب مستقلة، مثل كتاب اشتقاق الأسماء للأصمعي، وكتاب الاشتقاق لابن دريد، ورسالة في الاشتقاق لأبي بكر السراج، وكتاب الاشتقاق لعبد الله أمين وغيرها، "والاشتقاق أخد كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى وتغايرهما في الصيغة بحرف أو بحركة، وان يزيد المشتق على المشتق منه بشيء".[1]

فبتفصيل أكثر هو: "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تراكيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة، كضارب من ضرب، وحاذر من حذر"[2]، ويعرّفه ماريو باي بأنه: "اخذ كلمة جديدة من أصل موجود بعد إضافة سوابق ولواحق عليها، وخاصة في اللغة الانجليزية، والكلمات الجديدة تسمى مشتقات من الكلمات الأصلية"[3] ويعرفونه أيضاً (الكوفي) "بأنه اقتطاع فرع من أصل تدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل".[4] ويعرّفه إبراهيم أنيس أنه: "عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغه من أخري".[5] والاشتقاق في أدق تعاريفه أو الجذر اللَّغوي مع اشتراك أفراد هذه المجموعة في عدد من الحروف في ترتيبها، كما تشترك في الدلالة العامة.

([1]) كتاب المفتاح في الصرف: عبد القاهر الجرجاني، ط1، تحقيق: على الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، ص79.

([2]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ط1، تحقيق: فؤاد على منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ص346.

([3]) أسس علم اللغة، ماريو باي، ط2، ترجمة: أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، 1973م، ص259.

([4]) الكليات، أبو البقاء إبراهيم بن موسي الحسين الكفوى، قابلة واعده للطبع عدنان درويش محمد المصري، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص113.

([5]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ط4، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1992م، ص 62.

ويرى إبراهيم أنيس "أن الصلة وثيقة بين القياس والاشتقاق، فالاشتقاق في رأيه الطريقة التنفيذية للقياس، فالقياس هو النظرية والاشتقاق هو التطبيق"[1] ويقوم الاشتقاق بدور كبير في إحداث ما يسمى بصيغ الزيادة والتصغير وانحطاط المعنى، "كما يعد إحدى الوسائل التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع، ويزداد ثراؤها في المفردات فتتمكن به من التعبير عن الجديد من الأفكار، والمستحدث من الوسائل الحية". [2] الاشتقاق في العربية عملية معقدة متشابكة العلاقات، "فهناك أفعال أو هكذا صنفت لا مصادر لها مثل: عسي وليس وكاد، وهناك مصادر لا أفعال لها مثل: رجولة وسبحان ومعاذ، وصفات لها مصادر ولكن ليس لها أفعال مثل: أحمر وأبيض، إذ ليس في اللغة: حمر، ولا بيض"[3]

يقسم إبراهيم أنيس في دراسته للغة الاشتقاق إلى نوعين هما:

الأول: "الاشتقاق العام: ويسمى أحياناً الاشتقاق الصغير، وهو الذي يتحد فيه المشتق والمشتق منه في ترتيب الحروف، كأن تشتق من الفعل فهم مثلاً صيغا أخري، مثل: فاهم، مفهوم، تفاهم...الخ، ويرى أن هذا النوع من الاشتقاق نوع من التوسع في اللغة يحتاج إليه الكاتب، وتلجأ إليه مجامع اللغة للتعبير عندما قد يستجد من معان، من أجل مسايرة التطور الاجتماعي"[4] ومذهب جمهور العلماء بصدد هذا الاشتقاق أنه لا يصح القيام به إلا حين يكون له سند من نصوص اللغة، يبرهن على أن العرب أصحاب اللغة جاءوا بمثله أو نظيره، وهذا النظير كثير الورود في كلامهم المروي عنهم.

النوع الثاني" هو "الاشتقاق الكبير أو الأكبر وهو خلاف الاشتقاق العام، ويفسره إبراهيم أنيس أنه بعض المجموعات الثلاثية من أصوات ترتبط ببعض المعاني

([1]) طرق تنمية الألفاظ في اللغة، إبراهيم أنيس، ط2، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة: 1967م، ص173.

([2]) فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص115.

([3]) المغني الجديد في الصرف، محمد خير حلواني، ط5، دار الشرق العربي، بيروت، 1999م، ص212.

([4]) أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الانجلو، القاهرة: 1975م، ص72.

ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بترتيب، أي أن كل مجموعه منها تدل على المعنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها واقتبس أصحاب الاشتقاق فكرة تقلبات الأصول من معجم العين، فعندما يعرض الخليل لكلمة كان يذكر معها تقلباتها، ويذكر معنى كل سورة دون الربط بين دلالات تلك الصور، ولما جاء ابن جني ربط بين دلالات تلك الصور، واستنبط معاني عامة مشتركة بينها"[1]، الاشتقاق الكبير عن ابن جني هو "أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعتقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وان تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، وعليه تكون تقاليب (ج ب ر) كالآتي: (ج ر ب) (ب ج ر)، (ب ر ج) (ر ج ب)، (ر ب ج)، وهذه التقاليب – أين وقعت– للقوة والشدة، كما يقول بن جني".[2]

"ويرى إبراهيم أنيس أن من قال بالاشتقاق الكبير قد تكلف وتعسف، فإن استطاع بن جني أن يسوق لنا في مشقة وعند على ما يزعم بعض مواد من كل مواد اللغة، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف أن يثبت ما يسمى بالاشتقاق الكبير، فمواد معجم الصحاح تصل إلى أربعين ألفاً وفي معجم لسان العرب تصل إلى ثمانين ألفاً"[3] فإبراهيم أنيس مع الاشتقاق العام الذي يولد صيغا جديدة لم ترد في المروي من أساليب العرب، وهو محل إجماع العلماء قديماً وحديثاً، أما الاشتقاق الكبير فيرى أنه تكلف ولا يمكن الاعتماد عليه، فبحث الاشتقاق الكبير في فصل القلب والإبدال، وكذلك بحث الاشتقاق الذي يطلق عليه مصطلح الاشتقاق الكبير في فصل النحت ولم يسمه بالاشتقاق الكبير.

([1])أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط5، ص73.

([2]) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ط2، 2002م، ص89.

([3]) أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط5، ص81.

المبحث الثاني

الأصوات في كتابيّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ

ظاهرة الصوت:

ذكر الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللَّغوية) بأن الصوت "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها"[1] ويعني إبراهيم أنيس بهذا أنه حين إصدار صوت ما نسمع ذلك الحدث الصوتي قبل أن نعرف كيف حصل، وما هي الأعضاء أو الأجسام التي تفاعلت في إصدار ذلك الصوت، فعملية السمع أسبق من إدراك كيفية حدوث الصوت. "ثم ذكر أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز كما أثبتت التجارب الحديثة، وتنتقل هذه الهزات عبّر الهواء في وسط الغازي، أو سائل صلب على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية، وسرعة الصوت حسب تقدير العلماء حوالى 332 متر في الثانية، أي المدة الزمنية التي يستغرقها الصوت من مصدره إلى الأذن، ووضوح الصوت أو ارتفاعه تتعلق بقرب مصدره للأذن، وتتوقف شدته على سعة اهتزاز الجسم مصدر الصوت"[2].

والصوت ليس على درجة واحدة، فقد يكون عميقاً وقد يكون رفيعاً حاداً كما هو على المقياس الموسيقى الأوربي، "وتتوقف درجة الصوت كما برهن علماء الأصوات على عدد الاهتزازات أو الذبذبات، فالصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية أقل من الصوت الحاد"[3].

الصوت الإنساني:

ذكر أنه ينشأ نتيجة ذبذبات واهتزازات من الحنجرة بعد أن اندفع النفس من الرئتين، فالنفس هو المادة الخام للصوت الإنساني ومصدره الرئتان، أما الحنجرة

([1]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنس، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1992م، ص5.

([2]) المصدر نفسه ص5.

([3]) المصدر نفسه ص 6.

والوتران الصوتيان وغيرهما من المقاطع فهي القنوات التي يمر بها ذلك النفس، فيشكلون منه صوتاً مسموعاً ذا درجات مختلفة يسمي (الصوت).

وقد عرف ابن جني الصوت الإنساني بأنه: "عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته"[1]، فعند ابن جني لولا تلك المقاطع التي تثني النفس عن الامتداد للخروج مستطيلاً غير مسموع بدرجه تميزه عن غيره من عمليات الزفير والشهيق إذا خرجت من الفم مثلاً، ومن ثم لا يصح تسميته صوتا. وهذا يبرر ما ذكره إبراهيم أنيس من "إن مصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة أو الوتران الصوتيان، لأن اهتزازات هذين الوترين الصوتيين هي التي تنطلق من الفم والأنف، ثم تنطلق إلى الأذن من خلال التيار الهوائي". [2] فهو في هذا يقصد تلك المقاطع التي أشار إليها بن جني، أي: مصدر الصوت من حيث التشكيل وليس من حيث الأصالة.

ولا يبعد عن هذا ما يراه بن سينا من "أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة، بسرعة وبقوة". [3] وإن كانت تعليلاته وتفسيراته لعملية إصدار الصوت أطول مما عند إبراهيم أنيس. "وتتوقف درجة الصوت على سن المرء وجنسه حسب طول الوترين الصوتيين وضخامتهما، فالنساء والأطفال احد أصواتاً من الرجال، لأن الوترين الصوتيين عندهما أقل ضخامة، وطول الوترين الصوتيين في الإنسان البالغ حوالي 23 مليمترا، ويمتد أحياناً إلى 27 مليمترا، أما عدد الذبذبات في الحنجرة كما قدرها جمهور علماء الأصوات يتراوح بين 60 و1300 في الثانية"[4] من الحقائق

([1]) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان: 1421هـ، 2001م، ص19.

([2]) الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص8.

([3]) رسالة أسباب حدوث الحرف، أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا، ط1، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق: 1983، ص56.

([4]) الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص9.

العلمية العجيبة التي توصل إليها علماء التشريح أنهم لم يلحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني، "إذ لا فرق بين حنجرة المطرب المغني صاحب الصوت الجميل والإنسان العادي، فالفارق بينهما فقط هو قدرة المطرب على السيطرة على عملية التنفس بعد طول التدرب والمرات". [1] ولقد لخص إبراهيم أنيس العوامل التي تؤثر في درجات الصوت الإنساني فيما يلي:

1- "السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين، وتحديد نسبة ما يندفع منهما حسب الإرادة.

2- مرونة حركات الحنجرة، فكلما ازدادت مرونتها كثرة الذبذبات وازداد الصوت حدة.

3- يؤثر طول الوترين الصوتيين في درجة الصوت تأثيراً عكسياً فكلما طال الوتران الصوتان قلت الذبذبات.

4- الصوت المنبعث من ذبذبة وترين مشدودين شداً محكماً يكون صوتاً حاداً في حين أن غلظتهما في الرجال تقلل من نسبة توترهما مما يجعل درجات الصوت عند الرجال عميقة

5- فراغ الأنف وفراغ الحلق والفم كلها تستعمل في تضخيم الصوت ومنحه صفه خاصة به تميزه عن غيره من الأصوات، ومرور تلك الذبذبات خلال الفراغات يكسبها لونا خاصا بها، ويساعد على تميز أصوات الأصدقاء عن غيرها"[2]

كيف بدأ الصوت اللَّغوي؟:

يري إبراهيم أنيس أن البحث في بداية الصوت اللَّغوي عند الإنسان بحث طويل اضطربت فيه أقوال القدماء والمحدثين لذا سيكتفي بالمرور عليه سريعا، وأشار

([1])الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس،ص 11.

([2])المصدر نفسه، ص12.

بأنه تناول موضوع نشأة الكلام في مقال له منشور في صحيفة دار العلوم، العدد الرابع، السنة التاسعة.

ويرى البحث أنه كان ينبغي لإبراهيم أنيس أن يلخص أراء القدماء، ويبين موقفه منها قبل أن يذكر ما عند المحدثين من وجهات نظر حول نشأة الكلام، لكنه اكتفي بتلك الإشارة إلى المقال المنشور، وفضل ألا يخوض في تلك الاختلافات التي بين العلماء.

"وقد تحدث ابن جني منذ القدم عن هذه القضية وخصص لها بابا في كتابه الخصائص وسماه: (باب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح)" [1]، وذكر الآراء الثلاثة التي ذهب عليها القدماء، وخلاصة هذه الآراء:

أولاً: المواضعة والاصطلاح

أكثر المتقدمين من العلماء يرون "أن أصل اللغة مواضعة واصطلاح فأصحاب هذه الرأي يرون أن الناس كانوا في بداية وضعهم للغة جاؤوا إلى واحد من بني آدم فأونوا إليه وقالوا انسان؛ انسان؛ انسان، فكلما سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق". [2]

ثانياً: الوحي والتوقيف:

وأصحاب هذا الرأي ومن بينهم أبو على الفارسي، يرون بأن اللغة وحي من الله لا دخل للإنسان فيها، ويحتجون بقول الله تعالى: چ □ □ □ □ □ چ [3] "وقد أبطل ابن جني استدلالهم يطرق الاحتمال إليه، وهو أنه يجوز تأويل (علم) ب(أقدر) أي: أعطاه القدرة على تسمية الأشياء حوله".[4]

([1]) الخصائص، ابو الفتح عثمان ابن جني، ط2، تحقيق: محمد على النجار، عالم الكتب، بيروت، ج1، 2002م، ص40.

([2]) المصدر نفسه ص44.

([3]) سورة البقرة الآية (31).

([4]).الخصائص، ابو الفتح عثمان ابن جني، ص46.

ثالثاً: المحاكاة والتقليد:

وهو الذي اختاره ابن جني، قال: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو الأصوات المسموعات، كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشجيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، وثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"[1] وحاصل هذا الرأي الأخير الذي يميل إليه بن جني هو أن أصل الكلام محاكاة الإنسان وتقليده لأصوات الطبيعة، كدوى الريح، وخرير الماء، وما يسمعه من أصوات الحيوانات المحيطة به كشجيح الحمار ونعيق الغراب، ثم نمت فيه هذه الملكة بمرور الأيام حتى أصبح قادراً على إصدار أصوات مستقلة تعبّر عن أغراضه.

ولا يكون ما رواه إبراهيم أنيس من وجهة نظر المحدثين بعيدا عن ذلك المذهب الأخير الذي حسنه ابن جني إلا أن المحدثين، أجمعوا على "أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة قياسيا بوجوده فوق الأرض، ويرجحون أنه حاول النطق في أيامه الأولى بدافع الصدفة ولكن قدرته السمعية نمت قبل قدرة الكلام، فطمح في تقليد الأصوات الطبيعية حوله، لكن عجزه صده عن تحقيق طموحه، ويعد نمو ذكائه استطاع أن يستقل أصوات نفسه وأصوات المظاهر الطبيعية في قضاء حاجاته الأولية، كالجاذبية الجنسية إلى أليفه، أو محاولة صد الأعداء عنه والحياة الاجتماعية منذ نشأة الإنسان هي التي ساعدت بدرجة كبيرة على نمو لغته، بالإضافة إلى ما يمتاز به الإنسان من ذكاء لا يشاركه فيه غيره من الحيوان، وهذا ما دفع القدماء على تسمية (الإنسان الناطق)"[2]

أهمية السمع في إدراك الصوت اللَّغوي:

([1])الخصائص، ابو الفتح عثمان ابن جني: ص47.

([2]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص 11-12.

"السمع هو الحاسة الطبيعية التي لابد منها لفهم تلك الأصوات التي يصدرها الإنسان، فتنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية وبعدها إلى المخ لترجمتها وتفسيرها والسمع أقوي من جميع الحواس الأخرى وأعمها نفعاً"[1] وقد حاول إبراهيم أنيس أن يلخص مزايا السمع في النقاط التالية:

1- "إدراك الأصوات اللَّغوية عن طريق الحواس يدع سائر الأعضاء حرة بحيث يمكن الانتفاع بها في الحاجات الأخرى، فعندما يتفاهم الإنسان بالإشارة لابد من تشغيل يديه أو بعض أطرافه، فبذلك يصرفها عن وظائفها الأصلية التي خلقت لأجلها.

2- تدرك الأصوات عن طريق السمع من مسافة قد لا يستطيع النظر إليها عند إدراكها، فحيث تحول موانع من جبال أو جدران يجعل المرء لا يستطيع حاستي النظر أو الشم، لكن الأذن تدرك الأصوات واتجاهاتها.

3- تستخدم حاسة السمع ليلا ونهارا، في الظلام والنور، أما حاسة النظر فلا تعمل إلا في النور، ويستحيل كذلك التفاهم بالإشارة في الظلام.

4- والأهم من ذلك أن الإنسان استطاع أن يدرك عن طريق السمع أفكاراً أرقى وأسمى مما يدركه بالنظر"[2]

"وأخيراً قدم إبراهيم أنيس مثالاً لإدراك فضل السمع على سائر الحواس، وهو أن نقارن بين ما يمكن أن يصل إليه الإنسان فقد بصره من رقي عقلي وبين آخر أصم، فالنبوغ والذكاء كثيران بين العمي في حين أنهما نادران بين الصم، ولربما لم يستغل الإنسان حاسة السمع الاستغلال الكافي في العصور القديمة، أما الآن بعد اكتشاف الآلات الحديثة كالمذياع أمكن أن يصبح السمع من أهم وسائل التثقيف

([1]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص13.

([2]) المصدر نفسه ص14.

الشعبي"[1] هنا ما تحدث به إبراهيم أنيس عن أهمية السمع في إدراك الصوت اللَّغوي، ثم بعد ذلك تحدث عن آلة السمع وهي الأذن، لكنه قدم وصفاً لها بشكل مختصر جداً، وقد يكون معذوراً في هذا الآن، لأن موضوع الكتاب الرئيس هو علم الأصوات النطقي، أما بقية أقسام علم الأصوات العام فهما علم الأصوات الفيزيائي، علم الأصوات السمعي، فالأحسن ألا يطيل الكلام فيهما.

الأذن كما عرّفها بعض المحدثين: "هي أداة السمع أو جهاز الالتقاط الذي يتلقى الإشارة الصوتية ويحولها إلى حركة تدب عبّر الأعصاب، وتنتقل إلى الجهاز العصبي المركزي"[2] ويري إبراهيم أنيس أن الأذن الإنسانية معقدة التركيب، يقسمها علماء التشريح إلى ثلاثة أقسام:

1- "الأذن الخارجية: وتتركب من صيوان الأذن وصماخها، وتنتهي بما يسمى بطبلة الأذن.

2- الأذن الوسطى: تحتوي على ثلاث عظيمات صغيرة تدعي: المطرقة والسندان والركاب.

3- الأذن الداخلية: وتتمركز فيها أعضاء السمع الحقيقية، لانتشار ألياف العصب السمعي بأجزائها، وفيها (السائل التيهي) الذي تنغمس فيه الأعصاب السمعية"[3]

"وقدم إبراهيم أنيس في كتابه رسماً توضيحياً للأذن مع الإشارة إلى أماكن تلك الأعضاء السمعية، ثم أضاف بأن الصيوان يستقبل التموجات التي تحدثها الأصوات في الهواء الخارجي ثم تمر التموجات في القناة السمعية الخارجية إلى أن تصل إلى الغشاء الطبلي، فيهتز اهتزازات مناسبة لتلك التموجات، بعد ذلك تصل هذه الاهتزازات إلى الأذن الداخلية، بواسطة العظيمات الثلاث، ثم تسري هذه الاهتزازات

([1]) المصدر نفسه ص 15.

([2]) دراسة الصوت اللَّغوي، أحمد مختار عمر، ط1، عالم الكتب، القاهرة: 1997، ص46.

([3]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص15.

في السائل التيهي، فتحدث ذبذبات مناسبة لها، فتنبه أطراف الأعصاب المغموسة فيه، ثم تنقل هذه الأعصاب ما تشعر به أطرافها إلى المراكز السمعية في المخ وبعد ذلك ندرك الأصوات". [1] والجدير بالإشارة إليه هو أن بعض اللُّغويين المحدثين لم يوجهوا أي اهتمام بهذا الفرع الذي هو علم الأصوات السمعي، ولم يضعوه في الحسبان، لكن السر في عدم اهتمام هؤلاء بهذا الفرع هو وجود صعوبات جمة تقف بطريق غير المتخصصين وتمنعهم من الوصول إلى نتائج علمية صحيحة، ومن تلك الصعوبات احتواء هذا الفرع على ميدان يضم عمليات نفسية معقده لا تدخل في مجال البحث اللُّغوي بمعناه الاصطلاحي.

رأي إبراهيم أنيس أن يبدأ بشرح أعضاء النطق وأجزائها المتباينة قبل أن يعرض لدراسة الأصوات اللُّغوية وما تتركب منه، وأفضل ألّا أتناول شرح إبراهيم أنيس لهذه الأعضاء النطقية والتي ذكرها وهي: "القصبة الهوائية، الحنجرة، الوتران الصوتيان، المزمار، اللهاة، الحلق، اللسان – أقصاه ووسطه وطرفه، الحنك الأعلى – أقصاه ووسطه وأصول الثنايا، الأسنان – عليا وسفلى، الشفتان – عليا وسفلى، التجويف الأنفي"[2]

جهر الصوت وهمسه عند إبراهيم أنيس:

"الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان اهتزازاً منتظماً، وعكسه المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق به، ولا يقصد بذلك أنه ليس للنفس نعه ذبذبات مطلقا، بل المراد بهمس الصوت هو سكون الوترين معه"[3] ويمكن إجراء التجارب الثلاث التي ذكرها إبراهيم أنيس لاختبار جهر الصوت وهي: "الأولى: عندما نضع الأصبع فوق ما تسمى (تفاحة

([1]) المصدر نفسه، ص 16.

([2]) علم الأصوات، كمال بشر، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة: 1997م، ص44.

([3]) الأصوات اللُّغوية، إبراهيم أنيس، ص21.

آدم) ثم تنطق بصوت ساكن مثل (ب) نشعر- شعور لا يحتمل الشك- باهتزاز الوترين الصوتيين.

الثانية: حين نضع أصابعنا في آذاننا وننطق نفس الصوت وهو ساكن نحس برنة الصوت في رؤوسنا.

الثالثة: إذا وضع المرء كفه فوق جبهته أثناء نطقه للصوت موضع الاختبار سيحس برنين الصوت، وذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوتران الصوتيان"[1]. "أما عند سيبويه فالفرق بين المجهور والمهموس هو جريان النفس مع المهموس واستحالة ذلك مع المجهور"[2]، فهو لم يتحدث عن الأوتار الصوتية وذلك بانعدام الإمكانات من آلات التسجيل والتشريح بالتحليل آن ذاك، واعتمادهم على الملاحظات الذاتية. وذكر إبراهيم أنيس الأصوات المجهورة كما تبرهن عليها التجارب الحديثة وهي ثلاثة عشر: " ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن، يضاف إليها كل أصوات اللين بما فيها الواو والياء"[3] وعند سيبويه مجهورة تسعة عشر: " ء ا ع غ ق ج ي ض ل ن ط د ذ ظ ز ب م و، والمهموسة عشرة هي: هـ ح خ ك ش س ت ص ث ف"[4].

يلاحظ أن الفرق بسيط جداً بين تصنيف سيبويه وما أثبتته التجارب الحديثة فحرف الطاء مجهور عند سيبويه وكذلك القاف، أما عند إبراهيم أنيس فالحرفان مهموسان، أما الهمزة والألف فلم يذكرهما إبراهيم أنيس في تصنيفه وعدهما سيبويه من المجهور.

وأضاف إبراهيم أنيس بأن الكثرة الغالبة من الأصوات اللُّغوية المجهورة وذلك شيء طبيعي، أنه لولا ذلك لفقدت اللغة عنصرها الموسيقى وأنينها الخاص الذي به

([1])الأصوات اللُّغوية، إبراهيم أنيس: ص22.

([2])الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان بن قمبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج4، ص 434.

([3])الأصوات اللُّغوية، إبراهيم أنيس، ص23.

([4]) الكتاب سيبويه، ج4، ص435.

تميز الكلام من الصمت والجهر من الهمس. "وقد برهن إبراهيم أنيس الاستقراء على أن أصوات الكلام أربعة أخماسها تتكون من الأصوات المجهورة، في حين أن المهموسة لا تكاد تزيد عن الخمس أو العشرين في المئة من الكلام"[1]

شدة الصوت ورخاوته:

الصوت الشديد هو الصوت الذي ينحبس الهواء معه عند مخرجه انحباساً لا يسمح بمروره حتى ينفصل العضوان فجأة، فيحدث النفس صوتا انفجاريا كما سماه المحدثون وهذا قريب مما ذكره سيبويه" بأن الصوت الشديد هو الصوت الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه"[2] ومعنى يمنع الصوت أن يجري فيه، أي لا يمر الهواء عند النطق به حراً طليقاً وإنما يعترضه مخرج ذلك الحرف ثم يرسله دفعة واحدة.

"الأصوات الرخوة أو الاحتكاكية كما يسميها المحدثون فهي ماعدا الأصوات الشديدة مع استثناء اللام والراء والميم والنون وضابطها أي الأصوات الرخوة، أنه عند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباساً محكماً وإنما يكتفي أن يكون مجراه ضيقا، ويترتب على ضيق المجرى أن النفس أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعاً من الصفير أو الخفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى"[3] ثمة أصوات اصطلح عليها القدماء بالمتوسطة لأنها ليست شديدة ولا رخوة، والمحدثون من علماء الأصوات برهنوا بتجاربهم على أن هذه الأصوات التي هي: "اللام والميم والنون والراء تكون مجموعة خاصة لا هي انفجارية ولا احتكاكية واصطلحوا عليها ب(المائعة) ومع أن القدماء زادوا على هذه الأصوات الأربعة صوت العين، إلا أن إبراهيم أنيس يرى أننا لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة للعين، لقلة التجارب

([1]) الأصوات اللَّغوية: إبراهيم أنيس، ص24.

([2]) الكتاب: سيبويه، ج4، ص436.

([3]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص25.

الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق، بل نتركها لتبرهن عليها تجارب المستقبل"[1]

الأصوات الساكنة وأصوات اللين:

لقد لاحظ المحدثون "أن الأصوات الساكنة على العموم أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين فالفتحة مثلاً وهي صوت لين قصير يسمع من مسافة أبعد مما تسمع الفاء مشكلة بالسكون، فكان من نتائج تحليلهم أن يقسموا الأصوات اللُّغوية إلى قسمين الأول الأصوات الساكنة، والثاني أصوات اللين، والطبيعة الصوتية لكلا القسمين هي أساس التقسيم فأصوات اللين عند النطق بها يخلو مجرى الهواء من حوائل وموانع في حين أن الأصوات الساكنة عند النطق بها ينحبس الهواء انحباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة، ثم يحدث بعد ذلك صوت انفجاري أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الصفير الخفيف"[2] "وتختلف نسبة أصوات اللين في الوضوح السمعي، فالمتسعة منها كالفتحة أوضح من الضيقة وهي الكسرة والضمة، كذلك الأصوات الساكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي، فالأصوات المجهورة أوضح من المهموسة".[3]

ومن النتائج التي توصل إليها المحدثون "أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وهي قريبة إلى طبيعة أصوات اللين، لذا سماها بعضهم (أشباه أصوات اللين)" [4] وكأن إبراهيم أنيس فقد أحس بغرابة هذا المصطلح (أصوات اللين) فقام بشرحه في قوله: "إن أصوات اللين في اللغة العربية هي ما اصطلح القدماء على

([1])الأصوات اللُّغوية، إبراهيم أنيس، ص26.

([2])الأصوات اللُّغوية، إبراهيم أنيس: ص27.

([3]) المصدر نفسه، ص28.

([4]) المصدر نفسه ص29.

تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة، يضاف إليها ما سموه الألف اللينة والياء اللينة والواو اللينة، وماعدا هذه فهي الأصوات الساكنة". [1]

أما السر وراء استعمال إبراهيم أنيس مصطلح (أصوات اللين) بدلاً من (الحركات) أنه قصد بكتابته هذه المتخصصين ويبرهن على ذلك ما ذكره في مقدمة كتابه (موسيقى الشعر) حيث عدل عن هذا المصطلح إلى ما هو مألوف لدى عامة القراء قال: ولا يفوتني أن أشير في هذه المقدمة إلى أني آثرت هنا تسهيلاً على عامة القراء أن أسمي ما يسميه الأوروبيون بالحركات قصيرها وطويلها، وما يسمونه بالحروف خلافا لما اتبعته في كتابيَّ الآخرين: الأصوات اللَّغوية واللّهجات العربية.

مقاييس أصوات اللين:

"أصوات اللين في كل لغة كثيرة الدوران والشيوع، ومهما قل الانحراف عن أصول النطق بها يبعد المتكلم عن الطريقة المألوفة بين أهل اللغة، لذا اهتم المحدثون من علماء الأصوات اللَّغوية بالبحث فيها وضبطها بغض النظر عن اللفة التي تنتمي إليها، واضطروا على قرار ذلك في تجاربهم أن يستنبطوا مقاييس عامة لأصوات اللين، تقاس بها في كل لغة، واتخذوا تلك المقاييس من عدة لغات مشهورة، بحيث يندرج تحتها أي صوت لين في أي لغة من اللغات". [2]

وأشار إبراهيم أنيس إلى أن أول من عني بهذه المقاييس هو "بروفيسور (دانيال جونز)" [3] الذي استطاع بعد تجارب دقيقة وبحوث متواصلة أن يخرج تلك المقاييس العامة والأصوات الليّنة. وبدأ عمله بتحديد الموضع الذي يمكن أن يصعد إليه اللسان نحو وسط الحنك الأعلى، وقد لخص الباحث تلك المقاييس على النحو التالي:

([1]) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1952م، ص4.

([2]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص 32.

([3]) عالم بريطاني متخصص في الصوتيات وكان رئيسا لقسم الأصوات اللَّغوية بكلية جامعة لندن توفى سنة 1967..

1-" (i)عند المحدثين هذا الصوت أول مقياس لأصوات اللين، وحالته شبيهه بالكسرة الرقيقة في اللغة العربية.

2- (a) وهو ما يشبه الفتحة المفخمة في اللغة العربية، وعند النطق به يهبط اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الفم.

3- (u) هو المقياس الأخير لأصوات اللين، ويشبه الضمة المرققة في اللغة العربية، فلو زاد صعوده إلى أقصى اللسان نحو أقصى الحنك لكان أشبه من الواو"[1]

أصوات اللين في اللغة العربية:

"يرى بعض المحدثين ومنهم إبراهيم أنيس أن القدماء لم يوفوا أصوات اللين(الحركات) حقها من الاهتمام مقارنة باهتمامهم بالأصوات الساكنة (الحروف) فقد كانت الإشارة إليها دائماً سطحية وبعد مرور الزمن أحسَّ كتابهم بأهمية أصوات اللين الطويلة كالياء والواو الممدودتين فكتبوها في بعض النقوش والنصوص القديمة".[2]

يقول الدكتور كمال بشر: "أما الحركات القصار فلم تحظ بهذا القدر الكبير من الاهتمام إذ أنها قد حرمت منذ البدء من علامات كتابيَّة مستقلة في صلب الكلمة، أو قل لم تكن لها علامات على الإطلاق". [3] ومع هذا الذي يذكره المحدثون من القدماء علم لم يهتموا بأصوات اللين، "نرى إبراهيم أنيس يعتمد في هذا الموضع على بن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) اعتماداً شبه كلي حيث نقل ما يقارب صفحة كاملة نقلا حرفيا في حديثه عن الحركات". [4]

" فالقدماء اهتموا بتلك الظاهرة وإن لم يخصصوا لها علامات من البداية حتى أنهم فرقوا بين الفتحة وما يسمى بالألف اللينة، والكسرة والياء اللينة، والضمة والواو

([1]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص35.

([2])الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس ص37.

([3]) علم الأصوات، كمال بشر، ص18.

([4]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص45.

اللينة، وذكروا أن هذا الفرق في الكمية فقط، أي إشباع هذه الحركات يولد تلك الحروف اللينة، فالفتحة والكسرة والضمة هي أصوات اللين التي أشاروا إليها مع ذكر أنواع منها، مثل الفتحة المشوبة بالكسرة، والفتحة الممالة نحو الضمة وغير ذلك."[1]

وقد قام إبراهيم أنيس في هذا الموضع بعملية تطبيقية حيث قاس بعض أصوات اللين بتلك المقاييس العامة التي أشار إليها سابقاً معتمدا على قراءة المجودين من قراء مصر.

الأصوات الساكنة ومخارجها وصفاتها:

آثر إبراهيم أنيس أن يتناول الأصوات الساكنة في اللغة العربية المنفردة حسب مخارجها، وكيفية النطق بها وعالجها على النحو التالي:

الأصوات الشفوية:

"(الباء): صوت شديد مجهور يضاف إليه صوت لين قصير يشبه الكسرة فيسمى ذلك ب القلقة.

(الميم): صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، فهذان الحرفان مخرجهما الشفة، ويخرج الهواء معها من الأنف، وكما يقول المبرد: الميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة، فذلك تسمعها كالنون"[2]

الأصوات اللَّغوية:

"(الذال): صوت رخو مجهور ومخرجه من بين طرف اللسان ومهموسة (الثاء).

(الظاء): هو مثل الذال تماما في حالة النطق به يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ولهذه الصفة اعتبره القدماء أحد أصوات الإطباق.

(الدال): صوت شديد مجهور.

---

(3) المصدر نفسه: ص46.

([2]) المبرد: محمد بن يزيد المقتضب، تحقيق، محمد بن عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص194.

(الضاد): يرى إبراهيم أنيس أن الضاد التي وصفها القدماء تخالف التي ننطق بها الآن كما شرحها سيبويه: بأن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وان شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف".[1] وبهذا يؤكد إبراهيم أنيس أن الضاد القديمة فقد أصابها بعض التطور حتى أصبحت كما نسمعها من نطق أهل مصر (دال).

الأصوات الذلقيـــة:

ذكر الخليل سبب تسمية هذه الأصوات بالذلقية، "هو أنها تخرج من ذلق اللسان، ومن طرف غار الفم، والذلاقة في الكلام أنا هي بطرف أسلة اللسان.

اللام: صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة.

الراء: مثل اللام تماماً والصفة المميزة لها أنها تكرر طرف اللسان للحنك عن النطق بها.

النون: أيضاً صور مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، وقد خصت كتب القراءات هذا الصوت ببحوث درسوا فيها أحكام النون من إظهار وإخفاء وإدغام وغير ذلك".[2]

الأصوات الأسلية أو الصفير:

"(السين): صوت رخو مهموس ونظيره المجهور هو الزى.

(الزاي): صوت رخو مجهور ونظيرة المهموس هو السين.

(الصاد): صوت رخو مهموس يشبه السين تماما إلا أن السين احد أصوات الإطباق".[3]

أصوات وسط الحنك:

([1]) الكتاب سيبويه، ج4، ص437.

([2])كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: دكتور مهدي المخزومي وإبـــراهيم الســـامرائي وآخـــرين، مكتبة الهلال، بيروت، ج1، 1980مص51.

([3])المصدر نفسه، ص54.

"(الشين): صوت رخو مهموس له نظير مجهور يسمع أحياناً في لغة الكلام عند بعض المصريين في مثل كلمة (مشغول).

(الجيم): صوت مجهور قليل الشدة، وقد تطور هذا الصوت تطوراً كبيراً في اللّهجات العربية الحديثة".[1]

أصوات أقصى الحنك:

"(الكاف): صوت شديد مهموس ونظيره المجهور هو الجيم القاهرية.

(القاف): لقد تطور هذا الصوت حيث كان قديما مجهوراً، أما الآن كما ينطق به مجيدو القراءات في مصر صوت شديد مهموس، وهو ليس بشيء جديد في القراءات الموجودة في مصر". [2]

الأصوات الحلقية:

ذكر إبراهيم أنيس أن أصوات الحلق لم تحظ بعناية المتحدثين من علماء الأصوات، فهم لم يبينوا وظيفة الحلق بين أعضاء النطق، لذا يرجى أن تكشف البحوث المستقبلة عن أسرار جديدة لأصوات الحلق، وهي كالتالي:

"(الغين): صوت رخو مجهور.

(الخاء): صوت رخو مهموس مخرجهما واحد مع الغين.

(العين): صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاء.

(الحاء): صوت مهموس ونظيره العين.

(الهاء): صوت رخو مهموس.

(الهمزة): صوت شديد مجهور عند سيبويه، ومتوسط بين الجهر والهمس عند إبراهيم أنيس ووصفها الخليل بأنها هوائية لا حيز لها".[3]

([1]) الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص67.

([2])الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس ص 71.

([3]) المبرد، محمد بن يزيد المقتضب، ج1، ص192.

طول الصوت اللَّغوي:

لما كان طول الصوت اللَّغوي من أبرز الظواهر اللَّغوية التي يترتب عليها النطق الصحيح بلغة من اللغات، كان البحث فيه مما عني به المحدثون في تجاربهم. ويقصد بطول الصوت: "المدة الزمنية التي يستغرقها النطق بهذا الصوت، ويقدر عادة بجزء من الثانية، فقد ذكروا أن الدالة المتطرفة في الكلمات الإنجليزية عن النطق بها يستغرق حوالي 5 أجزاء من الثانية، بينما يستغرق صوت اللين u مرة أطول تبلغ حوالي 43 جزءً من الثانية"[1]. وأصوات اللين بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة، ولما قيست أصوات اللين وجد أن الفتحة أطول من الكسرة والضمة، وتنقسم أصوات اللين إلى: "طويل وقصير، فالفتحة مطلقا صوت لين قصير، وعندما تصبح ما يسمي بالألف الممدودة فهي صوت لين طويل والفرق بينما أن الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف الذي تستغرقه الثانية". [2]

الحديث عن إطالة أصوات اللين موجودة بالتفصيل في كتب التجويد والقراءات، ويرى إبراهيم أنيس أنه من الواجب تحديد نسبة إطالة الصوت عن طريق تجارب حديثة تستخدم فيها آلات القياس الحديثة بدلا من القياس الاجتهادي المتمثل في العد بالأصابع عند بعض القراء.

المقطع الصوتي:

عرف بعض المحدثين المقطع الصوتي بأنه: "عبارة عن قمة الإسماع، وهو كمية من الأصوات المحتوية على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة"[3]. والمقاطع الصوتية نوعان: "متحرك

([1])علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص80.

([2])الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص 87.

([3])المصدر نفسه: ص91.

وساكن، فالمتحرك هو الذي ينتهي بصوت قصير أو طويل أما الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن".[1]

والكلمة العربية مهما اتصل بها من لواحق أو سوابق لا تزيد عدد مقاطعها على سبعة مثل(فسيكفيكهم) و(أنلزمكموها) وهذا نادر، إنما الغالب في الكلام العربي يتكون من مقاطع لا تزيد على أربعة والنحاة من القدماء "أشاروا إلى ميل اللغة العربية إلى المقاطع الساكنة حيث أثبتوا استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة اجتماعها في الكلمة الواحدة"[2].

النَّبر هو: "وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام" [3]، فعند النطق بمقطع منبور يلاحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط، ونطق اللغة لا يكون صحيحا إلا إذا روعي فيه موضوع النَّبر.

ويرى إبراهيم أنيس أنه من الصعب تحديد مواضع النَّبر في اللغة العربية كما كانت تنطق في العصور الإسلامية الأولى، لأن القدماء لم يتطرقوا إلى هذه المسألة في مؤلفاتهم، لكنه لاحظ أنه يمكن أن تخضع لقانون لا تشذ عنه باعتبار نطق قراء مصر.

موسيقى الكلام: ويقصد به: "التنغيم وضابطه، رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة"[4].

وقد وضح بعض المحدثين أنه: " يؤثر التنغيم على معنى الجملة، فعندما يكون صاعدا فغالبا ما تكون جملة استفهامية، عندما يكون هابطاً تكون الجملة خبرية، لاحظ الفرق بين الحالتين عن نطق جملة مثل: الزجاج مكسور. كما يرى جسبرسن أن العاطفة

([1])المصدر نفسه ص 93.

([2])المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي: رمضان عبد التواب، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1417ه.1997م ص 101.

([3]) الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس، ص97.

([4]) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي: رمضان عبد التواب، ط3، ص106.

تؤثر في تنوع درجات الصوت، فالكلام العادي يكون على درجة مستوية. ولما كان موضوع التنغيم لم يتطرق إليه القدماء يرى إبراهيم أنيس أنه من الأحسن الاستعانة بالموسيقيين العرب لتحديد درجة الصوت وتسلسله في الكلام العربي، رغم أنهم لم يتفقوا على السلم الموسيقى في الغناء العربي. "[1]

" أراد إبراهيم أنيس أن يبرهن لنا سر ظاهرة تطور الأصوات اللَّغوية التي تولد فرقا بين لغة السلف والخلف مع عدم تغير البيئة اللَّغوية وعدم نزوح غير أهلها إليها، واللغة كائن حي كما يقول الباحثون تخضع للتطور والتغير من جيل لآخر وهي عادات صوتية تؤديها عضلات خاصة ويتوارثها الخلف عن السلف. وفي نهاية المطاف نستطيع أن نقول إن إبراهيم أنيس أول من عالج القضايا الصوتية بطريقة حديثة ما يقوله أحد المحدثين من أن القدماء وإن كانوا قد درسوا الأصوات لكن كان تركيز أولئك اللَّغويين عند توصيفهم للغة كثيرا ما ينصب على النحو والصرف، أما دراستهم للأصوات فإنها تهتم فقط بوصف الأصوات اللَّغوية بوجه عام من حيث مخارجها وطريقة نطقها وما إذا كانت مجهورة أو مهموسة واختلاف بعضها عن بعض من هذه النواحي، وأضاف بأنه لم يكن في أي من تلك القواعد التقليدية جزء يتناول الأصوات المفردة أو النَّبر أو التنغيم، إلى غير ذلك من الخصائص الصوتية للغة."[2]

([1]) الصوتيات العربية منصور بن محمد الغامدي، ط1، مكتبة التوبة، 1421ه، 2010م، ص79.

(1) الصوتيات العربية منصور بن محمد الغامدي، ط1: ص80.

المبحث الثالث

المصطلحات الصوتية في كتابيّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ

يتناول هذا المبحث المصطلحات الصوتية التي استخدمها إبراهيم أنيس في كتابه، وبعضها مأخوذ من القدماء مثل الجهر والهمس والشدة والرخاوة وغيرها، وبعضها الآخر حديث مثل المقطع والنَّبر وغيرها. وعند استعماله لهذه المصطلحات يذكر بجانب بعضها المصطلحات الأجنبية شارحاً إياها، وتارة يكتفي بذكر المصطلح العربي وحتى دون أن يشرحه في بعض الأحيان.

وقد قمت بجمع هذه المصطلحات على الترتيب حسب ورودها في الكتاب، وثم تناول هذه المصطلحات على النحو التالي:

1- الفوناتيك: "ويطلق عليه علم الأصوات العام، ويعنى بشرح الأصوات الإنسانية وتحليلها دون النظر إلى ما تنتمي إليه من لغات"[1].

2-الفونولجي: "يعني بأثر الصوت اللَّغوي في تركيب الكلام، ويرى بعض العلماء أن الفوناتيك للدراسة الوصفية، الفونولوجيا للدرس الصوتي التاريخي.

([1])الأصوات اللَّغوية إبراهيم أنيس، ص3.

ويرى آخرون أن الأول يكتفي بدراسة المادة الصوتية من حيث كونها أحداثاً منطوقة والثاني يقوم ببيان وظائف هذه الأصوات وقيمتها في اللغة المعينة"[1].

وقد حاول إبراهيم أنيس أن يحدد الفرق بينهما مع تشابك حدودهما، واشتراكهما معا في عدة مواضع.

3- الصوت: "كما عرّفه بعض المحدثين: هو اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج، ثم في ضعف تدريجي ينتمي إلى نقطة الزوال النهائي".[2]

4- الصوت اللَّغوي: "هو الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء التي يطلق عليها اسم جهاز النطق". [3]

5- مصدر الصوت: "يعني بها الجهة التي يخرج منها الصوت". [4]

6- الحنجرة: "عبارة عن حنجرة متسعة نوعاً ما ومكونة من ثلاثة غضاريف، الأول أو العلوي منها ناقص الاستدارة من الخلف، وعريض بارز من الأمام، والغضروف الثاني كامل الاستدارة، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من الخلف". [5]

7- الأوتار الصوتية: "يشبهان الشفتين ويمتدان أفقياً بالحنجرة من الخلف إلى الأمام، ويسمى الفراغ بين الوترين الصوتيين بالمزمار، وقد ينفرج الوتران أو ينقبضان حتى يلمس احدهما الآخر فيغلق ممر الهواء نهائياً، وقد يقترب أحدهما من الآخر لدرجه تسمح بمرور الهواء ولكن بشدة ثم يتذبذبان ويصدران نغمة موسيقية". [6]

([1])علم الأصوات: كمال بشر، ص9.

([2])في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم عطبة، دار الجاحظ للنشر، بغداد: 1983، ص6.

([3])في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم عطية ،ص 6.

([4]) المصدر نفسه، ص7.

([5]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص18.

([6]) علم الأصوات، كمال بشر، ص135.

8- الحلق: "هو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم، ويسمى هذا الجزء بالفراغ الحلقي أو التجويف الحلقي، وهو الفراغ الواقع بين أقصى اللسان والجدار الخلفي للحلق".[1]

9- اللسان: "عضو مرن قابل للحركة إلى حد كبير، وهو من أهم أعضاء النطق، وسميت اللغات به لأهميته في عملية النطق، وعلماء الأصوات يقسمونه عادة إلى ثلاثة أقسام: أقصي اللسان، وسط اللسان، طرف اللسان".[2]

10- الكلمات: هي نهاية الحنك اللين، وتساهم بشكل كبير في نطق القاف العربية الفصيحة". [3]

11- الأسنان: "من أعضاء النطق الثابتة، وتتخذ مواضع يعتمد عليها اللسان عند نطق بعض الأصوات، وهناك أسنان عليا وأسنان سفلى". [4]

12- الرئتان: "هما يشبهان منفاخين يشتملان على مجموعة من الأكياس التي يرتبط بعضها ببعض بشعب تتفرع كل منها، وهكذا حتى تنتهي كل منها بحويصلة هوائية تحيط بها أوعية دموية دقيقة يجري فيها استبدال ثاني أكسيد الكربون الذي يطرحه الجسم بغاز الأكسجين القادم عن طريق الشهيق من القصبة الهوائية"،[5] وبغير الرئتين الرئتين لا تكون عملية التنفس، وبغير التنفس لا يكون الكلام حتى الحياة نفسها، "فالرئتان تقومان بوظيفة المنفاخ الذي يوفر التيار الهوائي الذي المادة الخام لإنتاج الأصوات اللَّغوية".[6]

([1]) المصدر نفسه، ص138.

([2]) المصدر نفسه، ص141.

([3])علم الأصوات، كمال بشر ، ص113.

([4]) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ط1، ص118.

([5]) في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم عطية، ص13.

([6]) أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة: سنة1419هـــ - 1999م، ص77.

13- القصبة الهوائية: "فراغ رنان مؤلف من حلقات غضروفية مرصوفة غير كاملة الاستدارة من الخلف، يقف بعضها فوق بعض بشكل عامودي، وتقع القصبة الهوائية بموازاة العمود الفقري، وطولها نحو11سم، وقطرها بين 2سم 2.5سم"[1] "وعرّفها بعضهم بأنها أنبوبة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الخلف متصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشاء مخاطي"[2].

14- الفراغ الأنفي: "فراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النطق بها، ويندفع الصوت من خلاله مع بعض الأصوات كالميم والنون"[3].

15- الحنك: أو سقف الفم: "هو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاع مختلفة، وتخرج أوضاع مختلفة مع كل وضع بالنسبة لأي جزء منه، ويقسمه العلماء عادة إلى ثلاثة أجزاء: مقدمة الحنك أو اللثة، وسط الحنك أو الحنك الصلب، أقصى الحنك أو الحنك اللين". [4]

16- الشفتان: "من أعضاء النطق المتحركة، ويساعد انطباقهما وانفراجهما في نطق كثير من الأصوات مثل الباء والميم والواو، وإذا لامست الشفة السفلى الأسنان العليا حدث الصوت الشفوي الأسناني وهو الفاء"[5].

17- الحركة أو صوت اللين: "صوت يتميز بأنه المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أي عائق، ودون أن يضيق مجري الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً مثل الفتحة". [6]

([1]) في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم عطية، ص14.

([2]) دراسة الصوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997ص100.

([3])دراسة الصوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ط2،، ص94.

([4]) علم الأصوات، كمال بشر، ص139.

([5]) معجم علم الأصوات، محمد على الخولي، ط1، مطابع الفرزدق التجارية، القاهرة، 1402هـــ _ 1982م، ص83.

([6]) علم الأصوات، كمال بشر، ص51.

18- الصامت أو الصوت الساكن: "هو الصوت الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض في مجرى الهواء في الفم، سواءَ كان الاعتراض كاملاً كما في نطق صوت الدال، أو جزئيا من شأنه أن يسمح بمرور الهواء لكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع كالحاء مثلاً"[1].

19- المجهور: "هو الذي تتذبذب عند النطق به الأوتار الصوتية"[2].

20-المهموس: "هو الذي لا تتذبذب عند النطق به الأوتار الصوتية"[3].

21- الشديد أو الانفجاري: " الصوت الشديد عند النطق به أن ينحبس مجري الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، ويضغط الهواء، ثم ينفتح مجري الهواء فجأة، فيخرج الهواء محدثا صوتا انفجاريا مثل الباء"[4].

22- الرخو أو الاحتكاكي: "وعند النطق بالأصوات الرخوة لا ينغلق مجري الهواء انغلاقاً تاماً، وإنما يضيق المجري إلى درجة تسمح بمرور الهواء، فينتج عن ذلك نوع من الصفير أو الخفيف كما في الصاد والفاء والثاء"[5].

23- التطور الصوتي: عرّفه بعضهم بأنه: "تغير بعض الأصوات عبّر مراحل تاريخية مرت بها لغة ما وفق قوانين يمكن حصرها"[6].

24/ الأصوات المائعة: "هي الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وهي اللام والميم والنون والراء وزاد القدماء عليها العين"[7].

([1]) المصدر نفسه، ص52.

([2]) الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص21.

([3])الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص22.

([4]) الكتاب سيبويه، ج4، ص436.

([5]) الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص25.

([6]) معجم علم الأصوات، محمد على الخولي، ط1، ص14.

([7]) الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص26.

25- أصوات اللين الضيقة: "هي م يرمز له ب(I)، و (U)، لأن اللسان معها يبلغ أقصى ما يمكن أن يصل إليه من صعود نحو الحنك، والفراغ بينهما يكون أضيق ما يمكن للنطق بالحركة"[1].

26- أصوات اللين المتسعة: "وهي (A) وما قرب منها، لأن اللسان معها يبلغ أقصى درجة هبوطه في قاع الفم، و الفراغ بينهما أوسع ما يمكن في ذلك الموضع"[2].

27- التأثر الرجعي: "هو أن يتجاوز صوتين قويتين فيتأثر الأول منهما بالثاني"[3].

28- التأثر التقدمي: "وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول"[4].

29- فناء الصوت في الصوت: "هو أن يجاور الصوت صوتاً آخر فيفنى أحدهما في الأخر نتيجة تأثره به حيث لا يترك له أثراً، وهو ما يسميه القدماء(الإدغام)" [5].

30- أنصاف أصوات اللين: "وهما الواو والياء لما لهمها من شبه نطقي بالحركات، وشبه اخر وظيفي بالأصوات الصامتة من جهة أخرى"[6].

يكتفي الباحث بذكر هذه المصطلحات تحرياً للإيجاز وتفادياً للتكرار، ذلك لأن بقية المصطلحات التي لم يتعرض لها قد سبق شرحها في ثنايا البحث في ذكر النَّبر والتنغيم وغيرها. " وقد يكون من باب زيادة التوضيح ذكر ما قاله كمال بشر من أنه ينبغي أن يدرك القارئ أن المصطلحين الجهر والهمس، لا يفيان بحال ما يفهم من دلالتهما المعجمية، وهي أن الجهر يعني رفع الصوت أو إعلان القول، وأن الهمس في الكلام هو خفاؤه بحيث لا يسمع، وإنما المقصود بهما في الاصطلاح الصوتي الدقيق هو مجرد ذبذبه الأوتار الصوتية في حال الجهر، لكي يسمح بمرور النفس

([1]) المصدر نفسه، ص28.

([2])الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص29.

([3]) المصدر نفسه، ص31.

([4])الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس ، ص32.

([5]) علم الأصوات، كمال بشر، ص109.

([6]) المصدر نفسه، ص168.

دون اعتراض في حال الهمس فالمصطلحان منقولان من المعنى العام إلى المعنى الخاص."[1]

ومما يلاحظ أن المصطلحات الصوتية عند ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحرف) أكثر دقة وكمية منها عند إبراهيم أنيس، فكما يقول بعض الباحثين إن هناك عدة عوامل ساعدت ابن سينا على بلورة مصطلحاته، منها استغلاله لما تركه علماء العربية من مادة علمية غنية، وما ترجمه من معارفه المختلفة كالطب والفلسفة والموسيقى، لكنه لم يتعرض للمصطلحات الضابطة لصفات الأصوات إلا القليل. ويتميز إبراهيم أنيس عن بن سينا في أنه غالبا ما يذكر المصطلح القديم بجانب الحديث منبها على ذلك، ولربما أنه يميل إلا التجديد أو التنوع في استخدام المصطلحات.

جهود إبراهيم أنيس وتأثيره في الدراسة الصوتية العربيـــة:

كان إبراهيم أنيس من ضمن الذين نادوا بضرورة دراسة علم الأصوات في المعاهد المصرية في مجال الدرس الصوتي كما يشير إلى ذلك كمال بشر: "وفي الخمسينيات من القرن العشرين عاد إلى مصر بعض المبعوثين، و اشتغلوا بتدريس علم اللغة في دار العلوم، عادوا من لندن بعد حصولهم على درجة الدكتوراه ليخطو خطا جديدا في الدرس اللَّغوي في الدار، و كان من أهم و أبرز ما صنعوا اعتماد علم الأصوات مادة مقررة في جدول الدراسة، فكانت هذه بداية جديدة و تطور مهم للدراسة الصوتية العربية و بهذا حظي الدرس الصوتي الحديث العام و الخاص بموقع مستقل لأول مرة في دور التعلىم العربية على إطلاقها"[(2)].

ولم يتوقف هذا التطور العظيم بل امتد بمرور الزمن إلى دوائر علميه أخري في مصر وغيرها من البلاد العربية.

---

(1) علم الأصوات: كمال بشر، ص110.

([2]) علم الأصوات، كمال بشر، ص25.

ومن المعاصرين من يرى أن جهود إبراهيم أنيس تفوق كل الجهود السابقة والمعاصرة له من التي قدمها العلماء المحدثون في ساحة الدراسات اللَّغوية العربية يقول: "ولعلنا لا نتجاوز حدود الواق إذا تراءى لنا أن ما قدمه الدكتور إبراهيم أنيس للدراسات اللَّغوية العربية السامية يعد الأبرز والأنضج بين كل المحاولات السابقة والمعاصرة له، فقد تناولت مؤلفاته كل مستويات الدراسة اللَّغوية من أصوات وصرف وتركيب ودلالة"[1].

ثم خص كتابه بالذكر مبينا قيمة الكتاب، واهم ما أحتوى عليه: "ففي كتابه الأصوات اللَّغوية وقيّمت لأول مرة دراسة متكاملة للأصوات العربية، اتّبع فيها مناهج البحث الحديثة، ففرق بين مصطلحي الفوناتيكي والفونولوجي فيما يعد اتجاها وصفيا في دراسة الأصوات"[2]. فهو هنا يشير إلى عمل مهم قام به إبراهيم أنيس في فاتحة كتابه الأصوات اللَّغوية، وهو تحديد مجالات ذلك المصطلحين المتشابكين (الفوناتيكي والفونولوجي) إلى حد بعيد. ومن الناحية التطبيقية فلإبراهيم أنيس جهود قيمة تحسب له في مجال الدراسة الصوتية، منها ما ذكره من "أن نسبة شيوع الفتحة في اللغة العربية حوالى 460 في كل حرف من الحركات قصيرها وطويلها، في حيث إن الكسرة حوالى 174، والضمة 146"[3] وقد استفاد علماء الأصوات بعد إبراهيم أنيس من تلك البحوث التطبيقية التي قدمها، ونقلوها في كتبهم كما يقول بعضهم، "فقد أيدت المباحث التطبيقية التي أجراها إبراهيم أنيس، شيوع اللام نحو127 مرة في كل ألف من الأصوات الصامتة في العربية، وأن نسبة الميم 124 مرة في كل ألف مرة منها، وأن نسبة النون بلغت 112كذلك".[4]

([1]) المصدر نفسه، ص 26.

([2]) الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللَّغوية، دكتور أحمد عبد العزيز دراج، المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشيد، الرياض، 1423هـ -2003م، 142.

([3]) المصدر نفسه، ص143.

([4]) الأصوات اللَّغوية، إبراهيم أنيس، ص57.

ومن الطبيعي أن يكون لإبراهيم أنيس تأثير كبير في ساحة الدراسات اللَّغوية والصوتية على وجه الخصوص ومن الجهود العظيمة التي قدمها للدرس الصوتي العربي تحديد مواضع النَّبر في اللغة العربية، ومما يؤكد أنه أول من تطرق إلى هذا الموضوع في قوله: "وليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضوع النَّبر في اللغة العربية، كما ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء"[1]، ثم ذكر المواضع الأربعة للنبر العربي مشيراً إلى أكثرها وأقلها شيوعاً، قال: "هذه هي مواضع النَّبر العربي، كما يلتزمها مجيدو القراءات القرآنية في القاهرة" [2].

وقد سبقت الإشارة إلى أن معيار الصحة والأصالة في نطق الأصوات عند إبراهيم أنيس هو نطق القراء المصريين، ويعتقد أن علماء التربية في مصر لم يستطيعوا أن يصفوا الطريقة المثلى لتعليم اللغات الأجنبية ما لم يمدهم علماء اللغة بنتائج دراساتهم بالعادات اللَّغوية المصرية ويرى أن العادات اللَّغوية هي تلك الصفات العامة التي يشترك فيها جميع أفراد بيئة من البيئات اللَّغوية، والتي ليس لهم اختيار في تكوينها، والصفات الكلامية التي تصدر عن قصد وإرادة فلا يمكن أن تسمى عادات لغوية.

أمّا الصفات الصوتية هي التى اشتملت عليها القراءات كما نعرفها الآن ، والتي يمكن أن تعزى إلى اختلاف اللهجات العربية فهي: الفتح ،والإمالة ، فقد أجمع علماء العربية على نسبة الفتح لأهل الحجاز، وعلى أن قبائل نجد قد عرف عنهم الإمالة في كلامهم، "ومن الصفات الصوتية كذلك الإدغام ، ومنها أيضاً الهمز ، وتكاد تجمع

([1]) المصدر نفسه، ص99.

([2]) المصدر نفسه، ص 101.

الروايات على أن إلتزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أوقلبها إلى حرف مد ".[1]

قسّم إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية تقسيماً علمياً فقد جعلها في قسمين : الأصوات الساكنة ،وأصوات اللين، رأى أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين ، لذا يميل بعضهم إلى تسميتها بأشبه أصوات اللين، كما وضع تعريفاً للجهر والهمس مخالفاً تعريف القدماء ، معتمداً على علم التشريح، فعرف الصوت المجهور بأنه الصوت الذي تتذبذب معه الأوتار الصوتية ، والصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، وأنه لا يتفق مع القدماء في أن الطاء والقاف مجهوران ، فهو يراهما صوتان مهموسان ، وكذلك صوت الهمزة فهو مجهورعند القدماء ، ويراه صوتاً لا هو بمجهور ولا هو بمهموس.

المبحث الرابع

القراءات واللّهجات في كتابيّ أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ ورؤية إبراهيم أنيس فيها

قبل الحديث عن جهود إبراهيم أنيس في دراسة اللّهجات العربية القديمة لابد من وقفة عند مصطلح (اللهجة) تعريفها، بدائلها، ثم الفرق بينها وبين مصطلح اللغة، وأهمية دراسة اللّهجات العربية، وتتحدث عن جهود العلماء الذين سبقوهم في هذا المجال، ثم عن جهوده التي تميزت عنهم.

أولاً: مصطلح اللهجــة

تعريف اللهجة في اللغة والاصطلاح:

اللهجة في اللغة هي: "طرف اللسان، أو جرس الكلام، ويقال أن فلاناً فصيح اللهجة، وهي لغته التي جبل عليها، فاعتادها ونشأ عليها"[1].

([1]) في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس ، ط 8، ص17.

أما معنى اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث فهي تعني: " العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحده"[2]

ويعرّفها إبراهيم أنيس بأنها: "مجموعة من الصفات اللّغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللّغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث إن فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللّهجات".[3]

وهذه الصفات اللّغوية التي أشار إليها إبراهيم أنيس تندرج في أغلب الأحيان في الناحية الصوتية، كما أن هنالك فروقا تعود إلى النحو أو الدلالة يقول فندريس: " إننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخري، حتى يمكننا أن نميز لهجة كل قرية منهما بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات ومن حيث النحو والمفردات"[4]

أما بدائل اللهجة: فنجد أن علماء اللغة قديما كانوا يعبّرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة اللغة حينا، وباللحن حيناً آخر، فالتعبير عن اللهجة بكلمة لغة، ورد عن الخليل ابن أحمد الفراهيدي في بعض المواد في معجم العين حيث قال: الخبع: "الخبع في لغة تميم يجعلون بدل الهمزة عينا، وقال الخليل سمعت إعرابياً فصيحاً من أهل الصمان يقول: كل فرجة تكون بين شيئين فهو عقر وعقر لغتان". [5]

وكما يرى سيبويه التعبير عن اللهجة بكلمة لغة واضحا جليا في المعاجم اللّغوية القديمة، نجده أيضاً في كتب النحو مثلما نجده في الكتاب لسيبويه في باب: "ما

([1]) لسان العرب، بن منظور، مادة(لهج).

([2]) مقدمة للدراسة فقه اللغة، محمد أحمد أبو الفرج، بيروت، 1966م، ص93.

([3]) في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1992م، ص16.

([4]) كتاب اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، القاهر، 1950م، ص310.

([5]) كتاب العين، أحمد بن خليل الفراهيدي، تحقيق: دكتور عبد الله درويش، القاهرة، ج1، ص141.

أجري مجري ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله"[1]، " وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيي ولغة هذيل ولا يريدون لمثل هذا التعبير سوى ما نعنيه الآن بكلمة اللهجة. وهناك الكثير من الأمثلة في كتب اللغة التي تدل على استعمال العلماء لكلمة اللغة للتعبير عن اللهجة منهم بن جني، والسيوطي، بالإضافة إلى الرسائل التي كتبت عن اللغات، وهي تعني الكشف عما ورد فيها من كلمات بلهجات القبائل المختلفة."[2]

وقد وجدنا أن كثيراً من الباحثين اللَّغويين المحدثين يسمون أبحاثهم بما ورد عن القدماء في استعمالهم كلمة اللغة للدلالة على اللهجة، مثل الأستاذ حفتر ناصف في كتابه(مميزات لغات العرب) وضاحي عبد الباقي في رسالته التي نال بها العالمية التي بعنوان (لغة تميم دراسة تاريخية وصفية) ومختار سيدي الغوث في رسالة الماجستير بعنوان (لغة قريش) وغير ما ذكر، هناك الكثير من الأمثلة أما التعبير عن اللهجة بكلمة لحن، فإننا نجد ذلك في بعض الروايات منها قول ابن منظور: "اللحن، اللغة كقول عمر رضي الله عنه: تعلموا الفرائض والسنة واللحن، كما تتعلمون القرآن أي اللغة، والمعنى تعلموا لغة العرب لإعرابها، قال أبو عدنان: وأنشدتني امرأة كلابيـــــة:

وقومٌ لهم لحنٌ سوِى لحْنِ قومِنا ** وشكلٌ– وبيت الله– لسنا نُشَاكلهُ

فقد جاء اللحن بهذا المعنى الذي يراد به اللغة وهي اللهجة، في لهجة بني كلاب كما في البيت السابق، ومن ذلك قول أبي مهدية الكلابي: ليس هذا من لحني ولا لحن قومي، أي ليس من نحوي وميلي الذي أميل إليه وأتكلم به يعني لغته ولسنه[3].

الفرق بين اللهجة واللغة:

يرى البعض أن الفرق بينهما واضح، ولكن على ضوء دراستنا لعلم اللغة الحديث نجد أن الفارق بينهما ليس واضحا جليا، إذ لا يفرق علم اللغة مبدئياً بين لهجة

([1]) الكتاب: سيبويه، ج1، ص57.

([4]) المصدر نفسه، ص:58.

([3]) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (لحن).

ولغة، فكل لهجة هي لغة قائمة بذاتها وبنظامها الصوتي والصرفي والنحوي بتركيبها ومقدرتها على التعبير، "إذا لا فرق جوهري بين لهجة ولغة، وإنما الفارق هو لهجة ما، ولسبب خارجي أو لظروف خاصة تعتبر لغة قومية، بينما لهجة أخرى ربما أمنها لا يعترف بها"[1] "واللهجة تتولد من اللغة وتتفرع منها وإذا ما تهيأت الأسباب للهجة أن تنمو وتكتمل وتفي بحاجات المجتمع الذي نعيش فيه فإن العوامل اللَّغوية تحتم على الباحثين إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة"[2]

وهذا ما يظهر لنا بوضوح في اللغة العربية والتي بعد الفتح الإسلامي، نزلت إلى ميدان الحياة في الأقطار المغزوة، واضطر أصحاب تلك البلاد أن يتعلموا تلك اللغة ليعرفوا أحكام هذا الذي ينضمون تحت لوائه، إلا أنه لم يكن من اليسير عليهم أن يندمجوا في هذه اللغة، ويتعرفوا عليها التعرف الصادق فظهر انحراف في النطق العربي، أدي مع مرور الزمن إلى أن توجد سبل للتفاهم متفاوتة بتفاوت الأقطار، فأضحى للعرب لهجات متفاوتة بتفاوت الأقطار، فالسوري لهجة، وللعراقي لهجة، وللسوداني لهجة، وهكذا وتلك اللّهجات نمت وازدهرت لم تعد في حاجة إلى الاتصال بأصلها الأصيل وهو العربية، ولذلك أصبحت جديرة بأن يطلق عليها اسم لغة، وبعد أن تعرفنا على مفهوم مصطلح (اللهجة) نتحدث عن الفائدة من دراسة اللّهجات العربية ودورها في خدمة اللغة العربية الفصحى.

أهمية دراسة اللّهجات العربية:

دراسة اللّهجات العربية من الدراسات المهمة التي تصل بنا إلى الهدف المنشود، وهو معرفة النطق الصحيح للفصحى وفهم معانيها، لأن العربية لغة القرآن الكريم ولغة التراث والحضارة، ولغة الأمة العربية، فدراسة علم اللّهجات له جوانب عديدة في خدمة الفصحى ويمكن توضيح ما سبق فيما يلي:

([1]) اللّهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية والنحوية، 1955م، ص41.

([2]) اللّهجات العربية، إبراهيم محمد نجا، مطبعة السعادة، القاهرة، 1396هـ - 1076م، ص11.

1-"إن دراسة علم اللّهجات تعرفنا على الآراء الجديدة في أصل اللّهجات وتكوينها وتأثيرها في حياة اللغة الأدبية الفصحى، كما أنه يساعد على فهم مسائل مبهمة في اللغات الفصيحة.

2- نتعرف من خلال دراسة علم اللّهجات على مراحل التطور اللّغوي ومعالم كل مرحلة في تاريخها الطويل، في الأصوات والحروف، والمفردات والدلالة، وفي الجمل والتراكيب وغيرها، ومن خلال علم اللّهجات نستطيع أن نقدم الحلول الدقيقة لكافة مستويات اللغة فنعرف لماذا ماتت أصوات وتحورت أخرى، وننفي عن العرب الاضطراب والفوضى التي رميت بها والكثير من الظاهر والمباحث وتعدد الصيغ للمعنى الواحد واختلاف الضبط وكثرة المصادر والجموع السماعية، وظهور أنواع الشذوذ المختلفة، كل ذلك ونحوه تقدم لنا في دراسة اللّهجات حلولا نابعة من صميم اللغة ومنهجها دون حاجة إلى اصطناع مناهج غريبة تفرض عليها وتفسد ظواهرها.

3- دراسة اللّهجات تفيد اللغة الفصحى إفادة واسعة، وليست كما يتصور البعض خطرا على اللغة الفصحى في أنها تأصيل للهجات، أو دعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى، بل العكس فهي تفيد الفصحى في معرفة تاريخها وفي تطورها وقوانينها وعوامل التوحد والانقسام فيها.

4- دراسة اللّهجات بالمنهج العلمي الصحيح من أهم الدعائم التي يقوم عليها المعجم التاريخي، اللغة العربية مفتقرة إلى معجم تاريخي، يقدم وصفا تاريخيا لمفردات اللغة في تاريخها الطويل، ومن أجل ذلك فالدراسة الواعية التي تستوعب اللّهجات قديما وحديثا من أهم الأسس التي عليها المعجم التاريخي.

5- دراسة اللّهجات تساعدنا على فهم كلمات وعبارات أثبتت في المعاجم من غير أن يدقق وواضعها في حد معناها، فظلت مهملة وأهمل اللّغويون شرحها، لأنهم لم ينقبوا عن الأصل الذي ترجع إليه، ومن خلال دراسة اللّهجات القديمة والحديثة يمكننا

اكتشاف القوانين التي سارت عليها العربية في تطورها والعوامل التي واجهت هذا التطور وأثرت فيه، وارتباط كل ظاهرة بمسمياتها في الزمان والمكان.

6- دراسة اللّهجات العربية أمر مهم في معرفة القراءات القرآنية، إذ أن القراءات هي المصدر الأصيل لدراسة اللّهجات، كما أنها صورة حية لما كانت عليه اللّهجات العربية، فهنالك الكثير من القراءات القرآنية تمثل مظاهر لهجيه من لهجات العرب في جزء منها، كما أنها المصدر الموثوق به بالنسبة للّهجات العربية، من ذلك فإن معرفتنا للهجات تقوم على القراءات القرآنية المتواترة والشاذة، فهي صورة من اختلاف اللّهجات.

7- إهمال اللّهجات غير الفصحى يحرمنا من نتاج أدبي وثقافي عريق، ومن فنون مختلفة منظومة ومنثورة، فهذه اللّهجات لا تخلو من تجارب أصلية جادة، فهي تمدنا بصورة صادقة في فهم التطور التاريخي للغة، لأنها احتفظت بعناصر لغوية اندثرت من اللغة المكتوبة وربما أهملها أصحاب المعاجم ولم يدونوها، وربما سموها بما ينفر منها، فقالوا: أنها رديئة أو منكرة أو مذمومة أو قبيحة ونحو ذلك، بينها هي حية تملك مقومات الحياة وعناصر الخلود، ولا تخلو هذه اللّهجات من أن تكون عونا ومددا للفصحى في معركتها الحضارية الراهنة"[1]

" بالإضافة إلى ذلك فإن دراسة التراث اللّغوي الشعبي أدباً وغيره مكتوبا ومنطوقا يساعدنا على دراسة وفهم العادات والتقاليد والقيم وأنماط السلوك بالجماعات والشعوب العربية قديما وحديثا والوقوف على أحوالها المختلفة الدينية والنفسية والاجتماعية والحضارية وغيرها، وقد أفاد من دراسة اللّهجات علماء الاجتماع والمصلحين وأصحاب الدعوات في معرفة أنماط سلوك الجماعات اللّغوية وتوجيهها التوجيه السليم. إن دراسة اللّهجات العربية أمر مرغوب فيه لاعتبارها أصلاً من

([1]) ميزان الذهب في معرفة لهجات العرب، عبد التواب مرسي حسن الأكرت، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة 1431هـ، 1910م، ص14- 17.

الأصول التاريخية التي لم تسهم في تكوين الفصحى فحسب، بل باعتبارها كذلك خير معين للغة العربية على أنها تتحرك في ميدان فسيح تستطيع فيه أن تقدم الهوة التي تفصلها أن اللّهجات العربية الحديثة التي هي الآن لغة الحياة في البلاد العربية، وبهذا تستطيع الفصحى أن تحافظ على هويتها ونشاطها.

ومما سبق نرى أن دراسة اللّهجات ضرب من ضروب المعرفة الصحيحة لفهم دقائق اللغة وبيان أسرارها، وإذا كان علماء الاجتماع وغيرهم استفادوا من دراستهم للهجات في معرفة سلوك الجماعات اللَّغوية، فإن من باب أولى أن يهتم بدراسة اللّهجات دارس اللغة العربية، وذلك للفوائد الكثيرة التي يجنيها من دراسته للهجات."[1]

جهود القدماء في دراسة اللّهجات العربية:

هناك بعض الجهود التي قام بها عدد من العلماء القدماء والمحدثين في مجال دراسة اللّهجات العربية سبقت إبراهيم أنيس، لكنها لم ترق لمستوى العلم أو البحث المستقل ولا تعدوا النظر السريع بقصد الإفادة والاسترشاد، وفي تفسير أو تحليل بعض ظواهر الفصحى، "فاللّهجات لم تحظ بما حظيت به الفصحى من تدوين ودراسة وكل ما بين أيدينا عنها إنما هو إشارات عابرة نصادفها في كتب النحو واللغة العربية والقراءات وكتب الأدب العامة، فقد نظر إليها القدماء على أنها انحراف عن اللغة المثلى ونسبوها إلى العامة والسوقة ورموا بعضها بالرداءة والمذمة"[2]، فكانت أوصافهم بعيدة عن روح العلم، ويرجع السبب إلى نظرتهم إلى تلك اللّهجات على أنها الهدف الذي من أجله أهتم العرب بالدراسات اللَّغوية وهو وضع قواعد معيارية مطردة خالية من الاضطراب والشذوذ حفاظاً على اللغة يقول الفارابي في ذلك:

---

(2) المصدر نفسه: ص18.

([2])المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدسن السيوطي، ط1، تحقيق: فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1988، ص211.

"وبالجملة فيها فأنه لم تؤخذ من حضري قط، ولا عن سكان البراري مما كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة وسائر الأمم الذين حولهم، بأنها لم تؤخذ من لخم أو من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من غضاضة وغسان وإياد، لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبّرانية، ولا من تغلب واليمن، فأنهم كانوا بالجزيرة متجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا ثقيف وأهل الطائف، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلو اللغة صادفوهم حين بدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم".[1]

المنهج السابق الذي ذكره الفارابي في الأخذ عن القبائل في مجال اللّهجات بين لنا أن الرواة وعلماء اللغة قديما قد آثروا النقل من القبائل التي تسكن في وسط الجزيرة ونسبوا إليها الفصاحة لاعتقادهم بأن اللحن لم يتسرب إلى لغاتها وأشهر تلك القبائل التي نقل عنها جل ما وصلنا من العربية هي: قيس، تميم، أسد، وهذيل، وبعض كنانة.

ومما سبق نجد أن العلماء قديما في دراستهم للهجات قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين هما:

1- "قرب مساكنها عن مكة وما حولها وبعدها عن أطراف الجزيرة العربية ومخالطة الأمم الأخرى

2- مقدار توغلها في البداوة ولذلك رأيناهم يعتزون بلغة القبائل البدوية بوجه عام وقبائل نجد وسط الجزيرة بوجه خاص"[2].

" وقد أدى هذا المنهج في تقسيم القبائل العربية إلى فصيحة وغير فصيحة، إلى أن حاول عدد من علماء اللغة عقد موازنة بين اللّهجات العربية، فوجدناهم يقرون أن

([1])المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدسن السيوطي ،ص 212.

([2]) في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 67.

هذه اللغة أقيس من تلك، كما رأينا في كتبهم جملة من الأوصاف للهجات العربية كقولهم: لغة ضعيفة، لغة جيدة، لغة قبيحة، وهي اللغة الفصحى إلى غير ذلك."[1]

ومن المعروف حديثاً أن اللهجة تكون فصيحة إذا أدت إلى التفاهم والاتصال بين أبنائها وذلك لأن "اللغة ظاهرة حبة تتطور بتطور الإنسان، واللغة الجيدة هي التي يوظفها في الفهم والإفهام وفي التعبير عن دواخل الناس دون إجهاد"[(2)]، لكن العلماء أطلقوا تلك الأوصاف السابقة للهجات، بالنظر إلى بعد اللهجة، وقربها من القرآن الكريم ولغة قريش، وقد عبّر (المبرد) عن هذا المعنى بقوله: "وكل عربي لم تتغير لغته فصيح على مذهب قومه، وإنما يقال بنو فلان أفصح من بني فلان، أي أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب"[(3)].

إلا أنه لم يكد ينقضي القرن الرابع الهجري حتى وسع الرواة وعلماء اللغة دائرة النقل وظهر من بينهم من لم يفرق بين لغة وأخرى في جوار الأخذ عنهم والاحتجاج بأقوالهم ويأتي في مقدمة هؤلاء من العلماء اللَّغويين(ابن جني) الذي سلك طريقاً سديداً في معرفة اللّهجات والاحتجاج بها، فهو يأخذ اللغة من مصدرها البشري، "وقد أدرك عبقري اللغة (ابن جني) القيمة الكبيرة لهذا المصدر في استقصاء اللغة، وهو المصدر الذي يعتمد عليه دارسوا اللغة في المقام الأول الذي يسمونه بالمشافهة، وفرق كبير بين أن نسمع الظاهرة اللَّغوية من أصحابها وبين أن نرى تلك الظاهرة اللَّغوية من أصحابها وبين أن نروي تلك الظاهرة رواية من طريق غيره"[(4)].

إذاً فالعلماء قديماً لجأوا إلى الإعراب لمعرفة ما غاب عنهم من فهم أسرار اللغة، وهناك الكثير من الروايات التي تدل على ذلك من بينها "أن أبا عمرو ابن العلاء سئل عن اشتقاق الخيل فلم يعرف، فمر إعرابي محرم، فأراد السائل سؤال الإعرابي فقال له أبو عمرو: دعني أنا ألطف بسؤاله وأعرف، فسأله، فقال الإعرابي: اشتقاق الاسم من فعل المسمى، فلم يعرف ما حضر ما أراد الإعرابي، فسألوا أبا

---

(2) المصدر نفسه: ص68.

([2])في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس ، ص 68.

([3]) المبرد محمد بن يزيد الفاصل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب، القاهرة: سنة1956، ص113.

([4]) اللّهجات في القراءات، الراجحي، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص61.

عمرو عن ذلك فقال: ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل والعجب، إلا تراها تمشي العرضة خيلاء وتكبر"[1].

وتلك الروايات تبين لنا مدي عناية العلماء قديما باللّهجات، وأن منهجهم اعتمد على مشابهة الإعراب والسماع منهم في تدوينهم للهجات، يقول في ذلك الرافعي: "ولا بد لنا من التنبيه على أن الرواة والعلماء لم يدونوا اللّهجات على مناطق العرب قبل تهذيب قريش للغة، ولكنهم تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الإسلام، وأشياء أصابوها في أشعار العرب ما صحت روايته قبيل ذلك، أما سواد ما كتبوه فقد شافهوا به العرب في بواديها وسمعوه منهم وهو بلا ريب من بقايا اللّهجات الأولى التي كانت لعهد الجاهلية"[2].

وقد عاب اللّغويون المحدثون على القدماء منهجهم في جمع النصوص اللهجية، ومن بين هؤلاء تمام حسان الذي رأى اضطراب منهجهم في ناحيتين:

"الأولى: شمول دراستهم لمراحل متعاقبة من تاريخ اللغة العربية تبدأ من حوالي مائة وخمسين عاما قبل الإسلام وتنتهي بانتهاء ما يسمونه عصر الاحتجاج، وفي هذه الحقبة لا تظل اللغة ثابتة على حالها بل تتطور من نواحٍ مختلفة.

الثانية: خلطهم بين لهجات مختلفة ومحاولة إيجاد نحو عام لها جميعاً"[3].

وختاماً نقول إن علماء اللغة العربية القدماء قد تناولوا اللّهجات في دراستهم اللّغوية، ولهم مناهجهم في ذلك إلا أن دراستهم جاءت على شكل إشارات متناثرة في كتبهم، ولم تكن دراسة متكاملة تبين صفات تلك اللّهجات، وأساليبها في التعبير أو غير ذلك، وقد قام منهجهم في جمع اللغة على الأخذ من قبائل معينة دون سواها.

جهود العلماء المحدثين في دراسة اللّهجات:

" بدأت دراسة اللّهجات العربية في العصر الحديث على أيدي المستشرقين الذين قدموا إلى العالم العربي البحث في أحوالهم وثقافتهم، "ومنذ القرن التاسع عشر

([1]) طبقات النحويين واللّغويين، الزبيدي، ط1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر 1984م، ص35.

([2]) تاريخ آداب العرب، مصطفي صادق الرافعي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، 1974م، ص129.

([3]) اللغة بين المعيارية والوصفية: د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958م، ص24.

أخذ عدد من المستشرقين يسجلون نماذج من اللّهجات العربية الحديثة في مناطق مختلفة من العالم العربي، وكانت أعمالهم معظمها متواضعة، تقوم على جمع المادة ودراستها بطريقة تقليدية، معظمها تتميز بالخلط وكثرة الأخطاء، إذ لم تكن الدراسات اللَّغوية قد تقدمت، ولم تكن وسائل التسجيل والملاحظة والقياس قد تطورت إلى ما نراها عليه في الوقت الحاضر."[1]

أما الآن فدراسة اللّهجات قد تطورت واشتد عودها بفضل تقدم الدراسات اللَّغوية المعاصرة في الغرب، وأصبح البحث اللَّغوي علما معقدا يستفيد من العلوم الأخرى ويعتمد على استخدام المعامل والمختبرات والتجارب أكثر من اعتماده على الناحية النظرية"[2].

كما أن كثيراً من الجامعات الأوروبية والأمريكية لها دراسات متطورة للهجات في البلاد العربية، وحظيت الجزيرة العربية بقسط كبير من هذه الدراسات، لما في لهجاتها من اتصال وثيق بالعربية الأم، واحتفاظها بخصائص لغوية نادرة لم توجد في لهجات الأقطار الأخرى.

"أما في البلاد العربية فكان البحث اللَّغوي إلى وقت قريب مصابا بالركود والجمود، فقد اكتفي العلماء العرب بشرح المتون، ووضع الحواشي لهذه الشروح، دون البحث في أسرار الوظيفة اللَّغوية وتحليل الظواهر للغة"[3].

إلا إننا نجد أن اهتمام الغرب بالبحث في اللّهجات العربية دفع الكثير من الباحثين العرب المحدثين إلى دراسة اللّهجات في الجامعات الغربية الأوروبية والأمريكية وذلك لوفرة الاستعدادات في هذه الجامعات مما يعين على الدراسة في لهجات بلادهم ولعل أسبق الباحثين المصريين في هذا المجال هو إبراهيم أنيس.

إبراهيم أنيس ودراسة اللّهجات العربية القديمة:

---

(1) دراسات اللهجات شرقي الجزيرة العربية: جونستون، ترجمة أحمد الضبيب، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، سنة 1957، ص11.

(2) دراسات اللّهجات شرقي الجزيرة العربية، جونستون، ترجمة: أحمد الضبيب، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، 1957م، ص12.

(3) المصدر نفسه، ص 13.

أما عن إبراهيم أنيس ودراسته للهجات العربية القديمة، فإني قد أخذت التحدث عن جهوده في دراسة اللّهجات العربية القديمة من بين مجهوداته المتعددة التي قام بها طيلة فترة حياته وعمله في مجال اللغة الحديث خاصة في مجال دراسة اللّهجات العربية قديمها وحديثها، "وأن الدراسة في مجال اللّهجات العربية القديمة تُعَدُّ من أصعب مجالات الدراسات اللَّغوية الحديثة وذلك لأنها لم تحظ بما حظيت به الفصحى من تدوين ودراسة وكل ما بين أيدينا عنها إنما هي إشارات عابرة نصادفها في كتب النحو واللغة والقراءات وكتب الأدب العامة، لنظرة القدماء إليها على أنها انحراف عن اللغة المثلي ونسبوها إلى العامة ورموا بعضها بالرداءة والمذمة" [1].

إبراهيم أنيس قد تهيأت له ظروف خاصة دفعته للدرس اللهجي، فبعد عودته من لندن حيث حركة الدرس اللهجي متطورة وجد البيئة العربية خاليه من اهتمام بالدرس اللهجي، إلا أن صيحة حفني ناصف، التي أطلقها في مؤتمر المستشرقين في أوائل عام 1886م تحت عنوان (مميزات لغات العرب) لكنها ذهبت أدراج الريح، يقول عنها إبراهيم أنيس: "لم تحفز الهمم ولم يسمع المتضامين عن بحث جديد في اللغة، فمضت بعدها فترة طويلة دون أن نسمع لعالم آخر صوتاً أو نرى له إنتاجاً في هذا الشأن الجليل"[2].

ولما رأى (رحمه الله)، انصراف أهل العلم في مصر عن الدرس اللهجي، واكتفاءهم بترديد بعض الروايات الشائعة في ثنايا كتب التاريخ والأدب دون فهم لها، أو عناية بعرضها عرضاً علمياً دقيقاً مؤسساً على أحدث النظريات التي قررها المحدثون في دراسة اللّهجات قديمها أو حديثها، "أقدم على الخوض في هذا المجال الجديد بالنسبة للدرس اللَّغوي الحديث مستعيناً بمخزونه الثقافي الأصيل من التراث وولعه الشديد بقراءة كتب التراث اللَّغوي العربي بالإضافة إلى استعانته برصيده الثقافي الحديث والتكوين العلمي الذي حظي به من خلال استيعابه لمناهج البحث اللَّغوي الحديثة وتخصصه في الساميات (العبّرية والآرامية والسريانية) والمقارنات

([1]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ص213.

([2]) في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1990، ص10.

السامية، واطلاعه على كثير من الدراسات اللهجية الحديثة"[1] فكان كتابه (في اللّهجات العربية) نموذجاً علمياً ورصيداً إضافياً للبحث اللهجي مستحثاً به الهمم للعناية بالدرس اللهجي يقول: "أقدمت على نشر كتاب وهو كتاب في اللّهجات العربية به استحثت الهمم على العناية بمثل هذه الدراسة معربا عن أملي في ألا يمر زمن طويل قبل أن نرى بحوثاً جليلة تكشف لنا أسرار اللّهجات العربية"[2].

" ودراسة اللّهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة في كل البيئات العربية للتعرف على خصائصها وما امتازت به، لأنها انحدرت من لهجات قديمة متباينة، جاءت إلى مناطق تتكلم عدة لغات غير عربية مثل القبطية في مصر، والآرامية في الشام وغيرها، كما أن دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة غير مكتفية بما روي في بطون الكتب بل يجب أن تطبق على ما نسمعه فعلاً من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة مستخدمين النظريات الصوتية الحديثة والمقاييس والآلات التي تستخدم في معامل الأصوات.

وكتاب إبراهيم أنيس في اللّهجات العربية يُعَدُّ معزوفة موسيقية عناصرها متمثلة في الظواهر اللهجية المأخوذة من مظانها وهي كتب التراث، والقراءات القرآنية، بالإضافة إلى اللّهجات العربية الحديثة، رابطة ذلك بالفصحى وحقائق علم الأصوات، واللغات السامية، وقوانين التطور اللُّغوي، والعوامل الاجتماعية المؤثرة في هذا التطور كأخطاء الكبار والصغار.

وقد عرفت اللغة العربية اختلاف اللهجات منذ العصر الجاهلي ، فقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب :كقريش وتميم ،وطيّ ، وهذيل وغيرها، في لهجاتها المختلفة عن لهجات سائر القبائل اختلافات يسيرة ، تتعلق بكثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات".[3]

وقد تتعلق الاختلافات بين اللهجات بالحركة والسكون نحو : " (هو) بضم الهاء وسكونها ، ونحو (معكم) و(معَكم)أو : (الأذن) و (الأذُن) أو بالحركات نحو :

([1])في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ط8، ص11.

([2]) المصدر نفسه، ص12.

(1) في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ط8، ص13.

(نستعين) بفتح النون وكسرها ، قال الفرّاء هي مفتوحة بلغة قريش وأسد ، ومكسورة بلغة غيره، وبتحقيق الهمزة أو تسهيلها نحو: (مستهزؤون) و (مستهزون)"[1] ، "وبالتقديم والتأخير نحو : (صاعقة) و (صاقعة) "[2]، وبالتذكير والتأنيث فمنهم من يقول : "هذه البقرة ، وهذه النحل ومنهم من يقول : هذا البقر وهذا النحل ، وبالوقف على مارسم بالتاء، بين التاء والهاء نحو : هذه أمه ، وهذه أمة"[3].

" أهم هذه اللهجات : لهجة قريش ، وتميم ، وأسد ، وطيّ ، وبكر ، وحمير وغيرها ، وقد أتيح لهذه اللهجات فرص كثيرة للاحتكاك بفضل التجارة وتبادل المنافع وتنقل القبائل في طلب الكلأ والماء،وتجمعها في الحج ، والأسواق ، والحروب، فصارت هذه اللهجات في صراع لغوي كان النصر فيه للهجة قريش التي طغت على جميع اللهجات في المحادثة والشعر والنثر والخطابة ، فأصبح العربي يقول شعره ونثره الأدبي وخطاباته بلهجة قريش ، بغض النظر عن انتمائه إلى لهجته الأصلية، وهذا لا يمنع أفراد قبيلة معينة الاحتكاك والتفاهم في محيطها القبلي بلهجاتها الخاصة."[4]

وفي الختام اسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الكريم وأن ينفع به، إنه نعم المولي ونعم المصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

([1]) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب : عبد الفتاح عبد الغني القاضي ، ط2 ، دار السلام للطباعة والنشر ، لبنان ، سنة 2005م ، ص517.

([2])المصدر نفسه :ص519.

([3])أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي : محمود مسعود علي حسين عيسي _ دراسة تطبيقية في سورة البقرة ، ط1، دار السلام للطباعة والنشر – لبنان، ص141.

(4) في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ط8، ص17.

الخاتمـــــــــــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأفضل الصلوات وأتم التسليم على رسوله البشير النذير، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سلك طريقهم من المؤمنين. وفي نهاية هذه الدراسة لابد من عرض لأهم النتائج التي خلصت إليها.

فمن الأمور التي خلصت إليها الدراسة عند إبراهيم أنيس، أنه كان من أوائل الذين نقلوا النتائج التي توصل إليها علماء الأصوات المحدثون في الغرب في علم الأصوات إلى الأصوات العربية.

ثم قسم إبراهيم أنيس الأصوات اللَّغوية تقسيماً علمياً، فقد جعلها في قسمين: الأصوات الساكنة، وأصوات اللين، رأى أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين، لذا يميل بعضهم إلى تسميتها بأشبه أصوات اللين.

كما طبق مقياس (دانيال جونز) لأصوات اللين على الأصوات اللَّغوية والعربية، ويعد إبراهيم أنيس من أوائل من فعل هذا وفقا لما علمنا. أيضاً قسم الأصوات حسب مخارجها في مجموعات، مبتدئاً من الشفتين ومنتهياً بالحنجرة، مخالفاً لما عرف عند القدماء الذين يبدؤون بالأصوات الحلقية.

وضع تعريفاً للجهر والهمس مخالفاً تعريف القدماء، معتمداً على علم التشريح، فعرف الصوت المجهور بأنه الصوت الذي تتذبذب معه الأوتار الصوتية، والصوت المهوس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان.

وضع ثلاث تجارب ذوقيه بسيطة وعلى درجه معقولة من العلمية لاختيار جهر الصوت، وتكون الأولى بوضع الأصابع فوق تفاحه آدم، والثانية بوضع الأصابع في الأذان، والثالثة بوضع الكف فوق الجبهة، وفي هذه الحالات نحس بجهر الصوت.

لا يتفق مع القدماء في أن الطاء والقاف مجهوران، فهو يراهما صوتين مهموسين، وكذلك صوت الهمزة فهو مجهور عند القدماء، ويراه صوتاً لا هو بمجهور ولا هو بمهموس.

سمى الأصوات الشديدة بالانفجارية والرخوة بالاحتكاكية، مستندا إلى تسميه علماء الأصوات الغربيين.

خالف القدماء في صفه صوتين الضاد والجيم، إذ عدّ القدماء الجيم صوتاً شديداً (انفجارياً)، والضاد صوتاً رخواً (احتكاكياً)، فيما قال: إن صوت الجيم الفصيحة الحديثة الانفجاري يختلط بنوع من الحفيف يقلل من شدتها، الضاد الحديثة صوت شديد (احتكاكي).

قسم المقاطع العربية إلى أربعه أقسام، ولم يكن معروفا منها سوي مقطعين حددهما الفارابي. كان أول من درس قضية النَّبر في اللغة العربية، ووضع قانونا لها. لا يدعو إلى جعل القياس محصوراً بالأطفال وعامة الناس، ولكنه يذهب مذهب المجددين من العلماء الذين ينادون بإباحة القياس اللَّغوي للموثوق بهم من الأدباء والشعراء.

يرى أهمية الاشتقاق العام الذي يولد صيغا جديدة لم ترد في المروي من أساليب العرب.

يرى أن الاشتقاق الكبير تكلف ولا يمكن الاعتماد عليه. يرفض ربط اللغة بالمنطق العام فهذا لا يخدم اللغة، فلكل لغة منطقها الخاص، ولذا يجب عرضها وتفسير اللغة في ضوء المنطق والاستعمال اللَّغويين.

يرى أن الكلمات في نشأتها الأولى كانت كثيرة المبنى قليلة المعنى، ونشأت في صورة لعب ممتع لا يهدف إلى إيصال معنى إلى السامع، فقول الفلاسفة: إن الهدف الأصلي من الكلام كان التفاهم وإيصال المعنى، قول مرفوض عنده فهو لا يميل إلى القول بوجود صلة بين اللفظ ومعناه.

يرى أن المشترك اللفظي يقع نتيجة لسوء الفهم بين المتكلم والسامع في البيئات البدائية، وهو رأي انفرد به في تقليل حدوث المشترك اللفظي.

كما اتبع إبراهيم أنيس في كتبه: دلالة الألفاظ، وأسرار اللغة مناهج متعددة كالمنهج الوصفي والتحليلي والتطبيقي والمقارن والتاريخي، وأسلوبه سهل رقيق، وعباراته واضحة، وكان يصل إلى الهدف المنشود بأقصر الطرق، ويتجنب بكثرة التفاصيل المؤدية إلى الخروج عن الموضوع ويتحاشى التكرار أيضاً بعبارات مثل: " وقد أشرنا إلى هذا " من قبل ثم يشير إلى الصفحة التي تناول فيها القضية المماثلة، ويستوعب المسائل الفكرية والعلمية واللغوية وسردها بالمعنى والفكرة.

ونختم حديثنا عن إبراهيم أنيس بالقول: إن ما ذكرته يُعَدُّ قليلاً من كثير مما تركه من علم غزير وفكر واضح في تاريخ الدراسات اللُّغوية في مصر والعالم العربي، فهو يعد من أهم رواد هذه الدراسات، وكان أثره واضحاً في تأسيس علم اللغة الحديث، وكانت له بحوثه القيمة في العربية، فقد اهتم بالنيابة الصوتية والدلالية، كما اهتم بلهجاتها ومراحلها التاريخية، فكانت له مكانته الرفيعة في علوم اللغة في الجامعات العربية ودوره الكبير في مجمع اللغة العربية في القاهرة.

النتائج والتوصيـــــات

أولاً: النتـــــائج

1- أشار إبراهيم أنيس إلى ظاهرة الصوت على درجات متفاوتة قد يكون عميقاً ، حاداً، موسيقياً وغيره.

2- يقدّم إبراهيم أنيس تصوره عن نشأة اللغة ويرى من خلال ماكتبه المحدثون ، إن الكلمات في نشأتها كثيرة المبنى وقليلة المعنى.

3- كان إبراهيم أنيس يعتمد في كتبه مناهج متعددة كالمنهج الوصفي ومن أدواته التحليل،ويصل إلى الهدف المنشود بأقصر الطرق ،ويتحاشى التكرار.

4- كما توصّل البحث إلى أن إبراهيم أنيس يستوعب المسائل الفكرية واللغوية والعلمية ، وسردها بالمعنى والفكرة.

5- لإبراهيم أنيس آراء صوتية خاصة ، وأنه وظف العديد من معطيات التجارب الحديثة للدراسات الصوتية العربية في نحو : مخارج بعض الأصوات وصفاتها ،ومقاييس أصوات اللين ،وطول الصوت اللغوي، والنبّر والتنغيم وغيرها.

ثانياً: التوصيـــــات

1- يوصي الباحث بمواصلة البحث في الجهود اللغوية التي توصّل إليها إبراهيم أنيس من خلال كتابيه: (أسرار اللغة)، (دلالة الألفاظ).

2- وضع مفردات المادة ثم تسليم زمام الأمر ليد الأستاذ والطلاب، لينتقوا مادتهم من مصادر مختلفة ومتنوعة أيضاً، حسب ما تقتضيه ظروف المادة المدروسة.

3- الأفضل عند وضع هذه المفردات أن يُهتم بجانب المقارنة بين التراث والمعاصرة، ليدرك الطلاب قيمة ما خلّفه الأقدمون، وأهمية ما يسريه المحدثون.

4- يوصى البحث بتقديم خدمة إنشاء معمل أبحاث حاسوبي بالجامعة لتهيئة الأجواء المناسبة للطلاب والمتخصصين في اللغة العربية وعلومها.

والحمد لله أولاً وأخراً.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
1	(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	2	الفاتحة	85
2	(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)	3	الفاتحة	86
3	(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)	3 – 4	الفاتحة	86
4	(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)	3	البقرة	113
5	(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)	7	البقرة	122
6	(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)	10	البقرة	122
7	(□ □ □ □)	31	البقرة	26
8	(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)	102	البقرة	66
9	(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)	152	البقرة	121
10	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)	183	البقرة	115
11	(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)	257	البقرة	121
12	(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)	167	آل عمران	121
13	(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)	78	النساء	97
14	(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ	155	النساء	100

	بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)			
15	(وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)	13	المائدة	100
16	(وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)	85	الأنعام	85
17	(إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)	134	الأنعام	97
18	(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ)	141	الأنعام	85
19	(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ)	75	الأعراف	92
20	(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)	87	هود	113
21	(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)	2	يوسف	114
22	(رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)	41	إبراهيم	85
23	(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)	42	إبراهيم	85
24	(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)	88	الإسراء	114
25	(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)	110	الإسراء	113
26	(فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)	26	مريم	115
27	(إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى)	40	طه	112
28	(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ	69	طه	97

	وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)			
29	(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)	40	النمل	121
30	(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)	12	القصص	112
31	(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)	14	لقمان	89
32	(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)	56	الأحزاب	113
33	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ)	11	الحجرات	11
34	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)	10	الصف	112
35	(وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ * أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)	20-17	الغاشية	90
36	(كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)	15	العلق	99
37	(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ)	3 - 1	الناس	88

فهـــــــــــــــــرس الأشعـــــــــــــــــــار

الرقم	البـــــيت	القافية	الشاعر	الصفحة
1	فأَمْطَرَتْ لُؤلُؤَا مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ ** وَرَدّاً وَعَضَّتْ عَلَى الْعِنَابِ بِالْبَرْدِ	بِالْبَرْدِ	يزيـــد بـــن معاوية	38
2	وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيْرَةً ** يَحْجُوَّنَ سِبَ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا	الزَعْفَرَا	المخبل السعدي	45
3	لَهُ زَجَلٌ كَأنه صَـــوْتُ حَادٍ ** إِذَا طَلَبَ الْوَثِيقَةُ أَوْ زَمِيرُ	زَمِيرُ	الشماخ بن ضرار القطفاني	58
4	وَأَشْـــرَبُ الْمَاءَ مَا بِي نَحْوهُ عَطَشٌ ** إِلاَ لِأَنَّ عُيُونَهُ سَيْلُ وَادِيهَا	وَادِيهَا	ابن الرومي	59
5	إِنَّ عَصْراً لَمْ يُظَلَّلَ فِي غَدٍ ** بِجِنَاحِيكَ ذَلِيلٌ مِسْتِبَاحٌ	مِسْتِبَاحٌ	أحمد شوقي	64
6	فَمَا وردَتْ رُوَح امرئٍ رُوحُه لَهُ ** ولا صَدَرت عن بَاخِلٍ وَهُو باخِلُ	باخِلُ	المتنبي	88
7	أَلاّ رُبّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُمَا صَالِحٍ ** وَلاَ سِيمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جَلْجَلْ	جَلْجَلْ	أمرؤ القيس	96
8	يَعْلُو طَرِيقَـــةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِراً** فِي لَيلَةٍ كَفَـــرُ النُجُومَ غَمَامُهَا	غَمَامُهَا	لبيد بن ربيعة	120
9	وقومٌ لهم لحنٌ سوى لحْنِ قومِنا ** وشكلٌ– وبيت الله– لسنا نُشَاكلهُ	نُشَاكلهُ	أبي مهدي الكلابي	157
10	فَمَا نبَالِي إِذَا مِا كُنْتِ جَارَتُنَـــا ** أَلاَّ يُجَاوِرُنَا إِلاَّكِ دِيـــَّـــارُ	دِيـــَّـــا رُ	ابن الرومي	58

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع العربية.

1. البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن الجاحظ ، ط2 ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون الخانجي ، مصر ، سنة 1960م.
2. التطّور اللغوي التاريخي :إبراهيم السامرائي ، ط1، دار الرائد للطباعة ، بغداد ، سنة 1966م.
3. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب ، مطبعة المدني ، القاهرة ، سنة 1983م .
4. التعريفات : علي بن عمر الجرجاني ، ط1، مكتبة لبنان ، بيروت ، سنة 1985م.
5. التفكير اللغوي عند إبراهيم أنيس : محمود فهمي حجازي ، ط4،مجمع اللغة العربية ، القاهرة، سنة1947م.
6. تقويم دار العلوم : محمد عبد الجواد ، ط1، القاهرة ، سنة 1952م.
7. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، ط3، مطبعة حجازي ، القاهرة ، سنة 1941م.
8. الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية : أحمد عبد العزيزدرّاج ، ط1 ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مكتبة الرشد ، سنة 1423هـ - 2003م .
9. إتمام الأعلام : خير الدين الزركلي ، ط1، دار صادر ، بيروت ، سنة 1999م.

10. أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة 1966م.
11. أسرار البلاغة : الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ط2 ، تحقيق : هـ . ريتر، المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة 1983م.
12. الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة 1992م .
13. الإنصاف في مسائل الخلاف : أبي البركات الأنباري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، سنة 1953م .
14. الإصباح في شرح الإقتراح :محمود فجال، ط1 ،دار القلم، بيروت ، سنة 1409هـ - 1989م.
15. أنواع الربيع في أنواع البديع: صدر الدين بن معصوم المدني،ط1، تحقيق:شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف ،الأشراف ، سنة 1968م.
16. دراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح ، القاهرة ،سنة1963م
17. دراسة اللهجات شرقي الجزيرة العربية : جونستون ، ترجمة : أحمد الضبيب، جامعة الملك سعود ، الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ، سنة 1957م.
18. دراسة الصوت اللغوي : أحمد مختار عمر ، ط1، عالم الكتب ، القاهرة ، سنة 1997م.
19. دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس ، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة 1993م.
20. الدلالة الصوتية في اللغة العربية : صالح سليم عبد القادر ، منشورات جامعة سبها ، سنة 1988م.

21. الدلالة اللغوية عند العرب : عبد الكريم مجاهد ، ط1، دار الضياء ، عمان ، سنة 1985م.
22. دلالة الألفاظ عند الأصوليين : محمود توفيق محمد سعد ، ط1 ، مطبعة الامانة ، القاهرة ، سنة 1987م.
23. سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان ابن جني ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، سنة1421هـ -2001م.
24. شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، سنة 1422هـ 2001م.
25. شرح ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري ابن عقيل تحقيق : طه الزيني ، ط1، القاهرة ، سنة 1965م.
26. الصوت اللغوي في القرآن الكريم : محمد حسن صغير ، ط1، دار المؤرخ ، بيروت – لبنان سنة 2000م.
27. طرق تنمية الألفاظ في اللغة : إبراهيم أنيس ، ط2، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، سنة 1967م.
28. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي السبكي ، ط1، القاهرة ، سنة 1963م.
29. علم الدلالة : أحمد مختار عمر ، ط5، عالم الكتب ،القاهرة ، سنة 1998م.
30. علم اللغة النصبي بين النظرية والتطبيق: صبحي الفقي، ط1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة،سنة 2000م.
31. علم الدلالة التطبيقي في التراث النقدي: هلال نمر، عالم الكتب، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، سنة 2006م.

32.في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس ، ط8،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة 1992م.
33.في البحث الصوتي عند العرب : خليل إبراهيم عطية ، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، سنة 1983م.
34.الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري، تحقيق : عماد زكي البارون،ط1، المكتبة التوفيقية، مصر ، 1952م.
35.في النحو العربي قواعد وتطبيق : مهدي المخزومي ، ط1، مكتبة الحلبي ، القاهرة ، سنة 1965م.
36.الكتاب : أبو بشر عمر بن عثمان بن قمبر سيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، سنة 2004.
37.كتاب الاقتراح : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط1، مطبعة دار المعارف ، حيدر اباد سنة 1989م.
38.كتاب الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمي، بيروت،سنة 2001م.
39.كتاب اللغة: فندريس، ط3، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة القاهرة، سنة1950م.
40.كتاب المفتاح في الصرف: عبد القاهر الجرجاني، ط1، تحقيق: على الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت،سنة 1987م.
41.لحن العامة والتطور اللَّغوي، رمضان عبد التواب، ط1، دار المعارف، القاهرة: سنة 1967م.
42.لسان العرب: جمال الدين بن منظور الافريقي، ط3، دار صادر، بيروت: سنة 2004م.

43. اللغة والدلالة: عدنان بن ذريل، ط1، دار الفكر، بيروت، سنة 1986م.
44. اللغة والتطور: د. عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، سنة1969م.
45. المثل السائر، بن الأثير، ط1، تحقيق: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة1998م.
46. معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس، ط 1، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت سنة 1985م.
47. معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، سنة 1959م.
48. مدخل إلى معرفة اللغة، اللسان والإنسان، حسن ظاظا، ط1، مكتبة الدراسات اللَّغوية، القاهرة، سنة1982م.
49. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللَّغوي: رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1985.
50. المعنى والإعراب عند النحويين ، عبد العزيز عبده ، ط1،دار الكتاب والتوزيع ، طرابلس، سنة 1977م.
51. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، ط1، تحقيق فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1988م.
52. المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ط1، تحقيق : هيثم طعيمي ، دار احياء التراث العربي بيروت ، سنة 2002م.
53. مناهج البحث في اللغة : تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، سنة 1985م.

54. موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة 1952م.
55. النوادر في اللغة : أبي زيد سعيد بـــن أوس الأنصـــاري ، ط2، دار الكتـــب العلمية ، بيروت ، سنة 1967.
56. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، سنة 1975م.